التطرُّف

(من الإرادة إلى الفعل)

تأليف

أ.د عقيل حسين عقيل

جامعة طرابلس/ كليَّة الآداب

2018م

المحتويات

المقدّمة 6

التطرُّف.. 8

التطرُّف والإرهاب: 14

أنواع التطرّف.. 20

. التطرّف والدين: 20

القراءة متغيّرة والنصّ ثابت: 20

التطرُّف وفروقات المفاهيم: 30

التطرُّف الاجتماعي: 34

. التطرُّف السياسي: 44

. التطرّف الاقتصادي: 51

التطرّف النَّفسي: 57

التطرُّفُ عقلٌ ونفسٌ:................................ 66

التَطرُّف الثّقافي: 69

مُحضَنات الثّقافة: 72

بين عنف وتطرّف:.................................. 73

التطرّف بحثٌ عن الحلّ: 81

الوسيطيَّة جزء من التطرُّف أم جزء من الحلّ: 86

بيئة توليد الوسيطيَّة:.................................. 99

التطرف عن التطرُّف بين سالبٍ وموجبٍ: 105

التطرُّف بين علّة وسبب: 118

الحلّ 139

المعلومة الصَّائبة تصحح المعلومة الخاطئة 139

المعلومات الصَّائبة حُجَّة: 139

تفكيك المعلومة حُجَّة: 145

الإرادة... 149

الإرادة تحدّي الصّعب: 154

الإرادةُ تمكين:... 159

الإرادة قوّة: 165

الإرادة قوّة مناعة:.. 167

القرار قوّة إرادة: 168

تقويض الإرادة:.. 171

التهيّؤ 185

التهيّؤ للرّفض:... 189

التهيّؤ للتطرّف:... 191

التهيّؤ في المواجهة:.. 194

مكوِّنات التهيّؤ:... 199

تهيّؤ مادّي عقلي: 199

تهيّؤ مادّي نفسي: 201
تهيّؤ مادّي نفسي عقلي: 203
تهيّؤ مادّي نفسي عقلي روحي: 206
معيارية التهيّؤ:........................... 207
صور التهيّؤ: 209
الاستعداد................................. 221
أنواع الاستعداد:........................... 223
الاستعداد تنوّع 228
إعداد العُدّة 233
إعداد العُدّة بين خائف ومخيف:............... 242
التأهّبُ 246
المتأهّب على الدّراية:...................... 253
المتأهّبُ قلقٌ:............................ 254
التأهب استبصار: 256
الفعل 261
الاقدام على الفعل: 266
الفعل تتويجًا:............................. 267
أفعال التغييب وقود تطرُّف:................... 269
صدر للمؤلّف 277

المؤلّفات 278
المؤلّف في سطور.. 291

المقدّمة

التطرُّف كما هو ابتعاد عمَّا لا يجب الابتعاد عنه مثل: الاحترام والتقدير، فهو ابتعاد عمَّا يجب الابتعاد عنه مثل: الابتعاد عن المحرمات والانتهاء عنها مما يجعل صفة الابتعاد الأولى سالبة، وصفة الابتعاد الثانية موجبة، مع العلم أنَّ مفهوم التطرُّف يحمل المغالاة في الابتعاد، وهذه المغالاة تضعه في مواجهة الموضوعيَّة التي تحتكم بما هو عدالة.

وعندما يكون التطرُّف في خانة الابتعاد عمَّا يجب الابتعاد عنه فلا عيب يلاحقه، ولكن عندما يصبح التطرُّف مغالاة وشدَّة يصبح مفهومًا مزعجًا ومقلقًا ينبغي أن يتم تجنُّبه، وفي المقابل عندما يصبح متجسّدًا في سلوك عدائي يجب أن يقاوم: فكرًا وسلوكًا، أي: عندما يصبح آخذًا صفة العدوان وارتكاب المظالم وترعيب النَّاس وإقصائهم كرهًا لا بدَّ أن يقاوم بأساليب تمكّن من تحرير الإنسان وترسيخ العدل.

ومع أنَّ التطرُّف غير الإرهاب فإنَّ الكثيرين لا يفرّقون بين مفهوميهما؛ ذلك لأنَّ التطرُّف أساسه انحراف فكري، أمَّا الإرهاب فهو إعداد عدَّة واستعداد لإرهاب من أعدَّ عدَّةً وأظهرها تلويحًا لعدوان مرتقب كون الطّرف المقابل لا يمتلك قوَّة رادعة لأيِّ عدوان؛ ومن هنا وجب على الطَّرف الضَّعيف (المهدّد من قِبل القوي) أن يعدَّ عدَّة ترهب الخصم وتقفه عند حدوده، ومن ثمَّ تقطع تفكيره وخططه التي رسمت للتنفيذ عندما تصبح الفرص مواتية بلا ردَّات فعل داخليَّة أو خارجيَّة.

ومع أنَّ التطرُّف أساسه فكريٌّ فإنَّه تجسَّد في أفعال وأعمال وسلوكيَّات عدوانيَّة، وغاية مرتكبيه فرض رؤاهم وأفكارهم حبَّ من أحبّ وكرها من كره،

سواء باسم الدّين، والدّين منهم براء، أم باسم الفكر الذي نُظِّرَ له بأغراض تجعل البعض تابعًا لرؤيةٍ لم تكن حُجَّة مطلقة، ومن هنا تؤلد الأحزاب وتظهر العصبيَّات ويتعدَّد الخصوم، وتكثر المفاسد، وتُسخَّر السياسات الحاكمة وأجهزة الدّول لإصدار أحكام غير عادلة على المختلفين والمخالفين، ما يجعل كفَّة التطرُّف تزداد ترجيحًا.

ومع أنَّ مفهوم التطرُّف يبدو للبعض واحدًا فإنَّ للتطرُّف مفاهيم متباينة من حيث المستوى: (فردي، وجماعي ومجتمعي، ودولي)، ولكلٍّ: (أسلوبه، ومنهجه، وسلوكه)، مما يتطلَّب علاجات مختلفة، ومناهج مختلفة، وأساليب مختلفة، بل وطرق مختلفة وفقًا للنّوع: (ديني، سياسي، اجتماعي، اقتصادي، ثقافي).

وعليه: لم يكن التطرُّف فعلًا طارئًا، بل لا يمكن أن يكون تطرُّفًا إلَّا عن إرادة تُمكِّن من تحمُّل ما يترتّب عليه من أعباء ومسؤوليَّات، وكذلك لا يكون فعلًا متطرّفًا إلَّا بعد تهيؤ، واستعداد، وإعداد عُدَّة، وتأهُّب للتنفيذ.

أ.د/ عقيل حسين عقيل

جامعة طرابلس/ كليَّة الآداب

2018م

التطرُّف

التطرُّف: سلوك ذو جذور فكريَّة، إذا ما تشرَّبها الإنسان أصبح متطرّفًا؛ ولهذا يعدّ الفكر المنحرف عن الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة مفتاح إقفال على آراء وأفكار متطرّفة، ومع أنَّ صاحبها سيظل متطرِّفًا فإنّه سيكون قابلًا للحلِّ إذا ما تم استخدام المفتاح الفكري الممكّن من الإخراج من التأزُّمات الفكريَّة المتطرّفة.

فالتَّطرّف ابتعاد عن مركز الاعتدال، وتخندق بغاية المواجهة مع الآخر، أسلوبه: التشدّد، وتقليل شأن الغير، هدفه: السيطرة، والتحكم في الأمر بقبضة مؤلمة.

ويعدّ التطرُّف أشد تأثيرا من الإرهاب الذي لا يخرج عن كونه استعدادًا نفسيًّا وإعداد عدّة بها تُغرس الثقة في النَّفس حتى تطمئن، وعلى أساسها يحسب الخصم حِساباته في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع دون استعجال، وإنْ استعجل بأسباب الغفلة اعتداءً على الآخرين تكون المواجهة له بالقوّة عُدّة وعتادًا من خلال الإقدام على الفعل المحقق للتوازن بالقوّة الرادعة مما يجعل من أعدَّ العُدَّة واعتدى بغير حق متطرِّفًا، ويجعل من يقابله مقاومًا بعد إعداده عُدَّة وعتادًا ليس بمتطرِّفٍ.

ولذا فعندما يخرج الأنا أو الآخر عن حدود الاستعداد عُدّة وعتادًا، يصبح الفعل المقْدَم عليه موصوفًا بالاعتداء، وحينها تتغيَّر الأمور من حالة الوقوف عند حدّ الاستعداد عُدَّة وعتادًا إلى خارج الحدود مواجهة وقتالًا بين معتدٍ ومُعتدى عليه.

التطرُّف مغالاة فكريَّة؛ إذ لا مجال للحوار والنقاش والمجادلة وممارسة الحرّيَّة، ولا وجود للشفافيَّة في قواميس المتطرِّفين التي لا تميز بين الرأي والقرار، أي: إنَّ رأي المتطرف: (قرارٌ) لا بدَّ أن ينفَّذ كرهًا.

ولهذا أصبح التطرُّف عنوانًا للقلّة الموجّهة ضرباتها إلى الكثرة دون سابق إنذار، فمعظم الجماعات المتطرّفة تُقدّم سلوكها العدائي على أفكارها أو رؤاها، أي: إنَّها تسلك وتفعل أوّلا، ثم تصدر الأوامر للغير ثانيًا، وهنا تكمن العلّة: (علَّة المظالم والعدوان).

ومع أنَّ للتطرف مفهومٌ عام ينفذ من خلاله إلى العقل البشري، فإنَّ تنوّع أفكار التطرُّف وتعدّدها لا تجعل له تعريفًا محدَّدًا؛ ولهذا فالتطرُّف عامَّةً: (مغالاة في القول والفكر والسُّلوك).

وعليه:

فإنَّ للتطرُّف أفكارًا مختلفة ومتخالفة، مما جعل التطرُّف في مواجهة التطرُّف بين فردٍ وآخر، وجماعة وأخرى، تحت مظلات الكره، والحقد، والظلم، والكيد، والمكر، والخدعة، والنتيجة المرادة من وارء الفكر المتطرّف: (سفك الدِّماء باطلًا)؛ إذ لا أمل في إزهاق الحقِّ.

ولأنَّ الحياة الدُّنيا خُلقت على الزوجيَّة فلا إمكانيَّة فيها لإلغاء الآخر؛ ولهذا وجب التفهّم والتفاهم وتقبُّل أطراف الثنائيَّة لبعضهم بعضًا وفقًا للحُجَّة التي تَنصُّ على: وجوب البدء مع الغير تفاهمًا من حيث هو بغاية أخذه لما يجب أن يكون عليه مشاركًا (معًا وسويًّا).

ودائمًا أعمال التطرُّف في مواجهة أفعال اللين والاحتكام إلى العدالة، والأخذ بالمعروف والقيم الحميدة؛ ولهذا لغة المتطرّف تتمركز على: (أنا ومن بعدي الطوفان).

ولأنَّ هذه لغة التطرُّف، إذن: لا رأفة ولا رحمة تُنتظر من متطرّفٍ، ومن هنا تصبح المواجهة معهم ردة فعل: (من أنت؟ قف عند حدّك، وإلّا...)؟ ومع ذلك أقول:

لا ينبغي الإغفال عن أهميَّة: (النقاش، والحوار، والجدال، والمحاجّة الفكريَّة والمنطقيَّة والعلميَّة) فكلّ شيء في دائرة المتوقَّع وغير المتوقَّع ممكنٌ، ولا استغراب، ولا تعجُّب فكلّ شيء قابل للتغيّر، والدّم لا يولِّد إلّا دماءً، وحينها تصبح مصارف الدّم تطالب بالمزيد.

وعلينا أن نعرف أنَّ الغافلين هم حيويَّة التطرُّف، ومن ثمَّ فالدَّولة التي تغفل عن أهميَّة الحُجَّة التي تحتويها وتتضمّنها المقررات التعليميَّة، والتي يحاجج بها رجال الأمن، والتي يسوّقها الإعلام، وتبشر بها المساجد، والكنائس، والأديرة، تجد نفسها أرضيّة اللاعبين تطرُّفًا؛ ومن هنا فخذوا حذركم وإلّا لا استغراب.

ومن ثمَّ يعدُّ الفراغ الذي لا تملؤه الحجّة أفضل مكانٍ لتخندق المتطرِّفين، أي: إنَّه الملعب المناسب لممارسة الأنشطة المنحرفة بمختلف أنواعها، وفي هذه الملاعب يُجنَّدُ المراهقون الذين لم يشغل وقت فراغِهم بما يمكّن من بناء الشخصيَّة الوطنيَّة التي تتقي الشَّر فيتقيها.

ومن تلك الملاعب تبدأ درجات بناء سُلّم المتطرّفين درجة درجة، فتبدأ من:

1 ـ امتلاك الإرادة التي بها يتم: (الانسحاب من الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة).

2 ـ التهيؤ لجعل الأنا وكأنَّه مركز العالم بأسره: (أنا كلّ شيء، ولا شيء يهمني).

3 _ تسفيه الغير: (أنا كلّ شيء ورأيي صوابٌ، وأنت لا شيء ورأيك خطأ).

4 _ كسر حاجز الخوف ورفع الصّوت: (الرَّفض لكلِّ من يخالف الأنا ولو كان قريبًا).

5 _ الاستعداد للمواجهة ومخالفة القانون: (الأخذ بالفتاوى والآراء الرَّافضة للغير، والتدريب على أساليب تسويقها قوّة وقهرًا) وكأنَّه يود أن يقول: أيُّها المجتمع الذي جعلتني أيَّامي مراهقتي وأيَّام شبابي المبكرة ضحيَّة حان الوقت لتكون الضحيَّة.

6 _ إعداد العدَّة: (البحث عن السّلاح والتدريب عليه، ثم اغتنام الفرص للمواجهة).

7 _ التأهُّب للرِّماية: (رصد تحرّكات الخصم وأماكن تحركه وتواجده؛ كونه أصبح هدفًا والأصبع على الزِّناد).

8_ الإقدام على الفعل وبدء الرِّماية: (الدّخول في عمليَّات انتحاريَّة فرديَّة وجماعيَّة تنفيذًا لمقولة: (أنا كلّ شيء ولا شيء غيري).

ولهذا فأفكار التطرُّف وأفعال مرتكبيه حاقدة، ومدمِّرة للحياة، وعائقة للتقدُّم الآمن وإحداث النُّقلة؛ إذ لا أمل ولا رأفة، أي: إنَّ العاطفة أصبحت مفقودة مع تلك القيم والفضائل الخيِّرة.

وعليه:

يمرُّ المتطرّف بمحطات أربع:

الأولى: تخلٍّ وانسحابٍ من الفضائل الإنسانيَّة والقيم الاجتماعيَّة.

الثَّانية: رفض التَّاريخ، والثقافة، والحضارة.

الثالثة: مغالاة في الأحكام.

الرَّابعة: عدوانٌ (هجومًا وتفخيخًا وتقتيلًا) يترك آلامًا ودمارًا وموتى وجرحى ومعاقين وخسائر غير محسوبة.

ولسائل أن يسأل:

متى يصبح الإنسان متطرِّفًا؟

أقول:

ـ عندما يكون قابلًا للشّحن فيشحن بالأحقاد.

ـ عندما يجهل الواقع علمًا ومعرفةً.

ـ عندما يرفض كلّ ما هو مرضٍ للغير.

ـ عندما يرى فكرته صادقة بالمطلق ويتعصَّب لها.

ـ عندما يرى ما يخالف فكرته أو اتجاهه باطل بالمطلق.

ـ عندما يعتقد أنَّ آراءه وحدها تحلّ المشكل الإنساني وهي المنقذ.

ـ عندما يصبح مغالٍ في آرائه.

ـ عندما يرى نفسه مركزًا، ولا مركز غيره.

ـ عندما يصبح الفكر المتطرّف عنده حلًّا.

ـ عندما يقيِّم الغير عدوًّا في الوقت الذي لم يظهر الغير فيه عداءً.

ـ عندما ينصِّب نفسه مفتيًا بغير فتوى.

ـ عندما يؤهَّل إلى أفعال التطرُّف.

ـ عندما تحل الشَّراسة محلّ العاطفة وتنزع الرَّأفة من النَّفس.

_ عندما يقرّ أفعال التطرُّف وكأنَّها أمر واقع يستوجب الأخذ به.

_ عندما ينشر تعاليم إكراه الآخر.

_ عندما يقدم على كلّ ما من شأنه أنْ يؤلم الإنسان ويقلل شأنه.

ومن ثمَّ فالتطرُّف هو: انحراف الفكر البشري عن نقطة الارتكاز (الصّفريَّة) سلبًا أو إيجابًا ممّا يؤدّي إلى الخروج عن مألوف العقل في الفكر والسُّلوك والتصرّف، أيّ: إنَّه خروج عن الإجماع الإنساني الذي توافقت البشريَّة عليه: (قبول ما يجب ورفض ما لا يجب) خدمة لمصلحة الإنسان وحفاظًا على:

. جوهر العقل.

. صفاء النَّفس.

. صون الممتلكات.

والحفاظ على هذه العوامل ضمن النسبيَّة المتاحة يجعلنا قريبين من نقطة الارتكاز عندما نجعل هذه المحدّدات شروطًا أساسية تفضي بالضرورة إلى الابتعاد عن التطرّف وبخاصّة عندما يُجمع أفراد المجتمع على ضرورة التمسّك والالتزام بما يقبله الوعي الجمعي بعقله الجمعي، بحيث يحافظ على نقطة الارتكاز التي لا يجنح فيها سلبًا ممّا يؤدّي بالضرورة إلى عدم الاحتكاك بالتطرُّف؛ وهذا بدوره يؤدّي إلى وضع التطرّف في موضعه من الوجود فكرة تجريدية غير قابلة للتطبيق على أرض الواقع، أي: لا تجد لها مكانًا كونها تواجه نفسا صافية وعقلًا سليمًا.

ومن هنا، فإنَّ العقل السليم الذي ينتج الفكر السويّ لا ينحصر في عدد من الأفراد الذين يريدون فرض رأيهم على المجتمع، بل إنّه ينسحب على الجميع ولا تفريق.

وحتى من يدّعي فهم النصوص التي تحمل طابع القداسة، لا يمكن له أن يفرض فهمها على المجتمع، لأنَّ المجتمع له وعيه الجمعي بما اختزنه في عقله من تجاربه وما يحمل من ثقافة؛ ولهذا فلا إكراه: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[1]، فقوله: (وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) ينفي ظهور وسطيّة بعد محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام أي: ينفي وسطيّة بين العباد وخالقهم؛ ولهذا فالمؤمن ليس له إلَّا التبشير والدعاية بما جاء به محمَّد منزَّلًا، ويترك حرّيَّة الاختيار والطَّاعة للمستهدفين بالدعوة والهداية والتحريض والتبشير. فقوله: (وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) يسري على الطرفين: فهو السّميع العليم بما يقوم به الهادي أو المبشّر والمحرّض وبما يأخذ به أو لم يأخذ المستهدف بالهداية والتبشير والتحريض.

التطرُّف والإرهاب:

قال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ}[2].

هنا يجب ألَّا يُفهم الإرهاب تطرُّفًا ومن ذهب إلى أنّ التطرّف إرهاب فقد بنى رأيه على اجتهاد فكري، وكل نتاج فكري قائم على فهم نصّ معين يحتمل الخطأ والصواب، وإن كان ذلك النصّ مثاليًّا، إلاّ أنّ فهمه لا يعدو كونه فكرة أو رؤية من نتاج بشري لا يخرج عن كونه تصوّرًا شخصيًّا منطلقًا من تجربة أو ناشئًا عنها؛ ولذا فهو لا يرتقي مطلقًا إلى مستوى اليقين لنسلّم به، ولا يعطي التطرّف معنى الإرهاب، ومن يحمل الإرهاب على محمل التطرّف، فهذا لا ينقص من الإرهاب قيمته، ولا يمنح التطرّف إيجابيّة، وعليه: فهو قابل لمفاهيم التفكير البشري في التداول؛ ولهذا ينتابه الصّواب والخطأ، ويحتمل الأخذ منه

[1] البقرة 256.

[2] – الأنفال 60.

والردّ عليه، وقابل للتغيير والتبديل؛ ولذلك يكون متأرجحًا بين القبول والرَّفض، ورفضه أكثر من قبوله؛ لاختلاف المصطلحين في المفهوم والدّلالة والمعنى.

إنَّ ظاهرة التطرُّف التنظيري لدى الإنسان تبدو لنا: أنَّ فكرة ما تذوب في الأنا حتى تصبح جزءًا من الذَّات التي لا تنفكّ عنها، بحيث تصبح هي الذات، وبالتَّالي يتولّد شعور لدى صاحب الفكرة أنَّ أيّ نقد أو مخالفة لهذه الفكرة هي في الأساس موجّهة إلى الذات نفسها من أجل استقصائها، علمًا أنّ الإرهاب غير هذا المفهوم، ولا ينطبق عليه من قريب أو بعيد؛ لأنَّ الإرهاب هو اعتراف بالآخر؛ فإن لم يكن تصريحًا، فهو تلميح، وذلك أنَّ:

. إعداد العدّة (لترهبوا) هو اعتراف ضمني بوجود آخر.

. الإرهاب يدفع الأنا والآخر إلى الاتزان.

. التطرّف يدفع الأنا والآخر إلى الاضطراب.

. التطرّف لا يعترف بوجود الآخر.

وعليه:

فالذات صاحبة فكرة التطرّف لا تقوى على العدول عن الانحراف من أثر الفكرة التي أفقدتها قدرة التحمّل أو معايشة المخالفين لها، وأصبحت ترى القبول والمعايشة هو قبول في فناءِ الذات واضمحلالها، ومن هذا الشّعور تتطلّع إلى إثبات الأنا من جديد؛ فتسعى إلى إلغاء الآخرين بشتى السُّبل المتاحة؛ فتُقصي إذا أمكن الإقصاء، وتقتل إذا استوجب القتل بناء على الدوافع في إثبات الأنا، غير أنّ الإرهاب القائم على إعداد العدّة، هو دعوة إصلاحيَّة تحمل التحسّب والحذر، ولكنَّها لا تنكر الآخر ولا تسعى إلى إلغائه.

ومن هنا نجد أنَّ الفكر المتطرّف لا يترك مسافة هي ضرورية كي تفصل بين الذات الإنسانيَّة المتمثّلة في جميع أفراد الإنسان، والفكرة التي يتبناها هو؛ إذ ليس من المعقول أن يتبناها الجميع، بل من الطبيعي ألا يعتنق الجميع فكرة واحدة، أو يجمعون على نظريّة لم يستشاروا في وضع أسسها؛ ولذا يكون الإرهاب مناقضًا للتطرّف في ترك المجال مفتوحًا للجميع في إعداد العدّة، والمحافظة على المسافة الآمنة بينه وبين الآخر لما يحمل من اتزان في التصرّف والسُّلوك، ومن جانب آخر أنّ الإرهاب في إعداد العدّة أمر مجمع عليه ويعمل به كلّ إنسان دون أن ينكر عليه ذلك أيّ إنسان إلاّ المتطرّف.

إنَّ سُنة الله في خلقه تقتضي الاختلاف في الرّأي؛ لاختلاف البشر في الرؤى مصداقًا لقوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاس أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[3]، أي: إنَّ الخالق تعالى جعلنا على الاختلاف الذي لا يتغيّر (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) فهو تعالى لو شاء لنا ألَّا نكون على الاختلاف لخلقنا أمَّة واحدة: (نوع واحد) كلّنا ذكور أو كلّنا إناث، أو كلّنا على ذوقٍ واحد، أو طولٍ واحد وكأنّنا أوراق منسوخة؛ فلو خلقنا هكذا نُنسخ بعض من بعضٍ لما كان للمحبّة معنى، وما كان للتطوّر حيّزًا، ولا للتنافس وممارسة الحرّيَّة شأن.

ولهذا فالاختلاف آية من آيات النقص تجعل الكلّ في حاجة للكلِّ، وبالتَّالي:

_ لا للانفراد.

_ لا للتعصّب.

_ لا للواحديَّة إلَّا لله تعالى.

---

[3] هود 118، 119.

وفي المقابل:

ـــ نعم للمشاورة.

ـــ نعم لممارسة الحرّيَّة.

ـــ نعم للتعاون.

أي: كلّنا خلقنا منقوصين؛ ولأنَّنا هكذا خلقنا فنحن في حاجة لبعضنا بعضًا؛ ولهذا:

ـــ لا للتهميش.

ـــ لا للتغييب.

ـــ لا للإقصاء.

ـــ لا للإكراه.

ـــ لا للتطرُّف.

وعليه:

فمن البلية أنَّ الفكر المتطرّف يثور عندما يسمع رأيًا يخالف اعتقاده أو عندما يرى الآخر يعتقد رأيًا مغايرًا له، وقصور هذه النظرة تدفعه إلى التعامل معها على أنّها قضية وجود أحدهما ممّا يدفع إلى استقصاء الآخر، فلو أخذ المتطرّف بأسباب الإرهاب وصولًا إلى المنعة مع عدم الاعتداء لكان في غنى عن التطرّف، ولما أنكر ذلك عليه أحد، على العكس من التطرّف الذي ينكره كلّ أحد.

ومن المفارقات الواضحة بين التطرّف والإرهاب، أنّ التطرّف قائم على فناء الذّات فيما تعتقد من فكر يخرج عن الإجماع، وهذا الاعتقاد آفة التطرُّف

التي يجب إيقاف تبلورها وتفكيك جزئياتها بشكل أو بآخر، في حين أنَّ الذات الإرهابيَّة هي التي تسيطر على الفكرة وتسخّرها لتحقيق الغاية الإرهابيَّة.

وللوقوف على منابع الفكر التطرّفي واعتقاداته التي تظهر لنا مفارقة للإرهاب ومبتعدة عنه مفهومًا ودلالة، لا بدّ من العودة إلى الجزئيَّات التي تمثّل التطرّف والإرهاب مادّةً وفكرًا من حيث الوجود، فاللجوء إلى الأسبقيَّة التَّاريخيَّة لوجود كلّ من الذات مادة والفكر اعتقادًا يحدّد لنا بدايات التطرّف ومنطلقاته وأسبابه، ومنطلقات الإرهاب وأسسه، ومن هنا يكون التركيز على أنّ الذات هي الأساس أو هي صاحبة الأسبقية قبل تبنّي أيّ فكرة، وهذا يبيّن لنا منابع الفكر الإنساني وأوَّليَّاته، بمعنى: أنَّ الإنسان يُخلق ذاتًا فطريَّة، ومن ثمَّ يكتسب الأفكار ويجعلها عقيدة، وفي هذه الأفكار تتداخل كثير من الأسس التي تبنى عليها المعتقدات، ومنها:

. الدين عقيدة.

. العادات والأعراف والتقاليد الاجتماعيَّة.

. الاقتصاد والملكيَّة.

. الجغرافيا والبيئة.

. التَّاريخ والإرث الثقافي.

فهذه العوامل تكسب الذات الإنسانيَّة صفات تميّزها عن غيرها من الذوات المخلوقة؛ فهي إنسانيَّة الطبع والطّابع؛ لأنَّها تقبل التعايش وإن كانت مختلفة في الانتماء واللون والشّكل واللسان.

إذن: من الضرورة بمكان ألا تغيّر الأفكار التي يتبنّاها الإنسان وتدل على قابليته الإنسانيَّة على التعايش مع المجتمع وقبول الآخرين، لكي تحافظ

هذه الأفكار على إنسانيَّة الذات، ومن ثمَّ يصبح لها الحقّ في الدفاع عن ذلك والاستماتة من أجله بشرط: أن يبقى الأساس قائمًا على حرمة الذات الإنسانيَّة وأحقيتها في الوجود، فإنْ تعامل الفكر الإنساني بمكتسباته الثقافيَّة وفق الناموس العام للمجتمع يكون قد أخذ بمعطيات الإرهاب المشروعة، وإن انحرف بهذه المكتسبات العقليَّة وخالف بها الإجماع وكان ضررها أكبر من نفعها؛ فيكون قد حوّل هذه المعطيات إلى الاتجاه التطرّفي[4].

[4] الإرهاب بين مادحيه وقادحيه، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م، ص 117 – 120.

أنواع التطرّف

. التطرّف والدين:

الدين من عند الله تسامح ومودة وتآخٍ ورحمة بين الأنا والآخر؛ فلا تطرُّف فيه، ولكن التطرُّفَ إن أُلبسَ للدين فلا يلحقه، بل التطرُّفُ يلحق من حاول إلباسه إياه فهو عند المسيحيين يقال: (إذا ضربك أحد على خدك الأيمن فأعطه الخدّ الأيسر)، وعند المسلمين الله يقول: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}[5]، ويقول: {وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ}[6]؛ ولذلك فالدين شيء والتطرُّف شيء آخر؛ فإذا كانت الأديان السماويَّة من التسامح والدعوة إليه بما لا نجده في أيّ نصٍّ أو كتاب، إذن: فما هي المبررات والمعطيات التي أوجدت مصطلح التطرّف الديني، ألا تكون هذه كلّها من أفعال المتطرّفين أنفسهم وسلوكهم!

وإذا كان الوعي والفهم لبعض بني البشر قاصرًا عن إدراك مقاصد النصوص الدينيَّة، أو أن البعض الآخر ينحرف بمقاصد هذه النصوص عن غاياتها النبيلة من أجل تبرير موقف، أو الوصول إلى غاية قضاء المآرب من خلال التطرّف بالبعد عن حقيقة النصّ الديني أو قصد عدم فهمه؛ فمن غير الحق أن ينسب التطرّف إلى الدين.

القراءة متغيّرة، والنصّ ثابت:

النصّ الديني ثابت واجب الحفاظ عليه، وأمّا مسألة القراءات المتغيّرة فهي من أجل فهم النصّ من وجوه متعددة تفضي بالنتيجة إلى سبيل واحدٍ وإن

[5] - البقرة 256

[6] آل عمران 159.

تشعّبت طرقها واختلفت أساليبها لدى العقلاء؛ من أجل التيسير ومواكبة كلّ عصر وما يستجدّ به من أحداث تستدعي قراءات جديدة وليست متغيّرة؛ لأنّ القراءات الجديدة وفق هذا الإطار تحافظ على القراءات السَّابقة التي أدّت دورها في عصرها، وأمّا القراءات المتغيّرة فيجب أن تتضمّن فسح المجال للتفاعل مع العلوم ومعطيات العصر وتطوّره في إيجاد نوافذ المناخ الملائم للابتكار والإبداع والتجديد.

إنَّ تعدّديَّة قراءة النصّ الديني من قبل كثير من الباحثين والمثقفين والمفكرين تطرق أسماع البعض؛ لتقذف في تفكيرهم روح البحث عن حقيقة هذه القراءات وخلفياتها وطموحاتها، وبخاصّة عندما كثر ترديدها من أفراد وجماعات لا تُعرف بعلاقة ودّ مع الخطاب الديني عامّة والخطاب الإسلامي على وجه الخصوص، وربما كثير منهم أيضًا اتخذ من هذه القراءات شعارًا في الممارسة من أجل أن يلوي عنق الحقيقة انطلاقًا من أهدافٍ ووصولًا إلى غاياتٍ خدمةً لمصالح.

هذه القراءات كانت قبل عقود مضت حكرًا على الاتجاه العلماني بشقيّه اليمين واليسار في تطرّفهم ضدّ الدين، ومن ثمّ انضم إلى هذا الاتجاه عن قصد أو عن سوء فهم جماعة الغلو من المسلمين التي قرأت النصوص الدينيَّة وفهمتها على طريقتها الخاصّة حين وجدت نفسها محاصرة بقراءات أهل الذكر من العلماء والفقهاء في القديم والحديث استنادًا إلى قواعد وأصول فهم الخطاب الديني وفق نظمه وأسسه المستندة إلى مجموعة الأسس والقواعد الأصوليَّة في العدل والضبط.

إنَّ القراءة المتغيّرة من الغلاة للنصّ الثَّابت ما لم تستند إلى ضوابط فهم النصّ الديني فسوف تؤدّي إلى تغيير مدلولات النصّ وانعكاساته السُّلوكيَّة، الأمر الذي يفضي بالنتيجة إلى الالتقاء بين طرفي المشكلة من متطرّفي العلمانيَّة

وغلاة المسلمين قصدوا ذلك أو لم يقصدوه؛ لأنّ القراءات المفارقة لثوابت فهم النصّ في العدل والضبط سوف تؤدّي إلى تفكيك النصّ وتفريغه من الحقّ وعدميّته في القول والفعل والسُّلوك، ومن ثمّ يجعل الأبواب مشرعة أمام كلّ اتجاه، أو مذهب، أو جماعة، أو حزب، أو طائفة، أو حتّى على مستوى الفقيه الواحد أو المفكّر الواحد أن يُعمل قراءته الخاصّة في النصّ الديني سواء أكان هذا النصّ قرآنا أم غير ذلك، انطلاقًا من معطيات ذاتيَّة من المعارف والثقافات التي يتمتّع بها، وتكون ذات مصادر متعدّدة ربّما تذهب إلى البيئة والجغرافيا والعرق، وبهذا النّوع من القراءات يَخرُج النصّ الديني عن حقيقته الإلهيّة ليُطوّعَ لأغراض دنيويَّة!

فمن الذي يلزم الآخر الاتّباع؟

القراءة هي التي تلزم النصّ أن يتبعها، أم أنّ القاريء هو الذي يلتزم النصّ وروحه!

إنّ قراءة النصّ الديني ليست قراءة نقديَّة يُحاجج بها مبدع النصّ؛ فمن يعمد إلى ذلك أو تكون قراءته بهذه النظرة فسوف يخرج بانطباعات نفسيَّة لا تمتّ إلى الأحكام العقليَّة والمنطقيَّة بصلة، ويكون الحكم على القراءة بالشعور والانطباع الذي يودّي به إلى منعرجات التطرّف.

إنّ التغاير في القراءات المستندة إلى الأصول الضوابط هو من باب التوسعة ومجاراة معطيات كلّ عصر وما يطرأ فيه من تطورات من أجل إيجاد حلول لقضايا لم تكن موجودة من قبل، وهذا لا يقتصر على النصّ الديني، بل حتى النصوص الوضعيَّة يُعاد قراءتها من أجل إيجاد حلّ لمشكلة لم تكن موجودة قبل وضع النصّ الوضعي، فإذا كانت النصوص الوضعيَّة المرحليَّة تُعاد قراءتها من وجوه متغايرة، فمن باب أولى أن تُعاد قراءة النصوص الإلهيَّة التي تتّصف بالديمومة طالما جرى الزّمان على المكان.

إذن: مشروعيَّة تعدّديَّة القراءات المتغايرة للنصوص لا تقف عند حدود النصّ الديني، ولن يكون ذلك مقبول على النحو الذي يدعو إليه التطرّف أو المتطرّفون.

إنّ مشروعيَّة القراءات المتغايرة تشمل جميع النصوص الدينيَّة منها والوضعيَّة على حد سواء، وفقًا لهذا المنطق وانطلاقًا من هذه المسلَّمة؛ فلو عدنا إلى جملة من التراث الإنساني في الفكر والأدب والفلسفة لوجدنا لها مئات من القراءات المتغايرة تحاول أن تربط نفسها بالنصّ إضافة إلى كونها منطلقة منه أصلًا وهو منطلقها.

إنَّ التغيير والتبديل الذي نقف عليه من أفكار في فهم النصوص ملازم لأذهان النَّاس بما يختلفون من ثقافة ووعي، إلا أنّ الدين ثابت من حيث النصّ، أمّا التعامل فيكون باختلاف القراءة وحسب فهم القارئ، وأمّا الذين لا يعتقدون دينًا سماويًّا فلديهم عرف مكوّن من مجموع قيم المجتمع، مما يجعل من هو خارج عن المجتمع بسبب فهمه الخاطئ أحيانًا لهذه الأعراف في دائرة المنحرفين والمتطرّفين.

ومع أنَّ الديانات السماويّة (اليهوديَّة والمسيحيَّة والإسلام) هي ذات نصوص ثابتة، إلا أنّنا نجد في الديانات الثلاث من هم من أصحاب اليمين، ومن هم من أصحاب اليسار، ومن هم من أصحاب الوسطيَّة؛ فلماذا هذا التعدّد الثلاثي (يمين ويسار ووسط)؟ إنّ مردّ ذلك لا يأتي إلا من القراءات المتغايرة للنصوص الدينيَّة وسواها.

ولذا؛ لا يوجد علم على الإطلاق أيّا بلغت مكانته، أو سما مصدره (وحيًا سماويًّا)، أم فكرًا بشريًّا، إنسانيًّا واجتماعيًّا كان، أم طبيعيًّا وتطبيقيًّا يسلم من الانحراف في التأويل نتيجة الفهم الخاطيء أو القصور عن الفهم أصلًا، فيقع الفكر في دائرة التحيّز الذي يفضي إلى الانحراف الموقع في التطرّف.

لقد أثبتت الحقائق والدراسات والبحوث حقيقة ذلك الإشكال وقيام الأيديولوجيا بتأثيراتها في صياغة العديد من القوانين والنظريَّات الفكريَّة والعلميَّة بلا استثناء، هذا فضلًا عن الانحراف أو التطرّف في التطبيق أو الممارسات.

إنَّ الفهم المتغيّر للنصّ أحيانًا ما يكون مناقضًا لروح النصّ الذي يفضي إلى:

. بدأ التطرّف عن عدم فهم النصّ.

. التمسّك بالرّؤية الخاطئة نتيجة الفهم الخاطيء.

. عدم المقدرة على الوصول إلى معطيات النصّ.

. الخروج على معطيات النصّ الثّابت بمعطيات أقحمتها القراءة على النصّ.

هذا الخروج عن معطيات النصّ الثّابت يؤدّى إلى تثبيت فكرة جديدة مناقضة للمعطيات تدفع صاحبها إلى اعتناق استنتاجاته الفكريَّة الخاطئة التي تدفعه إلى التطرّف الفكري بتثبيت ما يعتقد، وعندما يتجاوز التطرّف الفكري التهيّؤ والاستعداد إلى أن يصل إلى التنفيذ في الرّؤى كرهًا يكون على حساب الآخرين وباسم الدين والدين منها براء.

إنَّ الدين وحقيقته هو التنزيل من ربّ السَّماء لا انحراف فيه ولا خطأ ولا تطرّف، وربّ السَّماء هو ربّ الكافَّة وليس ربّ الخصوص.

إنَّ التغاير في قراءة النصوص لدى القاصرين عن مواكبة النصّ للحدث أنتج لديهم اختلافًا كبيرًا في القول والفعل والعمل والسُّلوك نتيجة القصور الثقافي وإنْ وجِد الجانب العلمي؛ ولذلك فالمعارف التي يكتسبها الإنسان يجب أن

تهذِّب كلّ سلوكه، وتخلّصه من الشوائب والانحرافات السُّلوكيَّة والتطرُّفات الفكريَّة.

وبالتَّالي: فإنّ تعامل هذه العقليَّة مع النصوص يكون في أعلى درجات المنطقيَّة البعيدة عن الانحراف والتطرّف، الأمر الذي يجعل من الإنسان سوي السُّلوك ومستقيم الاتجاه؛ ولذلك فهناك من يكون قوله وفعله وعمله وسلوكه متطابق مع معطيات النصّ الديني (هو كما هو) بما أُريد له أن يكون دليلًا للبشريَّة، ولكن أيضًا هناك من ليس كذلك.

إنّ التطابق بين القول والفعل وبين العمل والسُّلوك يوجد عند البعض مبنيًّا على إرادة تدفع الفكر الذي يجمع القصد والاتجاه مع العلم وقيام الحُجّة إلى هدف يريد إنجازه وغاية يبتغي تحقيقها بما لا يخالف مقاصد النصّ.

وقد تجد التعارض واضحًا لدى البعض الآخر فيما يحمله من مبادئ ناتجة عن قراءة سليمة، تدعو إلى قيم إنسانيَّة ومثاليَّات رفيعة، وبين ما تنمّ عنه سلوكيَّاتهم العمليَّة التي تنزل بهم إلى مستوى التنكّر العام لكلّ تلك القيم والمثاليّات التي يقولون بها.

هذا التناقض عند الأنا مدعاة لظهور بعض الممارسات في التطرّف من الآخر كصرخة احتجاج مدوّية على ما يحمله هذا التناقض الصارخ بين القول والفعل، وبين العمل والسُّلوك من معانٍ تظهر شدّة التباين وتعبّر عن الفهم الخاطيء لمقاصد النصّ.

فالفجوة الكبيرة بين الأقوال والأفعال، وبين الأعمال والسُّلوكيّات في هذا الصدد تظهر صورًا كثيرة من سيطرة العادات والتقاليد والموروث الثقافي عامة على المجال الفكري لدى كثير من القراءات المغايرة، بحيث تحاول تطويع النصوص لما تحمل من أفكار تريد أن تمنحها صفة القداسة عن طريق قراءة

النصّ الديني والخروج بالنتيجة التي كانت محدّدة مسبقًا قبل القراءة من قِبَل القاريء؛ ولذا تخرج الأفكار متذبذبة بداية شيئًا فشيئًا إلى أن تستقر في مقرّ التطرّف، ومن هنا لا يكون ثمّة توازنٍ بين القول والفعل، وبين العمل والسُّلوك في هذا الإطار.

ولما كان أصحاب الأفكار الموجّهة التي تبحث عن دليل من النصوص تنسب نفسها إليه أو تصدر عنه وفق رؤيتها، جاء العمد إلى تطويع القراءة ومفاهيمها إلى ما يُحمَل من أفكار يُستنبط منها أحكام تدفع إلى مواقف التطرّف سواء أكان أصحابها سياسيون يريدون أن يوظفوا الدين لمآربهم، أم الآخرون الذين قد يبنون رؤيتهم على الظنّ أو لجهلٍ قد ألمَّ بهم، فالذين يبنون رؤاهم على الظّن (الباطل) تكون تقديراتهم في غير محلّها، مما يؤدّي ببعضهم إلى ارتكاب أفعال التطرُّف.

وأمّا الجهل فمردّه إلى التزمّت في الرأي الصادر عن القراءة في ادّعاء العلم ورفض الآخر وعلمه؛ فكانوا جاهلين بما يعلمون وبما يعلمه الآخرون مما لا يعلمون؛ ولذا خرجت آراؤهم عن العلم بجهلهم، عندما حمّلوا النصوص ما لا تحتمل عند العلماء على غير ما هي عليه وقالوا على العلم بغير علم.

ولما كانت آراء هؤلاء ومن هم على شاكلتهم إمّا ظنًّا (كاذبًا) وإمّا جهلًا (باطلًا) فلا بدّ أن يؤدّي إلى انحراف يفضي إلى التطرّف، والجهل والظنّ أوَّل ما ينتج عنه اختلال في الفهم والعلم يترتّب عليه تطرّف في العمل والسُّلوك نابع عن إرادة.

ولأنّ الأفكار هي الموجّهة للسُّلوك والضابطة له والمتصلة اتصالا وثيقًا بالأعمال الصادرة عن الإنسان، فإنّ الفهم الخاطيء للنصّ الثابت يؤدّي إلى تطرّف فكري يترتّب عليه تطرّف في العمل والسُّلوك.

وكما أنّ السُّلوك السويّ يمتلك إرادة كما أشرنا، كذلك السُّلوك المنحرف الذي يؤدّي إلى التطرّف هو أيضًا صاحب إرادة؛ ذلك أنَّ الإرادة قوّة من القوى المحركة للإنسان مرتبطة بالتصميم والعزم على فعل الشيء بعد التهيّؤ والاستعداد والتأهّب، فعنها تصدر الأعمال الإراديّة للإنسان، ولا بدَّ من القول إنَّ الإرادة غير الرَّغبة التي تميل النَّفس إلى تحقيقها، ولكن الفرق أنّ الميل برغبة والإرادة بحزم؛ ولذا قد يوجد الميل ولا توجد الإرادة، والإرادة تشمل الميل والشعور والحزم ثم العمل؛ ولذا فهي القوى المحركة لملكات الإنسان والدافعة لها إلى العمل.

فعند وجود التطابق في الرؤية والمفهوم مع النصوص يصبح القول والفعل والعمل والسُّلوك متوازنًا مع رؤية النصّ المؤسّس للقدوة الحسنة، أمَّا إذا تمّ الحياد عنه فيصبح الفعل والقول والعمل والسُّلوك في أودية بعيدة المقاصد، الأمر الذي يجعل القراءة وفق رؤية الشّخص أو القارئ قاصرة عن استيعاب النصّ (هو كما هو)، وعندما يتولّى المتشبّع بتلك الرُّؤى الآخرين بالإرشاد والتعليم سيكون الآخرون في هذا الاتجاه الذي انحرف وتطرّف عن النصّ؛ فهنا تتعدّد الرؤى مع أنّ اتجاه النصّ واحد، ولأنّ الدين ثابت والقراءات متغيّرة فالقراءات تتبدّل وكذلك المواقف.

ولذا؛ وجب على القراءات المتغايرة أن تسترشد بالحُجّة دون التمسّك بالأحكام المسبقة، وعند الاحتكام ينبغي العودة إلى النصّ الأصلي لا العودة إلى ما كُتب عنه، فرؤى الأفراد والجماعات التي كُتبت عن النصّ هي رؤى غير كاملة مقارنة مع كمال النصّ الديني؛ ولهذا فالقراءات السليمة تؤكّد على أهميَّة الفضائل التي تُعدّ من الثوابت التي لا مناص عنها، والقيم السامية بأساليب متنوّعة ترتقي من حسن إلى أحسن وتفضي إلى تجويد النصّ والتمسّك به، أمّا الانحياز عن أبعاد النصوص ومفاهيمها فلا يُعدُّ تنوّعا، وإنّما يُعدُّ اختلافات وتباينات تستوجب من أصحابها المراجعة التي يتمّ من خلالها المقارنة الموضوعيَّة

للقول والفعل والعمل والسُّلوك مع أبعاد النصّ ومراميه الرَّئيسة من أجل العودة إلى جادة الحقّ؛ ولهذا فإنّ تطرّف الأفراد والجماعات أو عدم تطرّفهم رهين الفهم الصحيح والاستيعاب أو عدم ذلك، وهنا إن أردنا إصلاحًا فإمكانية عودة المتطرّفين ميسّرة والسُبل واضحة وطرقها سهلة، وأساليبها في دائرة الممكن متنوّعة ومتعدِّدة.

ولكن هل كل أحدٍ قادر على قراءة النصّ؟

إنَّ قراءة النصّ ميسّرة ومُمكنة لمن أراد أن يمتلك معطيات قراءة النصّ، ولكن هذا غير متوّفر عند البعض؛ لذلك يلجأ الكثير من هؤلاء إلى انتقاء قراءات سابقة باتجاهات سابقة خارجة عن النصّ، ومع ذلك يتمسّك بها وكأنّها النصّ وهي ليست كذلك، هذا الأمر لا يؤدّي إلى الحلّ، فالحلّ يستوجب العودة إلى المصدر الذي يُحتكم به ويحتكم إليه، إنّه المصدر المحايد الذي لا وسيط فيه ولا توسط، بل الاعتدال المحقّق للتوازن بين المراكز مهما تعدّدت داخل الحدود وخارج الحدود؛ لأنّ الربّ واحد، والحقّ واحد، والدين واحد، والعدل واحد، ولكنّ الذين ينحرفون في قراءة النصّ ليسوا على مستوى واحد وهو ليس عيبًا، ولكنّ العيب أن تصدر أحكام من هؤلاء وهي لا تتطابق مع النصّ الذي يرى أنّ الجميع هم المركز، وعندما تتعدّد القراءات على البيّنة الواحدة وإن تعدّدت أساليبهم ورؤاهم فوجب أن لا تخرج عن الحقّ والعدل.

ومن العيب أن تتعدّد المراكز على حساب مراكز آخرين، وهذا ما يولّد التطرّف، ومن ثمَّ واجب على الجميع أن يعترف أنّ الكلَّ مركز وفقًا لقدراتهم واستعداداتهم وثقافاتهم وإمكاناتهم الشخصيَّة ومهاراتهم ومعارفهم وعلومهم.

إذن: فأين الدين من التطرّف؟

إنّ الديانات السّماويّة على وجه العموم جاءت لتخرج النَّاس من الظلمات إلى النّور؛ فما من عاقل يقول: إنّ دينًا من عند الله تعالى جاء ليدعو النَّاس أو بعضًا منهم إلى التطرّف أو العنف أو سفك الدماء بغير حقّ، ودليلنا في ذلك أنّ هذا الاتّهام لا يوجّه إلى الكافة من معتنقي دين معين سواء في ذلك الإسلام أم المسيحية أم اليهوديَّة، وإنّما يوجّه هذا الاتّهام إلى بعض من معتنقي هذه الأديان، ولما كان توجيه التّهمة للبعض فقد خرج البعض الآخر وتمّ تبرئتهم من التطرّف على الرّغم من أنّهم يدينون بدين من وجّه إليه الاتّهام في التطرّف.

ولأنَّ الدين من عند الله يأمر بالعدل والإحسان، والتطرّف ليس من العدل في شيء وبعيد عن الإحسان بأشياء، فَلِمَ يربط البعض التطرّف بالدين ويسوّقونه تحت عنوان: (التطرّف الديني).

وهنا لا ينبغي التسليم بربط الدين بالتطرّف ومزجهما في مصطلح يرمي إلى مهاجمة دين بعينه لتطرّف أفراد قد فارقوه (مراكز كانوا أم أطرافًا).

فهل المتدينون متطرّفون لأنّهم متدينون؟ أم المتطرّفون متديّنون لأنّهم متطرّفون؟

من طبيعة الأمر ألا يكون هذا ولا ذاك؛ لأنّ المتديّنين متمسّكون بدينهم الذي يأمرهم بالعدل والإحسان وإحقاق الحق وإعمار الأرض وعدم إقصاء الآخر وعدم إراقة الدماء بغير حقّ، ولأنّ المتطرّفين بعيدون عن الدين الذي يأمر بالعدل والإحسان والإصلاح في الأرض وإعمارها وعدم إقصاء الآخرين وعدم إراقة الدماء بغير حقّ، لا علاقة لهم بالنصّ المقدّس في الكتاب من عند الله، فهم المتطرفون والدين ليس كذلك.

إنّ الذين أطلقوا مصطلح التطرّف الديني أرادوا من ذلك دينًا بعينه (الإسلام) وقالوا: إنّه يشكّل خطرًا على الحضارات الأخرى، فالذين أطلقوا

المصطلح على هذا الدين ويتحدّثون عن هذا الخطر المزعوم هم ما بين جاهلٍ ومتعمّد في عدم فهم حقيقة هذا الدين الذي يتّهمونه بالتطرّف، غير أنّ هذا الخطر إن وجد يكمن في تكوين مجموعات متطرّفة تتخذ من أيّ دين غطاء لها كنوع من تبرير العنف الدَّموي التي تريد أن تضفي عليه مشروعيَّة نتائج أعمال وسلوك المتطرّفين، ومن الواجب ذكره أنَّ الذين عمدوا إلى إلصاق التطرّف بالدين قد تناولوا النتائج وأهملوا الأسباب التي أوجدوها؛ فكانت مدعاة إلى نوع من الرَّفض لممارسات غير مشروعة في المواقف السياسيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة باعتبارها المنابع المغذية للتطرّف من متطرّفٍ أوَّل إلى متطرّفٍ ثانٍ وهكذا يزاد التعدد؛ ما يجعل التطرّف الأوَّل لا علاقة له بالدين، ولا التطرّف عن التطرّف نابع من دين بذاته.

وهناك من يرى في الأصولية خروجًا عن النصّ ويذهب إلى أنّها تغذي التطرّف وتدفع إليه وهذا بعيد كل البعد عن الحقيقة؛ لأنّ الأصولية تعني التمسّك بالجذور الدينيَّة والعودة إلى أصولها في محاكاة النصّ والالتزام به، وهو ليس حكرًا على دين دون سواه وفي كل الأديان.

التطرُّف وفروقات المفاهيم:

الجهاد عند المسلمين فضيلة وقيمة مُقدّرة، به يُقدّر من يَقدِم عليه فعلًا وسلوكًا، وهو الحقيقة بدلالتين: دلالة سلوكيّة ظاهرة أو مشاهدة، ودلالة عقليَّة كامنة أو ملاحظة، فعند الإقدام على تنفيذ الفعل الجهادي، يعرّض الشخص المجاهد نفسه إلى مواجهة الموت الذي بالضرورة سيفوز على الموت بموته؛ ولذلك يُكتب له الاستشهاد ويكون شهيدًا، والعرب في مورثها الثقافي تقول: (من يطلب الموت تُكتب له الحياة)، والشهيد حيّ؛ لقيامه بأعمال الجهاد الممجَّدة من قِبل الجميع تمجيدًا يجعل المقدِمَ عليه على الألسن الشاكرة والمثنية؛ وذلك بمقارعة المجاهد للموت عن حقّ دون خوف أو تردد، وكلّ من يستشهد على

الحقّ بإرادة واعية يعترف الجميع له بأنّه شهيدٌ على الحق: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}[7]؛ ولذلك فالجهاد في سبيل الله ليس اعتداءً على الآخرين، وليس في سبيل سلطة، أو ثروة على حساب الآخرين ومصالحهم وحقوقهم.

ومن الناحية الإيمانيّة يُعدّ المجاهد منتصرًا منذ قبوله تحدّي الموت الذي يفوز عليه أوّلا عندما أصبح الموت بالنسبة إليه لا يشكّل حاجزًا من الخوف، ويفوز عليه قبل ذلك عندما قرّر المنازلة معه دون خوف، وفي كلتا الحالتين يكون المجاهد منتصرًا إمّا بتحقيق النصر، وإمّا بتحقيق الشهادة، أمّا الذين يطلقون مصطلح الانتحار على صاحب هذه العقيدة وأنّه قدّم نفسه للتهلكة بإرادة؛ ذلك أنّهم لا يعرفون المبررات العقائدية والإيمانيّة والمعرفيّة التي جعلت من الخائف مخيفًا لأولئك الذين جعلوا من الجهاد والفداء انتحارًا.

فالانتحار بالمصطلح المتداول في معناه ليس له أصل في لغة العرب وثقافة المسلمين، ولا في إرثهم الحضاري، ومثله في ذلك مثل بقية المصطلحات الوافدة على الثقافة واللغة في استبدال معنى مصطلح بمصطلح غيره، أو إعطاء مصطلح غير معناه كالإرهاب والتطرّف.

ففي اللغة العربيَّة لا يُطلق هذا المصطلح على من أجرى فعل الموت على نفسه، وإن وُجد ولكن في غير هذا المعنى لغير الحي العاقل فتقول العرب:

انتحرت السحابة فأهرقت ماءها، وتقول: نحر السيل الوادي فانتحر الوادي، وأمّا فعل النحر على الأحياء فهو متعدٍّ بفاعل إلى مفعول يقع عليه النحر مثل: نحر الجزار البعير والبعير لم ينتحر، أمّا الذي يُجري الموت على نفسه فهو إمّا أنّه ألقى نفسه في التهلكة فهلك، وإمّا أنّه قتل نفسه والأدوات كثيرة،

[7] - آل عمران 169

ولما كانت هذه اللغة لها معانيها ودلالاتها في استخدام المصطلح على دلالة الفعل خاطبها الله تعالى وفق مفاهيمها فقال تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}[8]. فلو أنّ هذا المصطلح تفهمه العرب بالمعنى الذي يُراد له أنّ يفرض عليها لجاءت الآية: (ولا تنتحروا، أو لا تنحروا أنفسكم).

فهذه القضيَّة مرتبطة بقتل النَّفس وقتل الآخر، ولما كان قتل النَّفس وقتل الآخر له أحكامه في الدين والشريعة ويعاقب القاتل بالقتل وهو معروف لدى أهل الدين وأصحابه، والذين يمارسون أفعال القتل صباح مساء أرادوا استبدال المصطلح كي يفلتوا من العقاب أو الإدانة؛ فدفعوا بمصطلح الانتحار الغريب لتُلبّس أفعاله لمن لا يؤمنون به؛ فهو قتل نفس، وقتل النَّفس بغير حق بالنسبة لهم محرّم؛ ولذلك ما تسوّقه وسائل الإعلام لأعمال الفداء بالوصف الانتحاري توصيف في غير محلّه، ويا ليتهم يتداركون ذلك بالتصحيح، ولكن إن كان الفعل ليس بفعل فداء على البيِّنة؛ فهو تهلكة، ودين المسلمين قطعًا نهى عنّه.

ولذا فالانتحار وليد المجتمعات المادية التي تفتقر إلى الجانب الروحي المطمئن للنفس بالإيمان، وهو الإصرار على التخلص من الحياة في أوقات الحاجة إليها، وهو آخر إنجاز سيّء في حياة الإنسان، ولا يمكن أن يتمّ فعل الانتحار في زمن استخدام المنطق، والمجتمعات التي تتفشى فيها ظاهرة الانتحار هي بطبيعة الحال مجتمعات تعاني من تأزُّمات روحانيَّة أو فراغ روحي؛ فلا تجيب عن تساؤلات المنتحرين.

إذن: الانتحار لم يكن في سبيل قضايا ولا في سبيل معتقدات، بل هو في حقيقة الأمر هروب من الواقع وهروب من الحياة، ولكن عندما يكون الفعل في سبيل قضية سامية يتحوّل الأمر من هذا الفعل المشين إلى أفعال التضحية

[8] – النساء 29

والفداء من أجل فضائل خيّرة وقيم سامية يكون فيها المقدِم على الموت شهيدًا فائز بالشهادة.

ومع ذلك فالانتحار هو فعل يتمّ الإقدام عليه بإرادة، وهو إلقاء إلى تهلكة وبالتالي الديانات السماوية لا تعدّه مفردة من مفرداتها بل تحرّمه، أمّا ما يجري من جهاد وفداء في سبيل الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة يُلاحظ على وسائل الإعلام تعمّدًا في طمس هذا المصطلح وتغييبه؛ فالفداء في محلّه واجب والجهاد في محلّه واجب، والتضحية في محلّها واجبة وهذه الفضائل والقيم في غير محلّها لا تكون إلا تطرُّفًا وانتحارًا؛ ولهذا الاعتدال الذي به يحقّ الحقّ هو كما هو، يؤدّي إلى توازن القراءة التي ينتج عنها القول والفعل والعمل والسُّلوك المتوازن حيث لا يجد الظلم فيه محلًا يركن إليه.

ومن يحاول أن يوظّف مفاهيمها في غير دلالتها فهو المتطرّف وليست المفاهيم، فالجهاد لا خوف منه ولا خوف عليه، وكذلك الفداء؛ فالخوف دائمًا من التطرّف والمتطرّفين الذين لا يُقدّرون أو لا يقفون عند الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة، بل يهبطون إلى ممارسة أفعال الأراذل، فالذي يقرّر ألا يكون للجهاد والفداء مكانٌ في المقررات التعليميَّة والثقافيَّة والإعلاميّة فهو من يسلك سلوك المتطرّفين، أو من يكون دافعًا لهم تجاه التطرّف.

فالجهاد والفداء لا ظلم من ورائهما، ولكن من يقدم عليهما بغايات على صفات من لا يتّصف بهما فهو المنحرف والمتطرّف الذي حاد عن نهج الجهاد والفداء.

وفي مقابل ذلك إن قَبِل التربويّون حذف مصطلح الجهاد والفداء من القواميس والمقررات التربويّة والتعليميَّة فلا صفة يمكن أن تلحقهم إلا صفة التطرّف؛ فالجهاد والتضحية والفداء فضائل وقيم منصوص عليها في الدين

والشريعة والعرف؛ ولذا فإنّ الذين يطلقون المصطلحات في غير أماكنها قد أساؤوا القصد مثلما أساء قارئ النصّ فهمه.

التطرُّف الاجتماعي:

المجتمع مكوَّن علائقي مؤسّس على العلاقات الزوجيّة التي تأسس خلق الأجناس عليها من ذكرٍ وأنثى، فكان التكاثر بذرة من الأسرة ثمَّ العائلة والعشيرة والقبيلة والأمّة، وفي هذه العلاقات تنشأ مجموعة من العواطف التي تجعل الأفراد مشدودين مودة ومحبّة لغيرهم من ذوي القربى أبوّة وأمومة وأخوّة وعمومة وفقًا لِسُلَّم العلاقات الأسرية والعائليّة، وهكذا تتسع العلاقات، والعواطف تمتد معها إلى مستوى أفراد العشيرة والقبيلة والأمّة في اتجاه استيعاب الآخرين من بني الإنسان، ولكنّ هذه العلاقات وما يملؤها من عواطف ومشاعر وأحاسيس تَضعف كلّما ابتعدت عن المركز، فهي كالمياه المندفعة في الأنابيب قوّة اندفاعها تضعف كلّما بَعُدت بها المسافات، وتكون على القوّة الأكثر درجة كلّما اقتربت من النبع.

ولأنّها عواطف فهي في كثيرٍ من الأحيان تجعل الإنسان على حالة من الانحياز إذا ما تواجهت بين قريب وأقرب منه، أو بين الأنا والآخر وإن كان أخًا، كما حصل بين أبني آدم اللذين اقتتلا بأسباب عاطفة من يتزوج أخت من، ومن يُقبل قربانه ومن لم يُقبل، ومن يبسط يديه للآخر متسامحًا، ومن يقبض يديه ليزيح بها الآخر من الوجود؛ فكان التطرُّف بينهما حتى الاقتتال الدامي الذي كان أحدهما ضحيَّة لعاطفة غير مسؤولة.

وعندما أصبحت العلاقات على المستوى العشائري والقبلي أخذ الصراع تشعّبات يقودها المركز (شيخ القبيلة) الذي تمّ اختياره إرادة وفق معطيات التقدير والاعتبار والاحترام والاعتراف؛ فكانت الصراعات مع الآخرين على

المأكل والمرعى والمشرب والعِرض، وما يترتّب عليها من اقتتال وثأرٍ في معظم الأحيان تكون الضحيَّة فيه بفعل التطرُّف ضحيَّة بغير ذنب.

ولأنَّ الإنسانيَّة على حالة من التكاثر وتنوّع الملكيّات وتعدُّدها تشابكت مصالحها بتشابك علاقاتها من جهة، ومن جهة أخرى انفصلت العلاقات وتقطَّعت بتطرُّف بعض الأفكار المنظِّرة لها؛ فبعدت المسافات بين من تشابكت علاقاتهم وترابطت ومن تأزَّمت أحوالهم وتطرَّفت أفكارهم في معالجة القضايا المشتركة؛ فتكوَّنت الأوطان بحدود ملكيَّة المشرب والمرعى والمسكن والثروة، وأصبح لكلّ وطنٍ مركز (رئيس دولة) وعلم ونشيد وطني وأصبح له جُند لحراسة حدوده، ورجال أمن لرعاية العلاقات بين المواطنين كلّ وفق حدوده التي ينظمها القانون، ولكلٍّ شِرعة ومنهاج، ومع ذلك لم يكن الكلّ منتظم على السُّلَّم القيمي المستمد من الأديان والأعراف والدساتير المقرَّة؛ فكان الصدام وكان التطرُّفُ بين مركزٍ عام ومركزٍ اجتماعي أو مركزٍ تنظيمي (حزب) أو طبقة من طبقات المجتمع، وكان الصدام والتطرُّف بين مركزٍ فرعي ومركز آخر من الفروع المتعدّدة داخل الوطن، وكان الصراع والصدام بين من يؤمنون بدينٍ، والذين يؤمنون بدينٍ غيره، وكان الصدام والتطرَّف بين مراكز الشرطة والمراكز الأخرى في الوطن، وكان الصراع والصدام بين الفرد والجماعة وأَحَد المراكز أو المركز العام، مما جعل التطرُّف يتنوّع وتتعدّد مصادره الفكريَّة التي جعلت الدماء تسيل وتُهدر في كثيرٍ من الأحيان بغير حقٍّ.

أمَّا تلك الأوطان التي تأسست علاقات مواطنيها على الشفافيَّة الكاشفة للحقيقة (هي كما هي) جعلت الوضوح في العلاقات بين المواطنين وبينهم وبين المركز الرَّئيس، والمراكز الفرعيَّة الأخرى علاقات إظهار الحقيقة وكشفها للتقييم والتقويم دون تجنّي بغير حقّ، فهي التي تأسست العلاقات فيها دستوريًّا مما جعل المواطن يعرف عن بيِّنة ما له ليأخذه دون تردّد، وما ليس له

ليمتنع عنه ويحترم أصحابه، وما يجب عليه تأديته تجاه نفسه والآخرين وتجاه الوطن الذي فيه تُمارس الحقوق، وتؤدّى الواجبات، وتُحمَل المسؤوليَّات.

من مجموع هذه المعطيات تنشأ عاطفة الانتماء للوطن والولاء له بين قوّة وضعف؛ فهي تقوى بقوّة السيادة الوطنيَّة التي تجعل كلّ مواطن هو المركز المستمر، في مقابل المركز الرَّئيس غير المستمر (المواطن هو المواطن لا يُستبدل، والرَّئيس مواطن قابل لأن يُستبدل).

ومع ذلك فإنَّ العاطفة في كثيرٍ من الأحيان ترتبط بالمصلحة قربًا وبُعدًا؛ فإنْ قويت على حِساب المنظومة العامة المؤسّسة للعلاقات بين المواطنين يجد أصحابها أنّهم في مواجهة القانون المستمدّ من الدستور أو المستمد من الدين أو العرف أو من صياغة موضوعيَّة مستمدّة من كلّ تراث الأمّة أو من التراث الوطني الذي هو ملك للجميع بتنوّع أديانهم وأعرافهم وأعراقهم وعلومهم وثقافاتهم وحضاراتهم.

إنَّ العاطفة الوطنيَّة اجتماعيًّا هي بين امتدادٍ وانكماش تنشأ من معطيات وطنيّة تملأ المواطن ثقة ودفئًا، أو تملؤه غربة واستغرابًا؛ فمن حيث تحقيق الثقة والدفء والأمن يشعر الفرد بأنّه وطن بكامله يتألّم بآلامه ويسعد بسعادته ويأمل في آماله، أمّا من حيث ما يملؤه غُربة واستغرابًا فهو عندما يُهمَّش وتُسلب إرادته لصالح آخرين أفرادًا، أم جماعات، أم مركزًا من مراكز القوّة الاجتماعيَّة المتعدِّدة في الوطن أو لصالح المركز الرَّئيس.

وهنا تشتدّ حدّة العاطفة رفضًا وقبولًا (رفضًا لِما يجري من مظالم، وقبولًا بدفع الثّمن)؛ لأجل عودة الوطن إلى مكوّنات العلاقات المشتركة دون تمييز، مع الاعتراف التام بكلّ تميُّز يمكن أن يمتاز به الأفراد أو الجماعات من أجل الوطن الواحد، وحينها يقبل الأفراد والجماعات في الوطن أن يكونوا جُندًا أوفياء لوطنهم الذي يمدُّهم بالمنافع والفوائد دون حِرمان لأحدٍ منهم، ومن يحرم ليس

له بدٌّ إلا أن يميل كلّ الميل إلى كلّ ما من شأنّه أن يعيد له كرامة ويصنع له مجدا ويُمكِّنه من نيل الاعتراف والتقدير وبكلّ الأساليب مرنة كانت أم متطرِّفة.

ولأنَّ العلاقات الاجتماعيَّة بين الأفراد والجماعات مؤسّسة على مجموع الفضائل الخيِّرة والقيم الحميدة منشأ العواطف الاجتماعيَّة والإنسانيَّة؛ فالإنسان دائمًا عندما تملؤه تلك الفضائل والقيم تدفعه العاطفة الإنسانيَّة تجاه الآخرين الذين هم في حاجة؛ فيكون عونا لهم على ما يُمكِّنهم من إشباع حاجاتهم المتنوّعة والمتطوِّرة، مما يجعل عاطفة جديدة تنشأ لدى الآخرين مِنْ الذين هم خارج الحدود، وفي مقابل ذلك قد تنشأ أحقاد ومحاسد تجاه من هم خارج الحدود على ما لهم من فضائل خيِّرة وقيم حميدة، مما يجعل الفكر العدائي المتطرِّف في حالة امتداد تجاه الآخرين الذين لهم من الثروات والفضائل والقيم الحميدة ما يُمكِّنهم من العيش الكريم، وقد يصل الأمر بهم إلى الاعتداءات الظالمة التي تدفع أصحاب ذلك الوطن الكريم إلى النهوض والوقوف صفًّا واحدًا للمواجهة؛ حفاظًا على تراب الوطن، ومكارم الأخلاق فيه.

وعندما تشبُّ نيران الفتن بين معتدٍ ومعتدى عليه بفكر متطرفٍ تصبح بداية إشعال نيران الفتن معروفة، ولكن زمن نهايتها قد لا يكون إلّا في دائرة الممكن غير المتوقَّع، ما يجعل الخسائر تتكاثر والاحتياطات الأمنيَّة غير كافية من قبل المدافعين بأسباب الخطط المعتمدة لديهم في دائرة الممكن المتوقَّع فقط؛ ولذا فإنَّ غير المتوقَّع هو الذي تملؤه المفاجئات التي تستوجب خططًا جديدة متغيِّرة وغير ثابتة، فإن ثبتت الخطط أصبحت في دائرة المتوقَّع، وإن حُرِّكت دخلت دائرة غير المتوقَّع؛ ومن هنا فإنَّ اقتصار الخطط على دائرة المتوقَّع فقط يجعل الصراع والخصام والاقتتال وتبادل الشتائم والتوعُّدات المسؤولة وغير المسؤولة على حالة من الاستمراريّة؛ فالمسئولة منها هي التي تكون على مستوى قرار الدَّولة ما يجعل التفاوض والحوار والجدل ممكنًا لإنهاء الصدام والتطرُّفِ،

وغير المسؤولة منها هي التي تكون على مستوى الأفراد والجماعات الخارجين عن القيد القانوني أو الدستوري أو العرفي أو الديني الذي يُقرُّهُ المجتمع ويقف دونه؛ ولهذا التطرُّف يزداد شدّةً على شدّةٍ من قِبل أولئك الذين هم في حاجة لمفاوض يفاوضهم ويكون قادرًا على تقبُّلهم هم كما هم، ثم العمل معهم لأجل ما يجب أن يكونوا عليه، وإلا سيكون في دائرة الممكن غير المتوقَّع ظهور معطيات جديدة تُولِّد أنواعًا جديدة من التطرُّف تكون أكثر تعقيدًا مما هو عليه التطرُّف في الزَّمن الآن، ومتى ما يكون التفاوض تكون بداية الحدّ من التطرُّف وإلى أن تنتهي علله ومعطياته ومسبباته ينتهي التطرُّفُ.

إذن: نهاية التطرُّفِ ممكنة، ولكن كيف ستكون؟ وممن ستكون؟ ومتى ستكون؟

قبول الآخر ضرورة من قِبل الذي كان سببًا في تطرُّفه، في الزَّمن الذي لا تكون المسافات فيه قد بَعُدت بين الأنا والآخر، ولكن مع ذلك فإنَّ القاعدة المنطقيَّة والعلميَّة جعلت (لكلِّ بداية نهاية)؛ ولأنّ للتطرُّف بداية، إذن: لا بدَّ أن تكون له نهاية إذا قرَّر الأنا والآخر أن يراجعا ما هما عليه وما يجب أن يكون عليه كلٌّ منهما تجاه الآخر الذي لا ينبغي أن يُنبذ أو يُقصى أو يُغيَّب أو يُحرم، وكذلك لا ينبغي الرَّفض الذي به لا يُقبل المركز مركزًا بما أنّه إرادة أصبح مركز الوطن المؤقّت مقابل استمراره مواطنًا مركزًا بكامل حقوقه وواجباته ومسؤوليَّاته.

إنَّ العلاقات الاجتماعيَّة ذات البعد الإنسان تؤسس على احترام الآخر وتفهُّم أحواله وظروفه وتقدير أعرافه وأديانه التي تُنظِّم علاقات أفراده وجماعاته، دون أن تُكِنَّ كرهًا للآخرين، ودون مواقف وأحكام مسبقة بلا مبررات موضوعيَّة، وإن سادت الأحكام المسبقة كرهًا وبغضًا دون تبيُّن قد تَتَأسس عداءات وتُرتكب مظالم تجاه الآخرين، مما يجعل التطرُّف قيمة متبادلة تشبُّ

نيرانها بين الأنا والآخر دون وسيطٍ قادرٍ على إطفائها إلى أنْ تحرق كلّ شيء وتطفئ بأسباب انعدام الوقود، هكذا يمكن أن يؤول الأمر إلى ما يؤول إليه.

وكفى أن يكون المركز مقصورًا على حزبٍ يمتلك السّلاح على حِساب أحزاب وقبائل وعشائر أخرى، أو أن يكون فردًا بعينه مركزًا على الجميع كره من كره ورغب من رغب، وهنا إن لم تُحذف من القاموس الاجتماعي هذه العبارة: (كره من كره، ورغب من رغب) فلن يكون للتطرُّف نهاية، وإن سادت بين النَّاس عبارة: (كره من كره، ورغب من رغب) ساد بينهم الإقصاء والاحتقار وتقليل شأن الآخرين الذي يولِّدُ من التطرُّف متطرِّفين ينبغي تقديرهم.

وإن كانت العلاقات بين النَّاس علاقات تكافئيَّة تصبح المساواة هي القيمة المقدَّرة والسائدة في تنظيم العلاقات بين الأفراد والجماعات والمجتمعات الإنسانيَّة متنوّعة الأديان والأعراق والأعراف والألوان والثقافات والحضارات.

وإن كانت العلاقات الإنسانيَّة مؤسّسة على معطيات وقيم تعصُّبيَّة فسيكون الانحياز للرغبات والأطماع الخاصّة هو المرتكز الأساس في تقييم الآخرين وتكوين وجهات النظر عنهم مما يجعل كلّ طرف ينظر لنفسه على أنَّه الأفضل الذي ينبغي أن تكون له الصدارة وعلى الآخرين القبول بذلك، هذا الأمر بدون شك سيؤدّي إلى أخذ الحيطة والحذر، وقد يؤدّي إلى التخندق من أجل المقاومة، أو الاستباق بأفعال التطرُّف التي يرى البعض أنّها الفكر والوسيلة والأسلوب الحاسم في الصراعات قبل أن تبدأ.

وهناك من يرى أن تكون العلاقات بين النَّاس أفرادًا وجماعات وشعوبًا وقبائل وأوطانًا علاقات ودّيّة تجعل الطمأنينة قيمة سائدة بين الجميع داخل الحدود وخارج الحدود؛ ليكون التعايش السلمي مؤسّس على تقبُّل الآخر واستيعابه من أجل تحقيق سلام وأمن متماثل للجميع.

وفي مقابل ذلك هناك من له من الأفكار المتضاربة والمتناقضة التي جعلته على رؤية تَصبُّ في اتجاه الظلم والاستعلاء وكلّ ما من شأنّه أن يمارس بأساليب تعسُّفية تجاه الآخرين. هذه الأفكار التعسُّفية إن شاءها أحد الأطراف حاسمة للصراعات لا بدّ أن تقابلها كلّ الأطراف بالمواجهة؛ تفاديًا لامتداد الأطماع على حساب حقوقهم وواجباتهم والمسؤوليَّات المناطة بهم.

ولأنَّ الأغلبيّة ترى أنّه من الأهميَّة أن تكون العلاقات الإنسانيَّة مؤسّسة على النديَّة (التعامل بالمثل)؛ فهذه النديَّة قد تُقبل من البعض، وقد لا تُقبل من البعض الآخر، فإن قُبلت كان الاعتبار هو القيمة الرَّئيسة في تأسيس علاقات مُرضية للأطراف مهما تعدّدت؛ إذ لا شيء يمكن أن يكون على حِساب آخر أو آخرين، وإن رُفضت أو تمّ الاعتراض عليها أو حتى التعليق عليها بعدم الاحترام، استدعت الظروف من يتعلق الأمر بهم أن يقفوا عند تلك الملاحظات أو الاعتراضات أو التحفُّظات والحيرة تملأ أنفسهم بمجموعة من التساؤلات، التي تؤدّي إلى سحب الثقة من الآخر الذي تحفَّظ أو اعترض أو سَخِرَ أو قلَّل من شأنِهم، مما يؤدّي إلى معاداته، وإلى ارتكاب الأفعال المتطرِّفة تجاهه استباقًا لِما قد يقدم عليه تجاه من تمّ التحفظ أو الاعتراض عليهم.

إذن: العلاقات الإنسانيَّة في أساسها مكوِّنات قيميَّة أخلاقيَّة، ولكن ليس دائمًا الجميع يمتثلون لهذه المكوِّنات القيميَّة، والمنحرفون دائمًا لا يضعون اعتبارًا لذلك؛ ولهذا لا استغراب ألا يكون البعض من بني الإنسان على غير أخلاق؛ فالتطرُّف في هذه الأوساط ينمو في بيئتهم الصالحة لنموه، ولا ينفع اللوم في إصلاح حالاتهم، بل اللوم لعلَّه ينفع مع الذين غفلوا عن إجراء دراسات للبيئات الصالحة لظهور الانحرافات والتطرُّفات الملحقة الضرر بالأمّة والمجتمع الإنساني برمّته.

ومع أنّ علاقات أبناء الأمّة علاقات مؤسّسة على أصولٍ وانتماءات وفضائل مستمدّة من الدين وقيم مستمدّة من أخلاق المجتمع وحضارته وثقافته وإن تنوّعت، فإنَّ أبناء الأمّة واقعيًّا لم يكن جميعهم بالتمام على تلك القيم، فمنهم من يرى العلاقة مع الأمّة هي علاقة تضامن وتآزر بها تقوى الأمّة وبدونها تضعف، وحتى لا تضعف الأمّة ويلحق أبناؤها الضّعف يتآزرون من أجل وحدتها ويعملون بكلّ وسعهم من أجل تقدُّمِها إلى ما هو أفضل، وفي مقابل ذلك من أبناء الأمّة من يرى العلاقة بالأمّة هي علاقة توحُّد اجتماعي بالفطرة، وكأن الوعي بهمومها لم ينضج في الذهن الذي يسير وفق الموروث الفطري.

ولأنّ لكلِّ وطن أو لكلّ شعب أو لكلّ أمّة مركز (دين وعرف)؛ فالعلاقة بين أبنائها تقوى بالقرب منه وتضعف بالبعد عنه، وتكون العلاقة بين القريبين من المركز مؤسّسة على القوّة التي تزداد قوّة بالقرب منه، والعلاقة بين البعيدين مؤسّسة على الضّعف وتزداد ضعفا كما ازدادوا بُعدا عنه. ما يجعل بعضهم ينظر إلى العلاقة بالأمّة علاقة قطرية فيها يتمُّ التأكيد على التجزئة والتفرقة بين الأقارب من المركز والبعيدين عنه، ومع ذلك فالأمر يتغيَّر إذا ما تعرَّضت الأمّة إلى خطرٍ خارجي مما يجعل أبناءها يقبلون بدفع الثمن في سبيل مناصرتها وتحريرها.

وفي حالة السّلم عندما تكون الأمة على الرفعة الحضارية والثقافيَّة تكون العلاقات بين أبنائها أفراد وجماعات وتجمعات بشريّة أو قطريّة على حالة من تبادل المصالح التي فيها تستوي العلاقة مع الغير، وقد يكون التفضيل فيها وفقًا للمصلحة التي تُقدِّم عوائد وفوائد أكثر من التي يتمّ تبادلها مع أبناء الأمّة، ومن هنا تؤسّس العلاقات على الحوار المؤدّي إلى المزيد من التقارب بين أبناء الأمّة والآخرين مصادر المنافع المتبادلة، وإذا ما حدث الاختلاف يكون القبول بالتحكيم في حدود المنظمات الدّوليَّة هو المعطية الرَّئيسة لفكِّ الشِبَاك.

ولأنَّ العلاقات الاجتماعيَّة على مستويات قيميَّة متعدّدة؛ فهي على مستوى المجتمع المحلّي قد تكون لدى بعض الأفراد والجماعات علاقات ولاء للمجتمع مع وافر الإخلاص أثناء تأدية الأعمال والأفعال، وقد تكون علاقات انتماء وترسيخ هوية مما يجعل التمسُّك بكلٍّ ما يؤدّي إلى الترابط الاجتماعي هو تمسُّك بتلك الهويَّة التي كوَّنت الاعتزاز والفخر في نفوس مواطنيها بما تحققه لهم من إشباعات معنوية ومادية تُمكِّنهم من نيل الاعتراف والتقدير من الآخرين بما هم عليه من ترابط وتعاون ومشاركة، وما هم عليه من فضائل خيِّرة وقيم حميدة.

وهناك من الأفراد والجماعات من ينسلخ عن تلك القيم والفضائل التي نالت الولاء والتقدير من الغالبيّة الاجتماعيَّة حتى أصبحت تكوِّنُ هويّة بها يتميَّزون عن هويّات الآخرين كما تتميز هويّات الآخرين عنهم بما تمتاز به من قيم وفضائل جعلت لتلك الهويَّات خصوصيَّات تستوجب نيل الاحترام والاعتراف والتقدير.

إنَّ المنسلخين عن القيم الحميدة للمجتمع هم الذين يوصفون بالانسحابين عندما يتخلَّون عن الأخذ بما يجب ولا ينتهون عمَّا لا يجب، وإذا ما استمروا انسحابًا وتخلّيًا عمَّا يجب الأخذ به فقد يبلغون المستوى الأناني الذي يكون الأفراد فيه لا يفكِّرون إلا في أنفسهم ولا يولون اهتمامًا بأداء واجباتهم ولا يقبلون حمْل مسؤوليّاتهم تجاه مجتمعهم، ومن يبلغ هذين المستويين السلبيين لا يُستغرب أن يواجه مجتمعه بما هو سلبي.

ومع أنَّ أبناء المجتمع الواحد بينهم قواسم مشتركة، ومصالح مشتركة، وفضائل مشتركة، وقيم مشتركة، وموروث ثقافي مشترك فإنَّ في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع يظل للفروق الفرديَّة أثر موجب وأثر سالب؛ ولذا لا استغراب أن يكون الصّدام والتضاد بين من تأثر سلبًا ومن تأثّر إيجابًا، وإن

اشتدَّ الصدام فكريًّا بينهما تصبح أفعال التطرُّفِ ميسَّرة الأداء بغاية المغالبة وبأيّ وسيلة، وبأيِ كيفيّة، وبأيِ أسلوب.

ولأنّ لكلِّ شيء بيئة ومنشأ فأوَّل بيئة ينشأ التطرُّفُ فيها هي الأسرة التي لم تكن العلاقات بين عناصرها متوازنة ومعتدلة؛ ولذا نشأت الخلافات والصدامات والنزاعات التي إن لم تنتبه الأسرة لخطورتها تعرَّضت لهدِّ أركان بنيانها بأفعال متطرِّفة، ومن لا ينظر للزواج رحمة فعليه أن ينظر للطلاق رحمة؛ فكما أنّ الزواج حلّ لمشكلة العزوبية، الطلاق حلّ لمشكلة الزواج، هذه هي القاعدة، أمَّا الاستثناء ألا يكون الزواج رحمة كما لا يكون الطلاق رحمة، وهنا تنشأ الصراعات وتتولَّد الأحقاد لدى أفراد الأسرة وتُزوَّر الحقائق وتشوَّه السَّمعُ وقد تُخدش الكرامات ممّا يولِّد التطرُّف بين الأزواج أو الأبناء أو بين الأقارب والأباعد.

ولذا؛ فالأخلاق مكوِّن قيمي جمعي من حاد عنها حاد عمَّا يُمكِّن من نيل الاعتراف ونيل التقدير وحُسن التصرُّفِ، ومن مال إليها تَحسَّنت أخلاقه فتهذبت أقواله وسلوكيَّاته وأفعاله وأعماله، ما يجعله مندمجًا مع الأفراد والجماعات والمجتمع بكامله، ومن لا يندمج في مجتمعه أخلاقًا يواجهه الرَّفض المباشر وغير المباشر، وفي كلتا الحالتين هو مرفوض وغير مُقدَّر ولا مُعتبر، وعندما يستشعر ذلك ليس له بدٌّ إلّا أن يستجيب لضغوط المجتمع تجاه ما يهذّب الأخلاق، أو أن يتطرَّف بردود أفعال قد تكون قاسية على شخصه، أو على غيره، أو على الجميع.

فعندما تكون علاقة الإنسان مع الأخلاق علاقة تجنُّبيَّة يكون الإنسان في حالة ميل إلى أفعال الخير، ويكون متجنِّبا لأفعال الشرّ، وعندما تكون العلاقة مع الأخلاق علاقة عكسية يصبح الأفراد يَقدِمُون على أداء أفعال الشرّ

ومتجنّبين لأفعال الخير، ومن يقدم على ارتكاب أفعال الشرّ، يشار إليه بالمفسد المتطرِّف ومن يَقدِمُ على أفعال الخير يشار إليه بالمصلح الكريم.

. التطرُّف السياسي:

السياسة فن الإدارة العامة بتفريعاتها في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع، تُسطَّر لِما تشاء ولا تسير على الأسطر، تعتمد مرجعيَّة ما ولا تتمركز عليها، فعندما تكون قراراتها مؤسّسة على إظهار السيادة العامّة للأمّة أو للوطن أو للشّعب فبها يكون نيل الاعتراف والتقدير والاحترام من العموم، وعندما يكون بغيرها تكون المواجهة مع العموم ذاته، ويصبح الأمر في مواجهةٍ بين فرضٍ يواجهه رفض في علاقة متضادة، وتكون السياسة في هذه الحالة هي أوَّل من زرع بذرة التطرّف في نفوس المواطنين الذين جميعهم سيواجهون السياسة بفروقهم الفرديَّة إمَّا بالتطبيل والنفاق المتطرّفين، وإمَّا بالإفساد والتخريب المتطرّفين، وإمَّا بالتآمر والمقاتلة المتطرّفين، ما يدلُّ على أنّ الشكر المقدَّم ليس بشكرٍ، وأنَّ الحبّ الظّاهر ليس بحبٍّ باطن، وأنَّ التأييد ليس بتأييد، فقط سيظل التصفيق هو التصفيق.

ولأنَّ قرارات المركز (المدير الرَّئيس) للسياسة العامّة تُنفَّذ بأدوات مختارة من الوسط العام؛ فهي وإن كانت من الأقارب ستظل من تلك البيئة التي بُذر التطرُّف فيها، ودائمًا الأقارب وإن أظهروا الولاء مبالغة للمركز فهم أكثر خطورة عليه من الذين هم في الأطراف، فهؤلاء يرون أنفسهم الثقة ذاتها، ويراهم الآخرون وسيلة مُمكِّنة من تحقيق نجاحات التطرُّف أكثر مما يرونهم حُرَّاسًا مخلصين؛ ولهذا هم في جلسات المتربّصين بهم الدّوائر بين بيعٍ وشراء، تُزَّر المعلومات أمامهم لتصل مسرعة إلى المركز حقيقة، فيترتّب عليها في كثيرٍ من الأحيان قرارات متطرِّفة تولِّد تطرفًا يضاف إلى التطرُّفِ؛ ولهذا دائمًا الحقراء يُعظِّمون الحياة الدنيا طمعًا، والعظماء دائمًا يُحقِّرونها استغناءً.

إذن: عندما لا يكون المواطن مركزًا في وطنه لا يمكن له أن يكون مُصلحًا فيه، ومن يرى غير ذلك فليرنا، ولكن يُرينا بدون تطرُّفٍ، وإن أرانا بتطرُّفٍ؛ فماذا ستكون توقعاته من بعده.

وهنا تتضح العلاقات بين مصدر القرار المركز الرَّئيس (أنا فقط)، والأداة التنفيذية (الوسيطي)، والمواطن (الآخر) الذي سيتم تنفيذ القرارات عليه، وإن لم يكن طائعًا بزاوية التطرُّف القائمة 90 درجة للأوامر والنواهي الفوقيّة سيكون طائعًا بغيرها وإن تطرَّف.

وعندما يُغيَّب المواطن عن المشاركة الدستوريّة، سيكون بطبيعة المواطنة الطبيعيَّة متطرِّفًا، ولكن عندما يشارك بإرادة في إقرار كلّ أمر يتعلّق بمصير الوطن وحقّ المواطنة فلن يجد دافعًا ولا محفِّزًا لأن يكون من المتطرِّفين؛ لذا فلا داعي لأن يصرّ الأنا (المركز) على التغييب الذي به تتحقق المآرب الشخصيَّة على حساب المصالح العامة للمواطنين، وقرارات المركز وإن نُفِّذت كرهًا، فلا تكون إلا معطية من معطيات توليد الرَّفض وقبول التحدّي ودفع الثمن ولو كان موتًا، وعندما يصبح الأمر كذلك، ألا يكون الإكراه والإرغام والإجبار والإذلال بذور وضعت في بيئة صالحة لأن تنمو وتقطف ثمارها تطرُّفًا.

إنَّ العلاقة بين الأنا والآخر إن اكتسبت الضديّة تكون أرضًا خِصبة للتطرُّف، ما يجعل البحث عن الحلّ يدور في فلكٍ نهايته غير المعروفة، هذه الظروف إن تمَّ تفهُّمها يتمُّ إدراك حالة جديدة تنظر إلى كلّ ما يجري وفق منظور جديد يكون على أساسه الحلّ، فيتحول كلّ ما هو غير مشروع إلى مشروع، وهنا تبدأ المأساة التي تُفتِّت المجتمع وتجعل منه كيانات متعدّدة، وتخلق جماعات لم يكن لها أن تجتمع من قبل، وتظهر اتجاهات حديثة كُتب لها أن تظهر في هذه المرحلة التي يسود فيها صوت الخلاص (نحن سويًّا) (نحن معًا) من أجل واجبٍ تجاه الوطن وحقوق المواطنة.

إنَّ البحث عن حلّ لا بدَّ أن يكون وفق صيغ توافقيّة تجمع المتفرق، وتلغي الحواجز، وتفتح آفاق الحوار المفضي إلى الإصلاح وصناعة المستقبل المشترك، المكبح لانتشار التطرُّف الذي بالوقوف على منابعه وتخفيفها بالحكمة يُقبر دون أن يجد من يتأسف عليه.

ومع أنَّ الأساليب السياسة في التعامل مع القضايا المختلفة تُرسِّخ سياسة (الترويض) والتهدئة، فإنَّ ما يجري بأساليب تنفيذ قرارات الحكم على الآخرين في كثيرٍ من الأحيان لا يُعدّ كذلك، ما يجعل مبررات ظهور التطرُّف مؤسّسة على الضرورة، فالسياسة لو كانت ودًّا بودٍّ لكانت العلاقات المترتبة عليها توافقًا وتكيُّفًا وانسجامًا، ولأنّها لدى البعض تطرُّفٌ فلا تكون العلاقة المترتِّبة عليها إلا تطرُّفًا.

والمتطرِّفون مع أنّهم يقعون تحت طائلة القانون فإنَّ المتطرِّفين بالقانون لا قانون يلاحقهم سوى التطرُّف، وعندما يتبيَّن للمواطنين أنّ مصدر الفساد والإفساد والتغييب والإقصاء هو رأس هرم السُّلطة، فلن يحدِّدوا هدفًا سواه إلا مَن تبنَّى تطرُّفاتهِ وعَمل بها، ولكن عندما يتبيَّن المتطرِّفون أنّ المفسِدَ ليس المركز فلن يتجهوا إليه تطرُّفًا، بل يتجهون تطرُّفًا إلى تلك الأدوات المتطرِّفة في تنفيذ ما ليس هو بحقٍّ.

فإذا أخذنا أنموذجًا واحدًا من النماذج المنفذِّة لأوامر رأس الهرم (أنا فقط) هي كما هي مسلّمات، وكان هذا الأنموذج هو الجيوش المقاتلة في جبهات القتال، التي تملؤها الحيرة بين أن تنفِّذَ أمر الموت الذي يصدر لها من رؤوس الأهرامات وما يملؤها حسرة بأسباب ما تدفعه من ثمن داخل الحدود بأسباب الحرمان من ممارسة أقل الحقوق وأقل الواجبات وأقل المسؤوليَّات، وما تعانيه من حاجة في مقابل انعدام أو نقص مشبعاتها، وبين أن تقبل تنفيذ أمر

الموت من أجل أن تسهم في تحقيق رغبة رأس الهرم، إنّها الحيرة التي تؤدّي إلى تحقيق نتيجة أحد أمرين:

إمَّا قبول الأمر والاستشهاد والنّصر.

وإمَّا قبول الأمر ورفض الانتصار الذي يرغبه رأس الهرم وإن كانت الضحايا على الكثرة.

في مثل هذه الحالات تقبل الجيوش بالخيار الثاني وهي على قناعة وإرادة بأنَّ القهر الذي كان يواجهها داخل الحدود ليس له بدّ إلّا أن يُقهر خارجها وفي أوَّل فرصة تتاح، ما يجعل المقاتل يرضى بالاستسلام للعدو وهو يعلم أنّه على أمل للعودة بعد تفاوض يطول زمنه أو يقصر، أو أنّه يجد نفسه أسيرًا على مستوى من العيش مهما وصل الحال به من سوء فهو سيظل الأحسن من ذلك السوء الذي كان يعانيه داخل الحدود؛ ولهذا من بقي من المقاتلين داخل الحدود يكون خير مستعرضٍ للقوّة عند تنفيذ أمر استعراضها بالوسائل التي جُمِّعت لحماية المركز وإرهاب المواطنين، وهو يعلم أنّه لن يكون خير مستخدم لها في ميادين المعركة إن شبّت نيران الحروب.

فالجيوش المنهزمة معنويًّا ليس لها بدٌّ إلا أنْ تقبل أنْ تكون أسيرة داخل الحدود وأسيرة خارجها كلّما أتيحت لها الفرصة المتربَّص بها من أجل التغيير، وحتى لا يكون التعميم قاعدة مطلقة؛ فعلينا أن نقبل بالاستثناء قاعدة، استثناءً من كلِّ قاعدة، فمن المقاتلين من استشهد في جبهات القتال، ومنهم من عاد ومرارة الهزيمة تملؤه وتدفعه إلى ما هو أشدّ وأعنف؛ ليكون متطرِّفًا في وجه الأعداء سواء أكانوا في الداخل مواطنين رؤوس، أم أنّهم في الخارج من الأعداء الأجانب، ومن يبقى منهم مفاوضًا لأجل صون ما تبقى من حدود الوطن أو لأجل عودة الأسرى بسلام آمنين سيكون خير مفاوضٍ دون أن يجد الخوف منه ملجأ يلتجيء إليه، مثل هؤلاء لم تدخل نفوسهم مقارنات بين من يحتكر المركز ويقصره

عليه داخل الحدود، ومعتدٍ يودُّ أنْ يزيل الحدود ومن عليها من وجود بغير حقّ، ويظل رأس الهرم لا حيّزًا له في ذهن المفاوض الكريم لكن حيّزه بقي موجودًا عند العودة التي اتضحت فيها أمور جليّة أمام النَّاس جميعًا، ورفعت الغشاوة التي غلَّفت رأس الهرم ومنحته مكانة لم تكن له إنَّما كانت في عقول آثُرَتْ أن تراه وفق ما يريد أن يرى نفسه، وفي ذلك تحضرني قصة من كتابنا: (البستان الحلّم) بعنوان: (غَضِبَ من إحولال عينيه فكسر المرآة).

تقول القصّة:

عندما اقترب موعد الانتخابات انطلقت مجموعة شُهب من الشّمس لتمثّلها، وبدأت تدور في المجرى الذي اندفعت له بقوّة غضب الشّمس حتى أنّها تناثرت أمام الطعون التي وجَّهتها لها الحكومة، وسقطت من الجولة الأولى، وتحوَّل معظمها إلى هيولات، ولم يبق إلّا واحد منها على قيد الحياة المشاهدة متحركًا في مجراه، إنّه ممثّل الحزب الحاكم الذي ما زال متوهِّجا، حتى ظنَّ نفسه بأنّه الشّمس، وادعى ذلك بعد أن تهيَّأ له ظرف الفوز في الانتخابات بدون منافس، ادعى ذلك أمام البعض الذين يخافون حرارته، وطلب منهم أن يقولوا له الحقيقية دون تزييف أو تلميع هي كما هي، ففرح الجميع، وسألوه: من أنت؟ فقال لهم: أنا الشّمس التي لا تغيب عن الحياة، حينها نظر البعض إلى البعض وتملؤهم إشارات التعجب بعد أن كان يملؤهم الإعجاب، وحينها عرفوا الحقيقة. وذات يوم اقتربت الشّمس منه تُبهر الأبصار؛ فكان خائفًا من نورها الذي تلألأت به عيون الخائفين، فسأله البعض: لماذا أنت خائف أيُّها الشّمس؟ لماذا أنت ترتعد؟؛ فقال في تلعثم حيث الشّمس تسمعه وبصوت خافت: أنا لم أكن الشّمس، فقال له الجمع: نعم إنَّك لم تكن الشّمس، فقال لهم: من أدراكم؟ قالوا له: أنت. فسألهم متى؟ فأجابوه: يوم ادعيّت بأنَّك الشّمس، وأنت لم تكن كذلك. فقال: لماذا عندما قلت لكم بأنّني الشّمس صدّقتموني؟ فأجابوه: لكي

نُثبت لك بأنّك كاذب. حينها غَضِبَ منهم وقال: انظروا لوجوهكم في المرآة لِتُقدَّموا على حقيقتكم وأنا معكم أقدِّمَ نفسي؛ فوقف الجميع أمام المرآة وهو يتقدَّمهم ليشاهدوا وجوههم على حقيقتها، ولأوَّل مرة ينظر إلى وجهه في المرآة، وعندما أمعن النظر شاهد جميع المحيطين به حُور عين، وشاهد نفسه أحول العينين؛ فغضب وسألهم عن العلاج، فأجابوه: العلاج، ألا تغضب من الحقيقة، فقال لهم إنّني أريد العلاج ولا أريد الحقيقة. فأجابوه جميعًا: إذا كنت لا تُريد أن ترى الحقيقة ثانية فعليك بكسر المرآة.

لذا؛ على الجميع أن ينظروا إلى المرآة ليروا وجوههم هي كما هي دون تزيين ولا تزييف، فالمرآة لا تخفي ظاهرًا، وقصّة: (لعبة الجولف والاختيار المناسب) في كتابنا: البستان الحلّم خير شاهدٍ على ذلك، فهي تروي:

أنَّ جمعًا من ممارسي لعبة الجولف وهواتها حضروا إلى الميدان الذي يمارس فيه الرَّئيس هذه اللعبة مع أحد المرؤوسين، وعندما أصاب المرؤوس الهدف بتفوُّق صفَّق له المتفرّجون بحرارة، وصفَّقوا بحرارة أكثر عندما لعب الرَّئيس ولم يصب الهدف، ففرح الرَّئيس برضا المتفرِّجين عليه مع أنّه غاضب على سوء أدائه، وعندما اقترب الرَّئيس من المتفرِّجين في أثناء خروجه قال لهم: أشكركم على التشجيع، ولكن لماذا المبالغة في التشجيع وأنا لم أصب الهدف بنجاح؟ فقالوا له: إنّنا أقسمنا لو حققت الهدف لن نلعب هذه اللعبة ثانية، وتُعَدُّ محرَّمة علينا من تاريخه؛ ولهذا فرحنا بعدم إصابتك الهدف؛ فغضب الرَّئيس منهم، والتفت إلى وزير إعلامه وسأله: وأنت لماذا تصفِّق يا هذا؟

فقال: لقد رأيتك أصبت الهدف بأحد الكرتين.

فقال: أي كرتين تعني؟

قال: منذ البداية وأنا أشاهدك سيدي الرَّئيس تلعب بكرتين، فصاح الجمهور: انظر إلى عينه، إنّه أحول العينين، أحول العينين! فغضب الرَّئيس من الجمهور وقال: لا وربِّي لم يكن أحول العينين، ولكن بعد أن عُين وزيرًا للإعلام غضبت عينه اليسرى من عينه اليمنى فحدث بينهما الطلاق.

سياسةٌ هذا حالها تزوِّر الحقائق، وتمجّد المخطئين، كيف لها أن تتعظ؟ وكيف لها أن تستوعب الحاضر، وتصنع مستقبلًا أو تُحدث نُقلة إلى ما هو أفضل؟ وكيف لها أنْ لا تولّد تطرُّفًا ليكون من بعده الحلّ؟

ومن يريد لمشكلة التطرُّف السياسي حلًّا، فعليه ألا يغفل عن أهميَّة الاعتراف المتبادل بين الأنا والآخر على ممارسة حقوق غير منقوصة، وواجبات تؤدّى بإرادة، ومسؤوليّات تُحمل دون تردّد، وإن لم يتمّ ذلك وفقًا لعقدٍ اجتماعي فإنّ التطرُّف سيكون هو البديل دون غيره.

فالأوامر القهريّة والإقصائيّة والإذلاليّة بغير حقّ سواء أكانت على مستوى أفراد الأسرة، أم مجتمع الدَّولة، أم شعوب العالم، لا تُقبل، بل الرَّفض يقابلها وبكلِّ شدَّة، وإذا ما اشتدَّ العِنَاد مواجهة بين الأطراف أصبح التطرُّف ملجأ لإيجاد حلّ، لكن عندما تسود علاقات المودّة والتسامح والتقدير والاعتبار بين النَّاس لن تكون هناك بيئة صالحة لغرس بذور التطرُّف فيها، حتى إن غُرست من أيٍّ كان فأنّها لن تَنبُتَ لعدم صلاحيّة البيئة لإنباتها، ولكن إن تغيَّرت تربة البيئة بتربة أخرى صالحة لانْ تنمو فيها بذور التطرُّف، فالأمر هنا لن يعود إلى البيئة بقدر ما يعود إلى الذين كانوا سببًا بتغيير تربتها من تربة محبّة ومودّة وتآخٍ وتوافق وتكيُّف وتعاون إلى تربة صالحة لأن تمتص دماء المتطرِّفين الذين فضَّلوا الموت قيمة على قيمة الحياة.

ولأنّه لا هويّة ولا حدود للتطرُّفِ فهو يمتدّ في نموِّه من تجاه الدَّولة إلى نموّه تجاه ملاحقة المنظمات والهيئات والجمعيَّات والمجالس الدّوليَّة التي إن لم تكن

قاسمًا عدلًا مشتركًا لدول العالم وشعوبه وأفراده؛ فستواجه بأعمال التطرُّف؛ فالظلم لا يُقبل من أيّ كان؛ ولهذا في دائرة الممكن لا استغراب إن وُجِّهت ضربات للمنظمات الدّوليّة من قِبل من شَعرَ بالظلم أو الانحياز ضدّ قضاياه العادلة.

فعندما تكون الهيئات والمنظمات والجمعيّات والمجالس الدّوليّة مؤسّسات لنفوذ القوى الكبرى على حساب بعض الأمم والشعوب أو بعض البلدان والأوطان تصبح سياسات وقرارات هذه المنظمات الدّوليّة منحازة ما يجعلها طرفًا، وليس ميزان عدل لتوازن العلاقات الدّوليّة بين الأمم والشعوب؛ فان كانت كذلك؛ فليس لها بدٌّ إلّا أن تقبل ما يترتّب على أفعالها من ردود أفعال تمتدّ من المعارضة والتحفُّظ إلى التشدّد والتطرُّف؛ ولهذا كانت الأمم المتحدة هدفًا من أهداف المتطرّفين في بقاع كثيرة من العالم، من ذلك ما حصل في العراق فقد وُجِّهت الضربة الأولى إلى الأمم المتحدة وكأنّها طرفًا من أطراف النزاع، فمن يضع نفسه طرفًا أو يُسخَّرَ طرفًا سواء أكان يدري أم لا يدري فعليه بقبول دفع الثمن من أجل الحلّ.

. التطرّف الاقتصادي:

الاقتصاد بإدارة وإرادة فاعلة يُشبع الحاجات الماديّة للإنسان، ويُسهم في تكوين علاقات التعاون والمشاركة بين الأفراد والجماعات والمجتمعات، ويُحفّز على التطلّع إلى المستقبل بتنميته لثروات الأوطان والأقوام، ويدير عجلة التطوّر والتقدّم إلى ما هو أفضل وأجود إن كان يُدار بإرادة المالكين، ولن يديرها بحُسنٍ إن سيطر على منابع ثرواته ومصادرها المتنوّعة من لا يُقرّ اعترافًا بحقوق الآخرين تقديرًا واعتبارًا عاليين.

فالمنافسة في مجالات الإنتاج المتعدّدة لا شكَّ أنّها من المحفِّزات على إظهار الجودة وتحسين نوعيّة المنتج والمصنوع، ولكن إن تعدت المنافسة حدودها

تنفلت الأمور إلى ما يؤدّي إلى الصراع والصدام وحينها تصبح سيادة التطرّف هي المتغيّر الرّئيس في إدارة العلاقات بين الأفراد والأمم والشعوب.

وإذا نظرنا إلى المعطيات التي جعلت من البعض طغاة نجدها لا تخرج عن معطيات القوّة (سلطة أو سلاح أو اقتصاد) وفي مقابل ذلك إذا نظرنا إلى تلك الحضارات التي سادت وبادت، والتي هي سائدة اليوم وستسود غدًا، نجد أنّها لولا توافر معطيات القوّة ما كانت سائدة، ولولاها لن تكون؛ ولهذا كلّما توافرت معطيات القوّة بأيدٍ عالمة واعية سادت وساد الآخرون بها، وكلّما كانت معطيات القوّة بين أيدٍ عابثة جاهلة وجّهت إلى ما من شأنه أن يُفسد الأخلاق ويُظهر المفاسد بين النّاس؛ ولذا فمثل هؤلاء لا يصنعون تاريخًا ولا يبنون حضارة، ولا يتخذهم أصحاب الحضارات قدوة لهم، وتكون نهاية زمنهم بانتشار مفاسدهم.

ولأنّ الأمر أمر سيادة؛ فالسيادة قد تكون عن حقٍ، وقد تكون عن باطل، فإن كانت عن حقٍ، كانت سيادة خيّرة؛ إذ الفضائل والقيم الحميدة التي لا تُقرّ الظلم ولا تُقرّ التطرّف، وإن كانت عن ظلمٍ وتطرّفٍ؛ فالطغاة هم الذين سيسيطرون بالإدارة الظالمة المتطرّفة، ولكن في النهاية دائمًا الطغاة يُهزمون، والزّمن دائمًا كفيل بترويضهم، ومع أنّهم الطغاة بالقوّة فإنَّ الخوف دائمًا يملأ أنفسهم مع أنّهم يجحدون، ولكن إلى متى سيجحدون وغطاء الوجه لا بدَّ له من أن ينكشف!

ولأنَّ الطغاة على رأس هرم المتطرِّفين؛ فالخارجون عنهم لن تكون لهم مواجهة معهم إلا على رأس الهرم ذاته، فالتّاريخ الذي سجّل في طيّات سجلاته أنّ طغاة قد سادوا بالقوّة كرهًا على النّاس، سجّل نهاياتهم في قمامة التّاريخ ذاته، وفي المقابل سجّل لأصحاب الفضائل والقيم الخيّرة والحميدة منهم تاريخًا لا تُستمد العبر إلا منه.

فالمال لا شكَّ أنّه زينة الحياة الدنيا، ولا شكّ أنّ المال قوّة الإنتاج الذي به تُدار عجلة الاقتصاد وفقًا لسياسة السّوق التي لا تغفل عن وجود آخرين لهم من الحقوق والواجبات والمسؤوليّات ما يُمارس ويؤدّى ويُحمَل، وإنْ تطرّفت وغفلت سياسة السّوق عن ذلك تجد نفسها أمام مواجهة أصحاب الحاجات حتى يعود التوازن الاقتصادي، فما حدث ويحدث من أزمات ماليّة في الدول التي تعرّضت وستتعرض إلى أزمات مالية لدليل إثبات على أنَّ الجهل بالحقائق يؤدّي إلى تأزُّمات وصدامات وصراعات ومخاوف شديدة وفقدان ثقة في الإدارة المركز التي ترسم السياسات العامة للاقتصاد العالمي والوطني.

وسيظل فقدان الثقة بين الإدارة المركز والمصارف التابعة لسياساتها والعملاء من النَّاس سائدًا ما لم تُثبت الإدارة العامة والمصارف التابعة لسياساتها أنّها قادرة على الإدارة الضامنة لحقوق الزبائن والعملاء؛ ولذا فإنَّ بيع السندات المالية في السّوق الاقتصادي بغير قيمها الحقيقة هو تطرُّف مالي يؤدّي إلى تطرّف المواطنين ضدّ سياسات الاقتصاد؛ ومن ثمّ يؤدّي إلى تعرّض دول للاختفاء من على الخريطة الاقتصاديَّة للعالم المالي كما تتعرّض بعض الدول على الأراضي المنخفضة إلى الغرق بأسباب ارتفاع مياه المحيطات والبحار؛ فتختفي من الوجود الظاهر كما كانت من قبل دول ظاهرة ذات سيادة، وحينها ستنّجم تأزُّمات تجعل من كان موصوفًا بالخُلق الحسن إلى قاطع طريق متطرّفٍ مع المتطرّفين.

ولأنَّ التطرّف في أساسه فكري والاقتصاد جزءٌ من الفكر إذن: بطبيعة الحال سيكون الاقتصاد متغيّرًا رئيسًا في عمليّة التطرّف؛ فالمجتمعات التي ظهرت فيها الفروق الاجتماعيَّة كانت بأسباب الحاجة الناتجة عن سوء إدارة الاقتصاد الوطني، وعن عدم تقدير المواطنين الذين هم في حاجة لمن يسندهم رعاية وعناية

بثروات الوطن واقتصاده؛ وذلك بما ألمَّ بهم من قصورٍ أو مرضٍ أو إعاقةٍ أو ظلمٍ بقوانين وإجراءات غير موضوعيَّة من الإدارة المركز أو الإدارات المتفرّعة منه.

ولذا فالاحتكار الاقتصادي يؤدّي إلى تحكّم في حاجات الآخرين، ومن يتحكّم في حاجات من هم في حاجة لِما يُشبع حاجاتهم، لا يمكن أن يجد مودّة منهم، بل سيجد منهم ردود أفعال الفكر التطرّفي خير مواجهٍ له، ومن تُشبع حاجاته المتطوِّرة، ويطمع في المزيد بغير حقّ يُعدّ فكره متطرّفًا وحاله كحال من احتكر الثروة عن الآخرين وجعلهم على الحاجة متسوِّلين على قارعة الطريق، مما يجعل التطرّف المضاد من قِبلهم متولّدًا ليس غاية في ذاته بل أسلوبًا موضوعيًّا من أجل الحلّ.

وعليه: الذي يحتكر الثروة ليَحرِم الغير منها ويستغل آخرين بها يُعدّ بنهجه هذا هو أوَّل من تطرّف وكان سببًا في ظهور تطرّفٍ مضادٍّ لتطرّفه، سواء أكان على دراية بذلك أم أنّه لا يدري، ومن يقبل ذلك بأسباب الحاجة والضرورة التي أجبرته على إعطاء تنازلات مؤقّتة؛ فلن يقبلها حلًّا لتأزُّماته الاقتصاديَّة، بل يقبلها فقط من أجل ازدياد تأزُّمات (الإدارة المركز) التي قَبِلَ أن يكون معها مستظلًّا، بطانة رئيسة لهدِّ أركان النظام ونشر خفاياه؛ فالنظام في هذه الحالة إن كان معتقدًا أنَّ أسراره مصونة بين أيدي الأوفياء، لن يجد في حقيقة الأمر غيرهم مبالغًا في كشف عورته أمام الآخرين الذين لن يبخلوا بكلِّ ما يمتلكونه من قوّة على نشرها في شبكة المعلومات المتطوّرة، ومن ثمّ مواجهته وإن وُصِفَ سلوكهم بالتطرّف.

ومع أنّ الاقتصاد قوّة محرّكة لإثبات الأنا فإنّه في بعض الأحيان هو الذي يهدّه هدًّا؛ فإن كان الاقتصاد من أجل إشباع الحاجات المتطوّرة ومن أجل صناعة المستقبل الأفضل وتأمين ظروف الحياة للأفراد والجماعات والشعوب؛ فلا تكون فيه مدعاة للتطرّف، ولكن إن كان النمو الاقتصادي حتى

غزو الفضاء من أجل غزو الشّعوب واحتلال أوطانّهم يصبح الفكر الاقتصادي المحرّض على ذلك هو فكر متطرّف لا يصلح لحلّ المشكل، بل هو الفكر الفعّال في إيجاد التأزُّمات وما يترتّب عليها من أفعال التطرّف.

فإذا نظرنا إلى ما يجري في العراق وأفغانستان والصومال وسوريا وليبيا واليمن نلاحظ تأزُّمات تشتدّ، وتطرُّفات تتولّد، وتتجدد، وتتنوّع بأسباب التدخل، وبأسباب الصراع على السُّلطة والاقتصاد، من يحتلّ من! ومن يتحكّم في مصير من! ومن يُقصى بأحكام مُسبقة! ومن يُفرض كرهًا بتدخلات خارجيَّة! ومن يدفع أكثر من الآخر! ومن ينافق من! ومن يرفض كلّ ذلك! ومن يرفض بعضًا من ذلك! ومن لا يرى حلًّا إلا بقبول الموت حلًّا ولا حلّ سواه! ومن يرى في العمالة تاريخ! ومن يرى في التَّاريخ التَّاريخ! صراعات قاسية وتطرُّفات تزداد شدّة من أجل الحلّ.

فالذين يمتلكون الأسلحة النووية والصواريخ العابرة للقارات ويتسابقون على غزو الفضاء علمًا وتجسّسًا هو في أساسه إرهاب لا تطرُّف فيه، ولكن إن تمَّ استخدام هذه الأسلحة ظلمًا وعدوانًا يكون التطرُّف هو سيد الميدان.

والذين يتحكّمون في جينات البذور النباتيَّة والموروثات الجينيَّة الحيوانيَّة لتصبح جينات مُحسّنة لمرّة واحدة فقط، ثمّ بعد ذلك تصبح غير منتجة لِما يستمر بالسلالة الحيّة (نباتًا وحيوانًا) فالقمح الذي تمّ التدخل في جيناته احتكارًا ليعطي إنتاجًا وافرًا لمرة واحدة ثمّ بعد ذلك تكون بذوره غير صالحة للإنتاج يجعل المحتاجين دائمًا في حاجة للذين يتحكّمون في مورثات القمح الجينيَّة؛ ليستوردوا منهم سنويًّا بذورًا صالحة لإنتاجٍ جيدٍ ولكن لمرة واحدة، إنّه الاحتكار والتطرُّف لا سواهما، وفي مقابل ذلك الفقراء الذين لا رأس مال لهم ألا يكونون في أمسِّ الحاجة لقمحٍ يُزرع لينتج لهم ما يُسهم في إشباع حاجاتهم للمأكل!

وفي حالة عدم توّفر ذلك، ألا يكون التطرّف بالنسبة إليهم ضرورة لا مفرَّ منه يقدمون عليه حُبًّا في الموت لا خوفًا منه!

ولأنَّ الاقتصاد في أساسه لا تطرُّف فهو علم يُدار ومعًاملات تُجرى لتُسهم في جودة الإنتاج بما يفيد الإنسان ويُحسِّن أحوال معيشته، وهو المحدث للنُّقلة إذا ما استهدف الفقراء ليحلّ بهم مستويات الإشباع والوفرة الممكّنة من الاعتماد على النَّفس وما تبذله من جُهدٍ في سبيل تحسين الأحوال المعيشية للآخرين.

إنّ توظيف رؤوس الأموال بما يخدم البشريَّة قيمة حميدة، ولكن توظيفه لقهر الآخرين هو مدعاة لظهور التطرّف بين المحتاجين والمتحكِّمين في مشبعات حاجاتهم؛ فعندما يوجّه الاقتصاد وما يتولّد منه من رأس مال إلى ما يُشبع الحاجات المتطوّرة والمتنوّعة يكون الاقتصاد ورؤوس أمواله مؤدِّيًا إلى الحلّ وليس مؤدِّيًا إلى تأزُّمات منتجة للتطرّف، وإذا كان الاقتصاد بواسع وفرته مُسببًا في حرمان آخرين منه هم في حاجة إليه يكون في هذه الحالة هو المعطية الرَّئيسة لظهور التأزُّمات والتطرّف لا لظهور الحلّ.

إنَّ الذي يُحرم من الماء الذي يروي ظمأه، أو يُحرم من الطعام الذي يسدّ رمقه، أو يشبع جوعه ليس له بدٌّ إلا أن يقاتل من أجل الحصول على ما يُشبع حاجاته وفي مثل هذه الحالات إنْ استخدم العنف وسيلة فإنَّه ليس بمتطرّف، بل المتطرّف من كان سببًا في حرمانه من الحصول على مشبعات حاجاته المتطوّرة سواء أكانت ملكيَّة خاصّة أم تعليميّة أم صحيّة أم إنتاجيّة أم خدميّة أم مشبعات غرائزيّة.

إذن: الاقتصاد الذي في تنظيراته الفكريَّة إقصاء الآخر من حقّ التملّك وحقّ المنافسة وحقّ البيع والشراء وفقًا للجهد والمقدرة والإمكانات المشروعة فكرٌ متطرّف، وكذلك إذا تأسس المركز الاقتصادي على التأميم بغير حقّ،

ومصادرة الممتلكات بغير حقّ، وحرمان المواطنين من البناء والإعمار بغير حقّ يوصف ذلك المركز بالمتطرّف، وفي مقابل ذلك إذا امتلك المواطن من الثروة المشروعة ما يُمكّنه من استغلال الآخرين بغير حقٍّ فهو متطرّف، وإذا استغلّ ثروته في مُحرّم فهو متطرّف، ولكن إذا سعى بثروته استثمارًا مطهّرًا ضريبة وزكاة وصدقة فلن يجد التطرُّف في فكره ونفسه مكانًا يركن إليه.

التطرّف النَّفسي:

النَّفس البشريَّة في حالة امتداد بين ما يؤدّي إلى طمأنينة وما يؤدّي إلى اضطراب وتطرّف، فهي مع الغير إذا اطمأنت له استأنست به، وإن لم تطمئن له تجد نفسها بين خيارات متعددة يمكن أن تكون فيها مجتنبة أو مبتعدة أو مُقدِمة على ما يليق أو ما لا يليق ولكلّ ردّة فعل.

وطبيعة النَّفس البشريَّة تحبّ ألا تبدو ضعيفة أو ناقصة أمام الغير، الأمر الذي يترتّب عليه طبيعة أخرى، وهي أنّها تبغض من يحاول أن يُبدي بعض عيوبها أمام الآخر بغضًا يجعلها تأبى قبول الإصلاح حتى وإنْ كان النقدُ في محلّه، وذلك على سبيل العناد لمن بيّن هذه العيوب، ويستثنى من هذه الطبيعة النَّفس المطمئنة التي يكون التوازن لديها معادلًا لها مع العقل الذي يسعى إلى تبيان الأمور الواقعيّة؛ كونها حقائق ترضى بها النَّفس المطمئنة وتتعامل معها.

إنَّ التعامل مع النَّفس البشريَّة يستوجب معرفة أبعادها الداخليَّة والخارجيَّة، من الحبِّ والكره، والخوف والرجاء، والإيمان بالمحسوس والإيمان بالغيب، ومعرفة ما يخاطبها في جميع أحوالها، في الإقبال والإدبار، وفي الرَّغبة والرهبة، وفي السّكون والحركة، وفي الطمأنينة والفزع، وفي الرّخاء والشدّة، وفي الوِحْدَة والوَحدة.

ولذا؛ يمكن تبديل أحوال النَّفس المتحركة من خلال مخاطبة العقل المحرِّك لهذا المتحرِّك، فالخطاب العقلي الذي استوعب الأشياء وهو قادر على تقديمها للنفس وفق حقائقها واضحة بشكل يجلي إيجابيّات المعلومة المكتسبة وسلبيّاتها في النفع والضرر والخير والشر والحقّ والباطل، يكون قد قدّم للنفس طريقًا سهلًا في الاختيار لاستدراك نشأة أخرى غير التي كانت عليها حسب المعلومة التي يقدّمها، وهنا يكون الأمر بالنسبة إلى النفس أكثر حيويَّة ونشاطًا وأكثر فاعليَّة.

فالنَّفس التي تبدأ عهدًا جديدًا بمعطيات جديدة نافعة، تشهد إنشاءً جديدًا تكون أكثر حيويَّة وأكثر فاعليَّة من غيرها من الأنفس التي لا تقبل هذا التجديد؛ إذ إنَّ النشأة الجديدة للنفس الإنسانيَّة وفق معطيات مقنعة عن طريق المعلومات التي يقدّمها العقل، تعيد تركيب النَّفس على صورة جديدة في القبول أو الرَّفض إيجابيًّا أو سلبيًّا فتصبح نفسًا جديدة مشحونة بطاقة حادة الفاعليَّة. وكذلك التحدّيات التي تتلقّاها النَّفس في الوقت والعصر الذي تعيش فيه هي أعنف التحدّيات وأشقّها وأقساها، ومن شأن التحدّيات دائمًا أن تشحذ النَّفس وتستخلص منها أقصى طاقتها؛ فإذا اجتمع الأمران معًا: جدّة النَّفس، وعنف التحدّيات، يستطيع المتتبّع أن يتصوّر الفاعليَّة التي تكون لتلك النَّفس في المواجهة، وهي تعمل في واقع الحياة.

ولأنَّ النَّفس لا مادّة لها وإن شغلت جسمًا ماديًّا؛ فهي المتحرك بمحرّك رئيس(العقل) الذي يدرك ويتذكّر ويفكّر ويتدبّر، ولكنّه لا يقدم على شيء من هذا، بل ذلك المتحرّك (النَّفس) هو الذي يُمكِّنه أن يبلغ مرامي أيٍّ من هذه المعطيات، مما يجعل أفعال الطمأنينة أو الحذر أو الخوف واجبة مع تحمُّل النَّفس ما يترتّب على ذلك من حركتها وامتدادها بإرادة، ولكن إن أُجبرت على ما لا ترغب أو ما لا تأمل فستكون على احتمالات متطابقة مع الفعل وردّة فعله، فإن كانت الأفعال الموجّهة إليها مرضية كانت الأفعال محقّقة للطمأنينة، وإن

كانت دامية أو مؤلمة أو محزنة أو مأسوف عليها فتصبح هي المؤدّية إلى ما يُمكِّن النَّفس من ارتكاب أفعال التطرّف بأساليبه المتنوّعة والمتعدّدة؛ ولذا من يستفزّ النَّفس يدفعها لأن تردّ له فعل الاستفزاز في وقت (متوقّع أو غير متوقّع) وعندما يترتّب عليها أفعال أخرى أشدّ وأقسى، حينها تقبل النَّفس بأن يكون الموت هو المنقذ فتلتجيء إليه بإرادة، وعندما تحقّق النصر يتمّ الاعتراف بها دون أن يشار إليها بالتطرّف وإن ترتّب على قبول الموت تحقيق فعله موتًا توصف بأنّها نفس متطرّفة.

ومع ذلك تبقى النَّفس ذلك المخلوق الذي لا تُعرف ماهيَّته ولا يُعلم الحيّز الذي يشغله، ولا المسافات الامتداديّة التي تربطه بالعقل والقلب والرّوح، وأيًّا منها أقرب لها وأكثر تأثيرًا عليها على الرغم مما قيل فيها، إلّا أنّ الذين عرّفوا النَّفس وتكلّموا عنها انطلقوا من مفاهيم وخبرات ذاتيَّة محدّدة؛ فلا التعريفات والمصطلحات وافية ودقيقة بما يكفي لتوحيد التصورات، ولا الخبرات موحَّدة بما يكفي لإصدار الأحكام، والتعبير عنها هو الآخر يتسّم بالهشاشة والقصور؛ لأنّه تعبير لغوي قائم على وصف إدراكات ما وراء الحس؛ ذلك أنَّ النَّفس من هذه المدركات ربما تقع في مكان ما بين العقل والروح؛ ولذا فإنَّ اللغة هي الوسيلة الوحيدة في التعامل مع هذه الأمور والتعبير عنها من الوصف والتشخيص ومحاولة تحديد المهام التي تقوم بها، وهنا يكون النظام اللغوي شديد الطواعيّة والمرونة، نظامًا مطوّعًا من أجل الوصول إلى ما نعتقده حقيقة لإقناع أنفسنا وإقناع الآخرين عند التعبير عن هذه القضايا التي تكمن وراء المادة بمادة من جنسها تسمى العقل في بنيته وتركيبه وملكاته.

والبنية العقليَّة للإنسان على قدر ما تعمل بكفاءة في تصور (الكم) وتحليله، تعمل باضطراب وارتباك يشوبه غموض في تصور (الكيف) والحكم عليه؛ ولهذا فمن يصفه مجتمع من المجتمعات بأنّه إنسان عادي معتدل متوازن،

قد يصفه مجتمع آخر بأنّه متطرّف أو متعصّب؛ فالمسألة ليست قضيّة نفسيَّة ناتجة عن انعكاسات عقليَّة تصدر حكمًا يعبّر عن الأنا بقدر ما هو وعي جمعي في ثقافة مجتمع يربطه عقد اجتماعي من القيم والأخلاق والأعراف والتقاليد والتَّاريخ والإرث الثقافي والحضاري؛ ولذا قد نجد مجتمعًا ينظر إلى ما يعدّه مجتمع آخر بحسب معاييره وثقافته معتدلًا، ينظر إليه ذلك المجتمع على أنّه متعصّب ومتطرّف، وما يَعدّه هذا المجتمع قيمة أخلاقيَّة عالية، تكون في عرف مجتمع آخر قيمة متدنيّة مبتذلة وهكذا.

ومهما كان الاختلاف في تحديد المفاهيم؛ فإنَّ التطرّف الأقصى يظلّ تطرُّفًا؛ لأنّ من الصعب جدًّا في البيئة الواحدة أن ينظر بعض النَّاس إلى شخص على أنّه قمّة في الاعتدال وينظر إليه آخرون في ذات المجتمع على أنّه قمّة في التطرّف؛ فالعقل يدرك الألوان المتباينة والحالات المتباعدة على نحو جيد، ويبيّن حقيقة ذلك للنفس التي تحدّد موقفها من إدراكها لأمرها على ضوء التصورات العقليَّة وتقديراتها، ومن هذا الإدراك يتمّ انجذاب النَّفس نحو المركز، أو الوسط، أو التوسط، أو الطرف؛ لأنّه في دائرة الممكن (متوقّع وغير متوقّع).

وفي دائرة الممكن يُنظر إلى النَّفس من زوايا تقيّم من خلالها، فزاوية هتك العرض تجعل النَّفس المطمئنة ثائرة غاضبة رافضة تفعل أيّ شيء وإن وصف من قبل الآخرين بأنّه تطرّفٌ، وكذلك زاوية المساومات المبنية على الإهانات المقدّمة هي الأخرى تستفزُّ من له نفس مطمئنة ساكنة على المحبّة، فتخرجها من ذلك السّكون ومن ذلك الاطمئنان لتضعها على المخاوف والشّكوك التي تدفعها لأن تقبل ما تفعل في سبيل استرداد كرامة، وهي تقبل بأن تدفع الثّمن في سبيل ذلك حتى وإن كان دمًا من أجل قهر الظالم أو القضاء عليه أو على الأقل الحدّ من المظالم التي تقع عليها.

ففي هذه المواجهة تكون النَّفس حيال أزمة من زاوية معيّنة، أو أزمات من زوايا متعدّدة، وعندما تُقدِم على الرَّفض بطريقة معيّنة ربّما تكون شديدة وعنيفة يصفها البعض بأنّها نفس متطرّفة، في حين تراها هي نوعًا من إشباع حاجة في اتجاه القضيَّة التي تواجهها؛ ذلك أنّها مطمئنة لما أقدمت عليه بما تمتلك من قدرات أفضت إلى السُّلوك الناتج عن الفعل.

وعندما يكون تطرُّف النَّفس اختيارًا عن وعي بموقف سليم تكون النتائج المترتّبة عليه مُرضية لمن أقدم على تنفيذ فعل التطرُّف؛ ولذا فما تأباه نفس الأنا المركز، قد لا تأباه نفس الآخر مما يجعل التطرّف هو المخلِّص من الهموم والمظالم مع وافر الرَّغبة في التغيير الذي يُمكِّن من اختيار مركز آخر أو مراكز متعددة لإدارة سليمة، وهنا ما تنظر إليه نفس الأنا على أنّه تطرّف وجب استئصاله، تراه نفس الآخر أمرا واجب التغيير حتى وإن نحت منحىً متطرِّفًا، فإذا لم تنظر نفس الأنا من الزوايا التي وجدتها نفس الآخر مدعاة للتطرّف عندما احتلت القضيَّة المركز الأوَّل في انفعالاتها، تكون القضيَّة شغلها من أجل التغيير.

ولأنّ الزوايا التي تغضب النَّفس وتدفعها إلى التطرّف تتعدّد وتتنوّع من قهر وظلم واستعلاء، وتحقير، وإذلال، وتسفيه، فإن لم يتم النظر من هذه الزوايا لِما يجب أن يكون، فالأمر لا بدّ وأن يخرج عن السيطرة والتحكّم، مما يجعله ينتشر ويعمّ كما تعمّ النَّار الهشيم، وحينها يصبح التطرّف بداية معروفة ونهاية غير معروفة، وهذه النهاية غير المعروفة قد تجعل التطرّف في مجال انتشار واستمرار وأنّه سينتج شيئًا آخر في دائرة غير المتوقَّع قد يكون أشدّ وأقسى وأمرّ من التطرّف الذي تُعرف علله ومسبباته بجهود الباحثين في السياسة وعلم الاقتصاد وعلم الاجتماع، وإذا ما بلغ ما هو أشدّ وأعظم فأين يمكن لنا أن نجد حلًّا عدلًا يُعيد الأمور إلى الموازنة التي تعتدل عليها كفتا الميزان بين الأنا والآخر.

ومن النَّفس البشريَّة ما تكون ميّالة إلى التغيير فتلتمس في الجديد دائمًا شيئًا أفضل مما هي فيه، وبما أنَّ حالات التطرّف في كلّ أمر من الأمور تُخلّ بالتوازن العام للشخصيَّة النفسيَّة في المجتمع والأمّة، فإنَّ هذه النفسيَّة إذا خضعت في مرحلة من المراحلّ لقيود شديدة في حركتها واختياراتها؛ فإنَّ البحث عن الحرّيَّة والانطلاق يصبح الهمَّ المسيطر عليها، فإذا فُكّت قيودها انغمست في حرّيَّة تصل إلى حدِّ الفوضى، التي ستظل فوضى إلى أن تضيق النَّفس بما تلمسه فيها من أذى الاضطراب والتقلّب المبالغ فيه، وتبدأ بالمطالبة بالضبط والصرامة ومقاومة التسيّب؛ لأنّها وصلت إلى حدّ الإشباع الذي يترتّب عليه الضرر.

فعلى سبيل المثال: حين تشتدّ وطأة الجوع على أحد، فإنَّ مبتغى النَّفس في الحصول على الطعام يصبح ضاغطًا ومسيطرًا عليها من أجل إشباع حاجتها، فإذا أكل الإنسان وشبع، تغيّرت نظرته للمائدة وتغيّرت نفسيته بطلب رفع المائدة وإبعادها؛ لأنَّ النَّفس وصلت إلى مبتغاها مما تراه حقًّا من حقوقها ويصبح المزيد نوعًا من الضرر.

فالنَّفس الإنسانيَّة عندما تُمكّن من أن تملك ما يمكّنها من إعمار وإصلاح، تتمكّن من عيش حياة مطمئنة تكون فيها راضية عمّا تفعل، أمّا إذا حُرمت من حقِّ التملّك فكيف لها أن تأمن من كان سببًا في حرمانها، وكيف يمكن أن تطمئن له مسؤولًا عن أمرها سواءً أكان على المستوى الأسري أم الوطني أم الدولي، فإن قوبلت بالحرمان فهي ستكون متهّيئة لمواجهته بإرادة مما يستدعيها إعداد العدّة استعدادًا للفعل بعد تأهُّب؛ ليكون الانقضاض هو الفعل المرضي لها تجاه من كان يحرمها مما ترتضيه.

وفي مقابل ذلك فإن كانت النَّفس هي المعتدية على ذلك الأنا الذي لم يسبق له أن نظَّر أو فكّر أو حرّض على ما من شأنّه أن يجعلها معتدية؛ فيصبح

الأنا في هذه الحالة ضحيَّة أمام أفعال متطرّفة ليس لها حقّ الممارسة بين بني الإنسان.

ولأنَّ العلاقات القيميَّة بين الأنا والآخر هي موثق الصلة؛ فالوعي بأهميَّة كل منهما للآخر وتقديره عاليًا يجعل الاستمرارية العلائقيّة بينهما قادرة على صناعة مستقبل مشترك؛ ولذا فإنَّ معرفة النَّفس للاعتدال والاتزان هو الذي يرشدها إلى رؤية صور الإفراط والتفريط، ما يجعل معرفتها بالتطرّف والتعصّب مُمكِّنًا لها من إدراك معنى التسامح والتآخي وهكذا.

فإذا نظرنا إلى نفس الجندي الذي يُطلب منه أن يقاتل في سبيل تنفيذ سياسات الأنا داخل الوطن وخارجه؛ فسيكون هذا الجندي بين خيارات الإقدام على...، أو الإحجام عن...، وذلك بأسباب الحالة التي هو عليها.

فإنْ كان في وطنه محرومًا ومنقوصًا ومظلومًا ومهتوك العرض وثروته مصادرة، ثمّ بعد ذلك يُطلب منه أن يكون جنديًّا مقاتلًا حتّى النصر خارج الحدود؛ فالأمر ليس بهذه السّهولة في هذه المواقف حتّى وإن كان الوطن هو المستهدف.

إن حسابات العقل لن تفارقه، واستحضار التجربة النفسيَّة قائم في الميزان؛ فكيف وهو مظلوم ومسلوب الإرادة في وطنه، وعائلته من ورائه مهزومة وقاصرة عن إشباع حاجاتها الضرورية إلا بتقديم تنازلات أمام المساومات التي ربّما جعلت من بعض أبنائه متسوِّلين أو منحرفين بأسباب الحاجة، وهو يعلم أنّ الذي أصدر له أمر الموت خارج الحدود، هو الذي كان سببًا في تعاسته، وتعاسة أسرته داخل الحدود، ما يجعل لنفسه ارتدادا لتلك القيم والفضائل التي ترشد إلى عدم إلقاء النَّفس إلي التهلكة، ومع أنَّ الدفاع عن الوطن واجب فإنَّ النَّفس التي طرأ بها وبأسرتها ما طرأ سيكون السؤال أمامها هو: الدفاع عن الوطن مقابل ماذا؟ مقابل أن يستمر الطاغية فيه مركزًا والمواطنون جميعهم تُبَّع،

أم من أجل أن تستمر المفاسد في البلاد وعلى رؤوس العباد مع وافر الإقصاء والإذلال والتحقير!

هذه النَّفس التي وصل الحال بها إلى معرفة هذه الحقائق، لا يمكن لها أن تحقِّق نصرًا أو تصنع مستقبلًا يأمله ذلك الذي أصدر لها أوامر لا خيار لها فيها؛ فهي تعلم إنْ رفضت سيكون الموت ثمنًا لرفضها دون مقابل، وإن قبلت فيمكن أن يتحقّق لها الموت بمقابل: (الهزيمة التي كانت عازمة على تحقيقها لتموت مطمئنّة وينتهي من بعدها الذي أصدر لها أمر الموت بهزيمة دائمة حتّى الموت).

وهنا لا داعي أن ينتظر المركز المتطرّف أن تكون معنويات جنده عالية في تأهّبها للانقضاض، وأداء الفعل بإرادة.

ومن لا يُشخِّص هذه الحالة النفسيَّة بمعطياتها ومتغيّراتها وما يكون للعقل من تأثيرات عليها في التوضيح والإرشاد والتبيان يجد نفسه كمن يحرث في بحر.

ولذا؛ فالعقل والنَّفس متلازمان لا ينفصلان وإن كانا منفصلين، فالعقل شيء بعيد عن الإنسان وإن كان قريبًا منه، والنَّفس التي لا مادة لها إنما يحتويها جسم الإنسان، وفي هذا الوعاء الجسدي للإنسان كان انفصال العقل عن النَّفس والتقائهما في آنٍ معًا ضمن الحيّز والزمان، ومن أراد الوقوف على العقل لا بدّ له أن يحاول معرفته بكشف ذاتي وتنبّه ذاتي يدرك به الأفكار من خلال التفكّر حتى ينتهي إلى أنَّ العقل هو نور المعرفة الذي يجده كلّ عاقل في نفسه، وحين يجده يشرع بمعرفة الحسن والقبيح، والخير والشرّ، والحقّ والباطل من خلال النَّفس التي وصلتها المعلومة من نور المعرفة التي يجسدها العقل، وحين يفقد الإنسان عقله على أثر انفعالات نفسيَّة تدفع بالعواطف إلى الانفلات من القيود العقليَّة في ثورة الغضب؛ فيرتكب عملًا منافيًا لمقررات العقل، فإذا ارتدّ إليه وعيه وهدأت سورة الغضب لام نفسه وتحسَّر على ما بدر منه دون أن

يوجّه أدنى لوم للعقل؛ ذلك أنَّ مركز الاستقرار النَّفسي مربطه العقل وجماحه النَّفس، وهكذا يتمّ توجيه اللوم إلى الداخل، بالعودة إلى الذات، والعودة إلى نقيض الشعور الذي جمحت إليه النَّفس.

إنَّ الكشف الذاتي الذي يملكه العقل بإرادة، نابع من أنَّ كلّ شيء ظاهر للنفس هو بسبب العقل، فكلّ ما هو منكشف للإنسان، وظاهر له آية من آيات وجوده تدلّ عليه؛ ولذا فالإنسان الغافل عن عقله يكون طائعًا لجموحات نفسه بمعلومات عقليَّة، وهذه المعلومات معلوم للنفس خيرها وشرّها، وحقها وباطلها، وصالحها وفاسدها، وجيّدها ورديئها، وعندما تريد النَّفس أن تنفلت من قيود جموحها التي تنصاع فيها للعواطف؛ فإنّها تستثير أكبر كمٍّ ممكن من معارفها العقليَّة، والتي لم تكن تحيط بها لولا وجوده من جهة، ولولا وجود طاقة لديها تؤهلها إلى العودة إلى الحقائق العقليَّة من جهة أخرى.

إنَّ الإنسان بين عقل ونفس وروح ومادة: فالرّوح من أمر الله تعالى والمادّة هي الوعاء الحاوي، والعقل ما هو إلا سلسلة الأفكار الكامنة في الحافظة تُستدعى وقت الحاجة عن طريق التذكّر، والنَّفس تُدرك الأشياء من خلال الميول والرّغبات والقبول والرَّفض وما ينتاب الإنسان من مشاعر الفرح والسرور والحزن والحبّ والبغض والغضب والرّضا والإصلاح والإفساد والانصياع والتمرّد؛ فتكون راضية مرضيّة مطمئنة في حال اتّباع الموجبات العقليَّة التي تحمل صفة الخير، وفي حال اتباع السلبيّات العقليَّة تكون النَّفس غير مطمئنة ينتابها الشّك والريب في ممارساتها لِما تَقدِم عليه هي من اختياراتها التي بيّنها لها العقل، وفي حال الاختيار الخاطيء يكون الإنسان في حالة اضطراب وليس في حال تطرّف.

إنّ أهم ملكة من ملكات العقل لدى الإنسان التي تعيده إلى حالة الاطمئنان النَّفسي هي ملكة التذكّر التي ترسم له نهجًا قويمًا وصراطًا مستقيمًا، ذلك أنّ التذكر هو معرفة العقل بداية، ومعرفة كلّ معرفة من الخير والشر والحق

والباطل؛ فمعرفة العقل لا تكون إلا بالعقل ذاته، أو بدلائله وآثاره؛ وذلك بمقارنة حالتي وجوده وعدمه ليدرك الإنسان أنّه عاقل، ما يجعل وجدان العقل هو الطريق إلى وجدان الحقيقة وتميّزها عن غيرها؛ ذلك أنّ التذكّر من العاقل بأنّ له عقل هي محاولة إيقاظ الحقائق داخل النَّفس وإيجاد الحقائق بها.

وهكذا تتراكم المعلومات من العقل على بيان آياته وآثاره؛ لكي تكون مدعاة لتذكّره وعودة إليه ويقظة له من الداخل بما ينعكس على النَّفس من خزين الحافظة عن طريق التذكّر فتعود بنفسها إلى جادة الصواب؛ لأنّه ليس هناك أيّ حقيقة يمكنها أن تكشف لنا العقل دون العقل ذاته، والعقل لا يمكن معرفته إلا بالتذكّر، ولا يمكن أن تكون النَّفس مطمئنة ما لم تَعُدْ إلى العقل.

التطرُّفُ عقلٌ ونفسٌ:

عندما يتعرّف الإنسان على العقل يستطيع أن يميّز الحقيقة من الوهم والواقع من الخيال؛ فالعقل يحكم باستحالة غير الممكن، وقبح الشر والظلم، وبصحة محسوسات الجوارح، وأنّه يقدر على أن يردّ كلّ حادث إلى سببه وكلّ هاجس في النَّفس إلى علّته، ويقدر على تمييز كلّ فكرة صحيحة عن الفكرة الخاطئة بعد التأكد من سببها، وهو يحكم بأنّه لو انكشف الواقع أمام الإنسان انكشافًا واضحًا، بحيث لا يمكن للنفس التشكيك فيه، فلا يكون ذلك إلا علمًا صحيحًا، وأمَّا لو أحبَّ الإنسان أن يعتقد فكرة لهوى في نفسه فلا يمكن أن تكون تلك الفكرة إلا مدعاة لخروج النَّفس عن الطمأنينة.

وقد تخيّم على مرآة النَّفس تصورات متفاوتة من واقع واحد، فيرى الإنسان أنَّ التطرّف عن المجتمع وأخلاقه وقيمه مدعاة للخلاص من واقع ما، ثم يرى في الوقت ذاته أنّه مدعاة للإضرار بالمجتمع وإهلاك النَّفس، فيرى أنَّ اعتناق التطرّف عمل سيّء وقبيح، ولكنَّه في اللحظة ذاتها يتراءى له أنّه عمل شريف وواجب!

هنا تتداخل التصورات وتتوتّر النَّفس، ويحتار الإنسان فيتدخل العقل؛ ليبرز الحقيقة من خلال مدخرات الحافظة عن طريق التذكّر، الأمر الذي يكشف فعلًا عن الواقع الخارجي ويميّزه عن الخيال والوهم ويضع حدّا فاصلًا بين الصدق والكذب، وبتداعي الأفكار وتساؤلات النَّفس بما رفدها العقل به من معلومات مخزونة في الحافظة عن طريق التذكّر يبدأ بعمليَّة التحليل الموضوعي في استنتاج الحقائق من أجل تحديد موقفه:

. كيف عرفتُ (أنا) أنّ التطرّف مدعاة للخلاص؟

. هكذا يقولون.

. لو كان هذا الأمر صحيحًا وجب أن يكون القائلون متطرّفين.

. هم ليسوا كذلك.

. إذن: هناك هدف آخر من وراء قولهم، والنَّاس يقولون ما يشاؤون، ووراء المشيئة يكمن الغرض، ووراء كل غرضٍ غايةٍ.

فبالعودة إلى العقل تستردّ النَّفس سكونها، وهذا السّكون النَّفسي يمنح العقل فرصة إعادة فرض قيد الفضائل والقيم وإحكامه على جموح النَّفس التي تتسلسل بالأفكار من السّكون وصولًا إلى الطمأنينة التي يوفّرها العقل عن طريق المعلومة الصائبة.

وفي حالة السّكون النَّفسي العقل يتساءل: هل إنّ مقول القول سبب كافٍ لركوب مركب التطرّف؟ ثم يحاول التعرف على السبب الذي دعاه إلى تصور التطرّف حلًّا، فيجد أنّ شيئًا آخر لأسباب أخرى تصبّ في مصلحة قوم آخرين دفعتهم إلى أن يقولوا له: إنّ التطرّف هو الحلّ.

وهنا يعلم أن السّبب في هذا التصور المشوّه من المعلومة التي وصلت إليه يكمن سببها في مصلحة الذين أطلقوا هذه المعلومة الخاطئة، والعقل يحكم بأنّه لا يمكن أن يكون هذا دليل على صحة الادعاء، وبهذا يفرّق بين تصوّر خاطئ وتصور صحيح، والأمر لا يعدو أن يجري خلال لحظة واحدة إلا أنّه ينطوي على مجموعة أحكام عقليَّة صائبة تنعكس على الجانب النَّفسي الذي يميل بعد ذلك إلى الاطمئنان.

إنَّ العلاقة بين العقل والنَّفس علاقة جدليَّة قائمة على تلقي المعلومة التي يكتسبها العقل وتتلقاها النَّفس؛ فيتولّد لديها شعور يتمّ على أثره اتخاذ موقف؛ فإن كان العقل يعتمد على خبراته في تمييز المعلومات التي من خلالها يدرك حقائق الوجود بناءً على التصورات العقليَّة؛ فإنَّ النَّفس تحدد موقفها من القضايا من خلال ما تتلقى من صور التصورات العقليَّة التي تؤثِّر بها سلبًا وإيجابًا، وحسب وقع صور تلك التصورات تكون النَّفس فيها بين التطرّف والاعتدال وبين التوازن والاختلال.

أنّ العقل يبقى قاصرًا عن أشياء لا يستطيع إدراكها ليحكم بصدقها أو كذبها، ولا يدع النَّفس حائرة بها، فالغيبيات والإلهيات لا يدركها العقل ليحكم بصدقها ولا النَّفس تتلقاها منه، وإنَّما تلقاها العقل خبرًا عن الأنبياء والمرسلين بحيث تكون معرفتها من العقل تسليمًا ومن النَّفس طمأنينة ومن القلب إقرارًا.

التَطرُّف الثّقافي:

الثّقافة دون تطرُّف هي تنوير العقل بالمعارف والعلوم وهي مجموع أنماط التفكير وأساليبه المتنوّعة قيمًا وفضائل، ولغة وأدبا وفنا، بها تتميَّز الخصوصيَّات وتتجسَّد الأعمال والأفعال والسُّلوكيَّات وتتطوَّر رقيًّا وذوقًا رفيعًا.

والتَّطرُّفُ الثقافي لا يكون إلا حيث يكون الخروج سبيلًا عن تلك الفضائل والقيم الرَّفيعة إلى ما هو أكثر انحطاطًا وأقل رفعة من أجل أن تُسفَّه الأقوال؛ ليحيد بالكلم عن مواضعه، وتسود أفعال التزيين لِما لا زين فيه، وتسود قيم التحقير والإفساد والتضليل، ويسود الفكر الذي تملؤه المظالم حُجَّة في الوقت الذي يحتاج النَّاس فيه لِحُجَّة بها يحق الحق ويُزهق الباطل، فعندما تُبدَّل الحقائق بغيرها تصبح الثقافة في حاجة إلى تصحيح المعلومة بالمعلومة، وإلا ستؤول الأمور تطرُّفًا إلى ما لا يُحمد عقباه؛ ولهذا بعض القنوات تحاول أن تُصلح بعض المفاهيم لتجعل ثقافة منطق الحوار هي القاعدة السّائدة بين الأنا والآخر، ومع ذلك يشار إليها من قِبل البعض بالمنحازة، والمراد من ذلك أن تستجيب بما يشار إليها من انحياز لكي تتخلّى عمّا تُقدِّمه بموضوعيَّة؛ ولذا يصبح تزوير الحقائق مُزوِّرا للثقافة، وهكذا هو حال المقررات المدرسيّة التي حُذِفَ منها ما حُذف من مصطلحات ذات مفاهيم سامية كـ(الفداء والجهاد) فأصبحت كالوردة بدون رائحة، وكالشِّعر بدون قافية، وكالسيّدة بدون أقراط.

إنَّ قراءة الأحداث بمفاهيم خاطئة لا بدَّ أن تؤدّي إلى نتائج خاطئة، وإنَّ قراءة التَّاريخ دون استخلاص عبر منه لا يمكن أن تُسهم في صناعة المستقبل الأفضل ولا تُحدث النُّقلة.

فالثقافة التي لا تُحدث النُّقلة، ولا تُسهم في صناعة المستقبل الأفضل لن تكون قادرة على طي الهوة بين الأنا والآخر، بل في كثيرٍ من الأحيان تُشكل عثرة بينهما، فمن خلال تلاقح الأفكار والعلوم والمعارف المتبادلة بين الأنا

والآخر تنصهر العلاقات بين الأفراد والجماعات والمجتمعات الإنسانيَّة في بوتقة التعاون والتوافق والانسجام والمشاركة والاستيعاب الممكِّن من الاعتراف والتقدير المتبادلين، ولكن إن انتشرت ثقافة الإكراه ورفض الآخر وحرمانه وتغييبه ساد التطرُّف في ميادين المعرفة التي تجعل من المكائد والدسائس والتأمرات والاقتتال تطرُّفًا بغير حقّ.

ولذا؛ فمَن تكون أفكاره ورؤاه الثقافيَّة منغلقة على ذاتها وذات أحكام مسبقة على ثقافات الآخرين وحضاراتهم، فهذه الأحكام المسبقة تُعدُّ خارجة عن الموضوعيَّة التي بها يتمُّ تقييم المعارف وتقويم السُّلوك وتحكيم العقل، ومن هنا تُبذر بذور التطرُّفِ حتى تُجنى أفعالًا.

ومع أنّ في دائرة الممكن المتوقَّع الثقافة لا تُنتج تطرفًا فإنّها في دائرة غير المتوقَّع هي خير من ينتجها، فمن المتوقَّع أن يكون المثقف مستنيرًا فكرًا ومعرفة ووعيًا، فإن كان كذلك فكيف له أن يُسهم في تزييف الحقائق وتغيير المصطلحات عن مفاهيمها التي ينبغي أن تكون عليها، وإن لم يكن كذلك؛ فهل يمكن لسواه (غير المثقف) أن يُسوِّق لِما يتمّ تزييفه من حقائق تسويقًا به تتأثّر العقول وتُمسخ الذاكرة؛ ولذا فمع أنّ الثقافة في بُعدها المفهومي لا يمكن أن تُنتج تطرُّفًا، فإنّها بالبعد الاصطلاحي كل شيء ممكنٌ.

ولنعد لمعرفة الذين قد أقدموا على أفعال متطرِّفة ألا يكون أغلبهم من أصحاب المؤهلات العلميَّة جامعيَّة وعُليا، ولأنّهم كذلك؛ فهل هم من المثقفين الذين استنارت عقولهم أم أنّهم من غير ذلك! فإنْ كانوا من المثقفين الذين استنارت عقولهم ومعارفهم؛ فكيف لنا بوصفهم متطرِّفين! وإن كانوا مثقفين ألا يكون للثقافة تطرُّفًا مَنْ بلغه بَلَغَ التطرُّفَ! أم أنّهم قبل أن يبلغوا التطرُّف كانت صفاتهم من المثقفين ثمَّ إنّهم من بعد بلوغ التطرُّفِ أصبحوا على غير ذلك!

فأصحاب الثقافة الذين يرون أنّ رؤاهم وأفكارهم غير قابلة للدحض ولا للنقاش، وكل من يخالفهم مخطئ على غير حقّ يجب معاقبته، هذه الثقافة إن سادت فلا وصف لأصحابها سوى أنّهم من المتطرّفين.

إنَّ الثقافة لاشكَّ لا تطرُّفَ فيها من حيث كونها مجموعة من المفاهيم الفكريَّة التي بها تستنير العقول ويزداد الوعي الممكِّن من التبيُّن قبل الإقدام على الفعل، ولكن التطرُّفَ يتعلق بمن يُفكِّر ويتهّيأ عن إرادة ثمّ يستعد ويتأهّب ويفعل ما لا يرضي الآخرين الذين تربطه بهم علاقات اجتماعيَّة ووطنيَّة وإنسانيَّة، وعندما تكون الأفكار والأفعال والأعمال قادرة على نيل الرّضا من الآخرين بموضوعيَّة فهي لا تُعدّ متطرِّفة.

ومن مظاهر التَطرُّف الثقافي أنْ يُلمّ الأنا بثقافة الآخر ثم يعمل كل ما في وسعه من أجل تبديل بعض مفاهيمها، أو تزييف بعض مصطلحاتها أو أكثر من ذلك يعمل على إلغائها وهذه قسريّة ثقافيَّة؛ فبعض الأحزاب عندما تستولي على السُّلطة تبدأ أوَّل ما تبدأ بقسريّة الثقافة، وهذا الأمر يؤدّي إلى الرَّفض، وأي شيء يُفرض قسرا يُرفض إرادةً، وبكل الأساليب مرنها ومتطرِّفها، وبالتالي: فإنَّ الثقافة القسريّة تحت أيّ شعار من الشعارات هي المولِّدة للرفض والتطرُّف؛ فعندما تخضع الأجيال إلى ثقافة المعسكرات كما كان حال المعسكرات الماركسيّة أيّام الاتحاد السوفييتي فإنَّ تشرُّب تعاليمها تلقينا يُسهم في تخريج دفعات ببغائيّة، عناصرها كأوراق سحب منسوخة بعضها من بعض، حيث لا مكان للاجتهاد الممكِّن من حُسن التدبُّر وإظهار الخصوصيَّة الواعية على المستوى الفردي والجماعي؛ فتلك التلقينات الببغائيَّة بعد أن سقط الاتحاد السوفييتي من منصّة المنافسة الحرّة لم تجِدْ من يتأسف عليه، فالثقافة التي تترك أثرًا موجبًا هي الثقافة التي تُسهم في تهيّؤ الأفراد عن تفكُّر وتذكّر وتدبُّر وبكل إرادة، ثم تُمكِّنهم من أن يستعدوا ويتأهَّبوا إلى الإقدام على الفعل الممكِّن من ممارسة الحقوق وأداء

الواجبات وحمْل المسؤوليّات، وتمكّنِهم أيضًا من التفكير في أثناء التفكير، والتفكير في أثناء القراءة، وفي أثناء الحوار والمناقشة والمجادلة، وكذلك في أثناء حدوث المفاجآت حتى لا تترك في أنفسهم علامات استغراب وتعجّب وحيرة وقلق وخوف واستفهام، والثقافة التي تترك كل ذلك هي ثقافة قسريّة متآكلة تنخر جذعها بأظافرها، ثم تُنكر ذلك التَّاريخ الذي كانت فيه تستظل تحت مظلة الأستاذيّة والتبعيّة غير الواعية بما يدور عليها، وما يدور من حولها، مما يجعلها في نهاية المطاف متطرِّفة مرّتين: مرّة عندما كانت تتتلمذ على تلك الأفكار القسريّة وكأنّها حقائق مطلقة وغير منقوصة وهي ليست كذلك، والمرّة الثانية بعد ما أنكرت تلك التعاليم التي شُرِّبت لها قسرًا دون أن تنصفها بموضوعيَّة.

مُحضَنات الثّقافة:

مع أنَّ الثقافة مكوِّن عام ونتاج عام من الرّؤى والأفكار والتنظيرات والعلوم والمعارف والأعراف والأديان فإنّها في دائرة الممكن تثرى بمحضنات فكريّة وبها تُسلب معطياتها أيضًا.

فالقاعدة: (المحضون في رعاية الحاضن).

والحاضن هو الرّاعي للمحضون من التلف والمسخ والاندثار والهلاك؛ ولهذا فالثقافة محضونة بالوعي المعرفي والدين الذي لا يتغيَّر ولا يتبدّل بالتدخُّل البشري، ومحضونة بالقيم العامّة المقدِّرة لخصوصيّة كل من الأنا والآخر سياسةً واجتماعًا واقتصادًا ومعرفةً، ومع ذلك فالمحضون يمكن أن يكون وسيلة للتعريف بالحاضن مما يجعل الثقافة وسيلة معرفيَّة وفكريَّة لنقل الفضائل والقيم ونشرها والدعاية لها، وفي مقابل ذلك عندما تنسلخ الثقافة عن ترسيخ الفضائل الخيّرة تتطرَّف، وإذا تطرَّفت الثقافة عن الفضائل الدينيَّة والقيم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة أصبحت بلا هويَّة، وإذا حُضنت بالفضائل الخيِّرة حَضنت أفراد المجتمع تحت

مظلّة التسامح والوحدة والمودّة والتآخي والتآزر والمشاركة البناءة إعمارًا وإصلاحًا.

ولذلك فالثقافة المحضونة بالفضائل الخيِّرة، والفكر المستنير الذي يُمكّن من استيعاب الآخرين، والقيم الحميدة التي تؤسس علاقات الاحترام والتقدير والبناء والإعمار تحافظ على بقائها في ميادين بناء الحضارات، ومن ثمّ تُرسِّخ هويّة المستنيرين بها علمًا ومعرفة وتجعل من المواطن مركزًا رائدًا أينما حلّ في وطنه، وأينما تنقّل.

بين عنف وتطرّف:

العنف استخدام قوّة قد تكون وفقًا لِما يجب إذا استخدمت لأجل إعادة الأمن الذي به تطمئن الأنفس، وقد تكون لِما لا يجب عندما تكون بأيدي من تطرَّف عبثًا بالبلاد والعباد يسفك الدّماء فيها بغير حقّ؛ فالعنف الدَّموي هو من أساليب السُّلوك التي لا تُقرّها القيم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة التي تسعى أن تكون العلاقة بين الأنا والآخر علاقة مودة ومشاركة وتعاون وتوافق.

ومع أنَّ العنف الدَّموي الذي يعبث بالبلاد والعباد عن غير حق لا تُقره الأديان والأعراف فإنّ العنف الدَّموي من أجل إحقاق الحقّ حقّ، وبخاصّة عندما تكون من ورائه غايات عظام تجعل الإنسان خليفة في الأرض فلاحًا وإصلاحًا وإعمارًا.

إنَّ الفكر المتطرِّف الذي اتخذ العنف الدَّموي وسيلة وُجِد بوجود الإنسان على الأرض، فقد شهده المجتمع الإنساني منذ بداية الخليقة، حيث تمثّل ذلك فيما جرى بين ابني آدم اللذين وصل أمر التطرُّف بفكر أحدهم إلى استخدام العنف الدَّموي وسيلة لتنفيذ ما أملته عليه الفكرة المتطرِّفة التي نتج عنها القتل، وهذا الأمر أعلى درجة يمكن أن يصل الإنسان فيها إلى التطرُّف

بما يمليه عليه فكره من استخدام الوسيلة في شخصانيَّة مفرطة ليس للآخر فيها سبب، فكانت إملاءات الأنا في هذا الفكر قد دفعت إلى استئصال الآخر بآخر وسيلة من العنف يمكن أن يلجأ إليها الإنسان في النهاية، وقد لجأ إليها ابن آدم في حق أخيه بداية دون أن يكون للجدل والمحاجّة والحوار المنطقي مكانة موضوعيَّة.

فالفكر الذي تُبنى عليه المواقف إمَّا تطرُّفًا وانحرافًا وإمَّا اعتدالًا وتوازنًا فكر احتمالي الاتجاه والمسلك وفقًا للإرادة ووفقًا للموجَّهات الفكريَّة من الخارج؛ ولذا كان تطرُّف أحد ابني آدم أوَّل عنف دموي على الأرض التي دحَّاها الله لأن يكون الخلق عليها أينما وجدوا على ظهرها هم مراكز متساوية في ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمْل المسؤوليَّات مع وافر الاحترام والتقدير لكلٍّ منهم.

ولأنّ لكلِّ قضيّة حلًّا؛ فلا داعي أنْ يقْبِلَ البعض متسرِّعًا على ممارسة العنف الدَّموي بغير حقّ، أي: لا داعي إلى إغفال علاقة الأنا بالآخر والحوار معه إذا أردنا أن نتوصَّل معًا إلى نتيجة يكمن الحلّ فيها.

فالتطرّف الذي يولّد العنف الدَّموي مرتبط بالفكر الإنساني منذ وجود الإنسان والفكرة، وحينما يغيّب الحوار والجدل بالتي هي أحسن تُقفل مصاريع الحلول، ويبقى باب التطرّف مفتوحًا على العنف الدَّموي الذي تكون أفضل نتيجة له سيئة بأبخس الموازين.

إنَّ الخروج على منطق الحوار هو بحدِّ ذاته فكرة متطرّفة تدفع من يعتنقها إلى الابتعاد عن الآخر وتنأى به عن الـ(نحن) التي يجب أن يكون عليها مع وافر الحقّ والعدل والاتزان، ومن هنا تنشأ فكرة التخلُّص من الآخر في استقصائه وإنهائه رغبة من الأنا في سيادة الفكرة التي تؤمن بها وفق رؤيتها التي تمثّل الأنا المركزيَّة.

الفكر المتطرّف كان ولا يزال سببًا في الكثير من المشاكل والقلاقل والفتن التي تزعزع الصّرح الاجتماعي وتهدم أركان أمنه وتنزع عنه وحدته المتماسكة، بحيث تجعله يعيش في مناخ عدم الاستقرار والاضطراب المستمرّ.

ومن الإرث الإنساني المؤثّر في الأجيال اللاحقة ما هو مشوّه بحيث يربط بين التغيير نحو الأحسن والعنف الذي يؤدّي إلى التغيير، وهذا التأثير مصدره التجارب الإنسانيّة، منها ما هو مدوّن ومنها ما تناقلته الذاكرة الإنسانيّة أساطير أو وقائع تاريخيّة اعتمدت العنف سلوكًا أدّى إلى أنواع من التغيير، الأمر الذي دفع كثيرًا من أفراد المجتمع الإنساني أن يقتنع بأنّ التغيير نحو الأفضل يجب أن يتخذ العنف سلوكًا بأدواته ووسائله حتى أصبح ذلك لدى البعض من البديهيات الإصلاحيَّة.

ولكن السؤال الذي يفرض نفسه: هل تلك الأحداث، وتلك الثورات التي اعتمدت العنف سلوكًا أدّت جميعها إلى التغيير نحو الأفضل؟

إنَّ النظريّات الفكريَّة التي أسست للعنف سلوكًا انطلاقًا من دوافع متباينة، لا يمكن أن تأتي بنتيجة واحدة؛ لاختلاف دوافعها وإن كان لبعضها حسنات، إلا أنَّ مساوءها مازالت تعاني منها الإنسانيَّة بالرّغم من انقضاء أزمنة كثيرة على انبثاقها.

إنَّ الأساليب السُّلوكيَّة للعنف لا تؤدي بالضرورة إلى التغيير نحو الأحسن، ولو كان ذلك كذلك، لكانت أغلبيّة الأنظمة التي عمدت إلى سلوك اتخاذ العنف منهجًا قد أوصلت مجتمعاتها إلى المثاليّة النسبيَّة في الحقّ والعدل والحرّيَّة والمساواة، ولا سيما أنّ التغييرات لدى الجماعات التي اعتمدت سلوك التغيير بالعنف كثيرة سواء على مستوى الدّول في أنظمة الحكم أم على مستوى تنظيمات خارجة على هذه الأنظمة، ولو كان في سلوك العنف قاعدة التغيير

نحو الأفضل لما خرجت عليها هذه التنظيمات، ومن ثَمَّ أُتهمت بالتطرّف؛ لمخالفتها الرأي في وجوب التمركز حول المركز الذي تفرضه الأنا.

إنَّ العنف قد يؤدّي إلى تغيير ما، ولكن هذا التغيير قد يكون:

. نحو الأحسن.

. نحو الأسوأ.

ومما يجب معرفته أنَّ لدى كثير من أفراد المجتمع الإنساني قناعات بأنّ إزالة ظاهرة اجتماعيَّة ستؤدّي حتمًا إلى إيجاد ظاهرة أخرى مأمولة النتائج، وقد يكون ذلك راجعًا إلى فطرة النَّاس المتفائلة بالخير، غير أنَّ عامل الزَّمن الذي يظهر النتائج هو الكفيل الوحيد في إصدار الحكم والتقييم للظاهرة الجديدة التي تحلّ محلَّ غيرها، في حين أنَّ التغيير الذي يحصل نتيجة استخدام العنف سلوكًا والاعتماد على وسائله قد يفضي إلى نتائج إيجابيَّة أو سلبيَّة، وهناك من العنف ما يكون مبرّرًا لتبقى الأحوال على ما هي عليه دون تغيّر أو تغيير.

إنَّ تقييم أيّ تغيير لظاهرة من الظواهر وفق سلوك أصحابها سواء أكان هذا التغيير بالعنف وسيلة أم بالسّلم أداة بأنّه إيجابي أم سلبي، عمليَّة تتطلب التعرُّف على مجموعة من الحقائق الفكريَّة الموجهة للسياسة والاجتماع والاقتصاد.

فالتعرّف على هذه الحقائق ومعرفة سلبيَّاتها وإيجابيَّاتها في المجتمع قبل استخدام العنف الذي أدّى إلى التغيير، ومن ثم التعرُّف على السلبيّات والإيجابيّات الناتجة عن التغيير، ثم تقييم كلّ منها موضوعيًّا يمنح المتتبّع إصدار حكم على أساسه تُتخذ المواقف تأييدًا أو معارضةً.

إنَّ كثيرًا من التغييرات التي كان العنف لها سلوكًا لا زالت الآراء مختلفة حول إيجابيَّاتها وسلبيّاتها؛ إذ إنَّ الفكر الإنساني بحاجة ماسّة إلى رفض التسليم

بأنَّ هناك علاقة إيجابيَّة بين التغيير نحو الأحسن والعنف سلوكًا، وبحاجة أكثر إلى ترسيخ مفاهيم التغيير نحو الأحسن الذي يحدثه السُّلوك السلمي في عمليَّة التغيير؛ لأنّه قائم على توازن يسمح للعقل بأن يفكّر دون توتر أو يتّخذ مواقفه على ردود أفعال الأنا المركز.

إنّ السُّلوك السلمي نحو التغيير أثبت جدارته في كثير من تجارب المجتمعات الإنسانيَّة؛ إذ وفّر دماءً كثيرة وأموالًا طائلة، وأنتج أمنًا اجتماعيًّا واستقرارًا سياسيًّا وتقدّمًا حضاريًّا واقتصادًا متوازنًا هو أقرب إلى الحكمة منه إلى التهوّر في القياسات النسبيَّة؛ ولذلك فكلّ ما يقال أو يُكتب ليس بمطلق وهو قابل للنقاش حتى التبيُّن.

إنَّ سلوك العنف الدَّموي الناتج عن الفكر المتطرّف يجب ألا ننظر إليه على أنّ هدفه تغيير الظاهرة الاجتماعيَّة أو السياسيَّة أو الاقتصاديَّة أو الفكريَّة، وإنما في أحيانٍ كثيرة ينشأ الفكر المتطرّف الذي يتخذ العنف الدَّموي سلوكًا من دوافع انتقاميَّة، أو ردود أفعال، أو من أجل إظهار روح الأنا على أرواح الآخرين، وهذا أمر لا تظهر نتائجه إلا بعد انقشاع سُحبه.

إذن: الفكر الذي يدخل في صراع بين الأنا والآخر عليه ألا يقيّد أيّ اتجاه من اتجاهات الفكر، حتى الفكر الذي ترفضه الأنا بنظرتها إليه كونه متطرِّفًا، يجب التعامل معه في مرحلة التطرّف على أنَّه قابل للحوار والاستماع إليه حتى لا يصل إلى مرحلة سلوك العنف الدَّموي، وفي مقابل ذلك علينا ألا نغفل عن كون الفكر المتطرّف بداهة هو جزء من الحلّ كما أنّه جزء من المشكلة؛ لذا وجب النظر بعين الاعتبار إلى معطيات منها:

ـ أنَّ الأنا والآخر أصحاب فكر.

ـ الفكر منطلق للحوار بين المتحاورين.

. الحوار بين الأنا والآخر يُبرهن على التقارب.

. التقارب يقرّبُ الحلّ أو يحققه.

ولذا فإنَّ الاجتهادات الفكريَّة التي تصفها الأنا بالمتطرّفة ينبغي أن يتُمَّ تقبّل التحاور معها فكريًّا للوصول إلى حلّ قبل الوصول إلى المواجهة التي قد تؤدّي إلى العنف الدَّموي بين الأنا والآخر.

إنَّ اتخاذ موقف المواجهة بين الأنا والآخر هي مواقف قمعيّة إن تمّ اتخاذها دون اللجوء إلى التحاور والتجادل والمناقشات الهادئة المرنة ومن يتخذ مواقفه دون ذلك فليس له وصف يمكن أن يوصف به سوى التطرُّف.

ومن يستطيع أن يستمع محاورًا إلى أفكار الآخر يكون قد فوّت عليه فرص البطولة والأتباع والأنصار أو الأزلام، ومن لم يستطع ذلك أدخل نفسه في الدائرة الفكريَّة للتطرُّف المتبادل.

ومن هنا يبقى إتاحة التعبير الفكري للجميع ضمن ضوابط المنطق الذي يقبله العقل، حتى لا يتحوَّل الفكر المتطرّف إلى سلوك لا يبقى أمامه غير العنف الدَّموي وسيلة للتعبير.

إنّ إتاحة التعبير للجميع حتّى الفكر المتطرِّف، هو سلوك فكري يعبِّر عن مصداقيّة الأنا في تعاملها مع القضايا الفكريَّة، ويجب ألا يكون ذلك مدعاة للخوف؛ فعندما تلجأ الأنا لحوار الآخر حوارًا فكريًّا لا وسطيّة فيه، فيه الحقُّ يُحقُّ، تجد نفسها بين المناصرين للحقِّ آية.

إنَّ تطرّف الأنا في أحيانٍ كثيرة يدفعها إلى إلقاء التهم على الآخر جزافًا؛ فترفض اللقاء أو الحوار معه، وترفض وجوده على خريطة الوطن مركزًا كغيره من المواطنين، وكأنّه لم يكن مركزًا على الأرض المدحاة أينما وجد ولو كان داخل القضبان.

ولهذا فإنَّ موقف الأنا من تطرّف الآخر برفض الحوار معه يساوي مقدار تطرّف الأنا لهذا الخوف حفاظًا على المركز.

وهنا فلو أن الآخر لديه فكر متطرّف من وجهة نظر الأنا، كان على الأنا الواثقة الاقتراب من الآخر بالحوار والنقاش والجدل وصولًا إلى الحقائق المنطقيَّة قبل وصول التطرّف إلى اتخاذ العنف الدَّموي سلوكًا، فإن لم تُقدم الأنا التي ترى التمركز حولها واجبًا على اتخاذ موقف إيجابي من الآخر تكون قد دفعته إلى ارتكاب سلوك ربّما يكون العنف الدَّموي وسيلته لتحقيق غايته؛ وبذلك تكون الأنا قد أسهمت في دفع الفكر المتطرف إلى اتخاذ العنف الدَّموي سلوكًا.

ومن هنا يجب أن يَعْبُرَ الفكر الإنساني مرحلة بناء المجد الشخصي المعبِّرِ عن الذات والمؤسّس على الأنا إلى دائرة أوسع تستوعب الآخر؛ لتصل به إلى الفضائل والقيم التي عليها تؤسّس المواثيق الأخلاقيَّة بين بني الإنسان أينما كانوا وحلّوا.

فالحكم على أفكار الآخرين بالخطأ انطلاقًا من التنظيرات الشخصانيَّة الفكريَّة على أنَّها هي الصواب لمجرد التعارض الذي يجب أن يكون مدعاة للتصحيح والتقارب، هو بحدِّ ذاته تعبير موضوعي عن فشل الفكر المنظّر الذي قيّم الآخر وأراد استئصاله.

فلو كانت الأنا تمثّل الفضيلة حقًّا لكانت أسوة حسنة أمام النَّاس، ولو قبلنا بأنَّ الأنا تمثل الفضيلة لأصبحت كلّ أنا على رأس الفضيلة مما يجعل النَّاس جميعًا هم رؤوس من الفضائل، وهذا لن يتحقّق وإن تحقُّق سيكون في دائرة الممكن زمانه بعيد.

ونظرًا لبعد الزّمان الذي يمكن أن تتحقّق فيه الفضائل على العموم الأرضي؛ فالفروق الفرديَّة تجعل البعض على حالة من التهيّؤ والاستعداد وتجعل

غيرهم غير مبالين ولا مكترثين بما يدور من حولهم وأحيانًا لا يصدقون وإن كان الأمر متعلق بهم؛ فهنا الأمر يتطلَّب أن يكون النَّاس مراكز؛ وذلك بأسباب أنَّهم لم يكونوا معًا على الفضيلة؛ فلو كانوا على الفضيلة لكانوا أنا واحدة، لا آخر يتماثل معها ولا يفارق.

ولأنّ الأمر لم يكن كذلك بأسباب الفروق الكبيرة بين الأفراد والجماعات والمجتمعات في الرّغبات والطموحات والأماني والقدرات والاستعدادات والاتجاهات والأفكار والديانات والأعراف والقيم؛ لذا وجب تعدُّد المراكز بفضائل نسبيَّة لا تضرّ بمصالح الأفراد، الأمر الذي يشكل قيمًا مشتركة تحظى بالإجماع الإنساني النسبي، وهذا بحدِّ ذاته فضيلة تكون مرجعيَّة للاحتكام كلّما تمثّل فيها التوافق والانسجام بين قوى النَّفس عن طريق العقل، فلا تبغي إحداها على الأخرى، فيكون ثمت توازن بين القيد العقلي والجموح العاطفي ورغبات النَّفس.

ولذا؛ لا ننكر أنّه يوجد من بني الإنسان من يحمل التفكير المتوازن بين العقل والقلب والعاطفة، مما يجعل طموح النَّفس وجموحها مقيّد بقيد الاعتدال العقلي النسبي الذي هو على مقربة من الفضيلة منه إلى الرّذيلة، وهذا لا يقتصر على فرد بعينه، ولا جماعة دون غيرها، فمن يرى نفسه كذلك عليه أن يدرك أنَّ آخرين يحملون هذه السجيَّة؛ ولذا فتقدير الآخر ومشاركته في كلّ ما يتعلّق به من أمر قرارًا وتنفيذًا وتقييما وتقويما يُفضي إلى قبول تعدّد المراكز الذي ينتج عنه توزيع المسؤوليَّات وتحمُّل ما يترتّب عليها من أعباء، وهنا يصبح بين الأنا والآخر حمْل المسؤوليَّة مدعاة للنجاح.

هذه الرّؤية هي أحد اتجاهات التفكير المنطقي في تحلّيل القضيَّة والوقوف على حيثياتها من أسباب وعلل؛ ذلك أنّ الفكر الإنساني المعاصر ولاسيما

أصحاب القرار في التفكير المقاوم للتطرّف نحى منحىً وقائيًّا، وهو تفكير استدراكي لمشكلة كان هو سببها، وليس هو تعبير متأخر عن وعيه بالقضيَّة.

فحين يَكفُّ الفكر عن بذل الجهد المطلوب في الاتجاه الصحيح، أو فكَّر الأنا أن يبسط سيطرته على الآخر؛ فإنَّ التأزّمات والمشاكل تأخذ في التصاعد والتنامي؛ إذ إنّ كثيرًا منها ذو طبيعة تفاعليَّة تصل بها إلى التصادم.

التطرّف بحثٌ عن الحلّ:

التطرُّف قضية فكرية يُمْكِن الوقوف على عللها وأسبابها ولكن من الصعوبة أن يتم وصفها بالتمام إن لم يتجسَّد في أفعال الأفراد وسلوكيّاتهم؛ ولذا لا يوجد سلوكٌ متطرّفٌ بدون فكر متطرِّف، وعلى المحلّلين والمفسّرِين للظواهر الاجتماعيَّة إن أرادوا معرفة تفسير سلوك المتطرّفِين أن يبحثوا عن مرتكزاتهم الفكريَّة المولّدة للسُّلوك والمهيمنة عليه، عند ذلك يمكن الوصول إلى الحلول الناجعة في معالجة سلوك المتطرّفين.

ويبدأ الفكر التطرُّفي في الظهور الملاحظ عندما تُمركز الأنا على حِساب الآخر، وإن سادت الكلمة: (أنا) بين طرفي أيّ علاقة، يكون لسان حال كل طرفٍ هو: أنا فقط.

. أنا الفرد دون غيري.

. أنا الجماعة دون غيري.

. أنا العشيرة دون غيري.

. أنا القبيلة دون غيري.

. أنا الطائفة دون غيري.

. أنا الطبقة دون غيري.

. أنا الحزب دون غيري.

. أنا الدَّولة دون غيري.

. أنا الحاكم ولا غيري يحكم.

. أنا الذي أرسم سياسة العالم بأسره.

فكلمة أنا (المولود الفكري) هي المسوِّقة للتطرُّف وصاحبها هو المسبب في انتشاره، والذين أصبحوا متطرِّفين هم الدّافعون تجاه ما يؤدّي إلى الحلّ ضرورة أو اضطرارًا أو إرادة؛ ولذا فالقاعدة تقول: (حلّ المشكلة يكمن فيها).

ولأنّ الكلمة: (الأنا) قد تُفعل على حِساب الآخرين إذا تحقّقت لها معطيات القوّة؛ فالاستعصاء فعل يقابلها من كل زاوية تنظر منها أو تنظر إليها.

وحتى لا تُدان الكلمة (الأنا) بالمطلق ينبغي لنا معرفة الأسباب التي تُظهرها اعتدالًا، والتي تُظهرها تطرُّفًا، والتي تجعلها سلبيَّة؛ والتي تجعلها على حالة من الغفلة؛ والتي تُسهم في إظهارها تطرفًا هي:

. عندما تتضمن الهيمنة والسيطرة والاستعلاء.

. عندما تحتوي إملاءات فوقيّة.

. عندما تؤدّي إلى التهميش والتقوقع والانسحاب.

. عندما لا تؤدّي إلى تبادل الآراء والعلوم والمعارف والخبرات وتقفل الأبواب في وجوه أصحابها.

. عندما لا تُسهم في إحداث النُّقلة للمستقبل.

. عندما تقفل باب المشاركة.

. عندما لا تؤدّي إلى التفاعل البنّاء بين الأفراد والجماعات والمجتمعات الإنسانيَّة.

وفي مقابل ذلك للأنا ما يُظهرها اعتدالًا وهو:

. عندما تتضمّن الكلمة الأنا، العزّة والأنفة والكبرياء.

. عندما تُرسِّخ الفضائل والقيم المؤدِّية إلى إثبات الهويَّة.

. عندما تُقدِّرُ كل ما من شأنه أن يحافظ على الخصوصيَّة التي بها يعتزَّ ويتميَّز الأفراد والجماعات والمجتمعات.

. عندما تتمسَّك بممارسة الحقوق.

. عندما تكون اعترافًا بأداء الواجبات.

. عندما تكون حاملة للمسؤوليَّة وما يترتّب عليها من أعباء.

. عندما تُعتَبَر، وتُعتَبِرُ الآخرين.

أمَّا كونها في بعض الأحيان تُظهِرُ سلبيَّة؛ فهي عندما يكون لسان حال صاحبها:

- أنا ضعيف.
- أنا غير قادر.
- أنا لا أستطيع.
- أنا فاقد الثقة بنفسي.
- أنا لا أساوي شيء.
- أنا لا أستحقّ النجاح.

ولذا؛ فإن أصحاب هذه الكلمات رؤاهم لا تُسهِمُ في مقاومة التطرُّف، ولا في صناعة المستقبل، ولا حتى في الاعتماد على النَّفس الذي به تمارس الحقوق، وتؤدّى الواجبات، وتحمل المسؤوليَّات مما يجعلهم عبئًا على الآخرين.

أمَّا ما يُظهِر الكلمة (الأنا) في سلوك أصحابها وأفعالهم على حالة من الغفلة هو: أنّها لم تكن على وعي بما يدور من حولها، وما يدور تجاهها وكأنّه لا أمر يهمّها حتى تنتبه، وبالتّالي فإن كلِّف أصحابها بمسؤوليات قد يحملونها ولكنّهم سيظلون غير واعين بما سيترتّب على حمْلها من أعباء جسام؛ مما يجعلهم في قفص المساءلة بين أيدي المحاسبين والمسائلين والقضاة؛ ولذلك هم في حاجة ماسة لمن سيترافع عنهم حُجَّة بحُجَّة ومعلومة بمعلومة.

إنَّ هؤلاء هم الوسط العام الذي يسعى كلّ من الأنا والآخر المضاد لها في الاتجاه للعمل على جذبهم تجنيدًا، أو تحييدًا، أو تضليلًا مما يجعلهم في كل الأحوال ضحايا بين هؤلاء وهؤلاء، إنَّهم العموم ركَّاب القاطرات الوسط القابل للجرِّ في العربات المجرورة التي ليس لها رأي في وجهتها.

فالكلمة (الأنا) يجب أن تكون موجبة بما يمنع أسباب التطرُّف وتقديم الغافلين ضحايا في عربات مجرورة تُجَرُّ ولا تَجُرُّ إلى أي تجاه، وأن تُعتمد القاعدة الموضوعيَّة بين النَّاس (نحن سويًّا) و (نحن معًا) لتكون الأنا مفردة كغيرها من المفردات الفاعلة والمتفاعلة والمتعاونة والمشاركة للآخرين الذين يتماثلون معها إرادة وصلاحيَّات واختصاصات تجاه ما يُمارس ويؤدّى وما يُحمل من أعباء.

وتوجد مجموعة من المبادئ التي تجمع بينها الكلمة السواء بِما تتمركز عليه من قيم خيِّرةٍ منها:

ـ التجرّد من رغبات الأنا، وأطماعها ومصالحها الشخصانيَّة.

ـ الاعتراف بما يجب، والعمل على أدائه.

. تقييم الأنا والآخر معياريًّا وليس عاطفيًّا.

. الإقدام على الأفعال الإنسانيَّة والحضاريَّة وتفهُّم ظروف الخصوصيَّات ذات العلاقة واستيعابها موضوعيًّا.

. تقدير ما يجب أن يُقدَّرَ.

وهنا يتمّ الوثوق في الكلمة الجامعة لا المانعة لمن لهم حقّ المشاركة والتعاون والعمل والتعلُّم بمسؤوليّة وإرادة؛ مما يجعل الكلمة السّواء كلمة اعتدال وتوازن لا يمكن أن تؤدّي إلى ما من شانه أن ينتج تطرُّفًا بين الأفراد والجماعات والمجتمعات، بل إنَّها ستكون الكلمة المسبِّبة في إلغاء الهوّة بين الأطراف التي يمكن أن تكون حواضن للتطرُّف أو بيئة ملاذًا له.

ومع أنَّ التطرُّف نتاج فكري فإنّه مولود تلك البيئة التي هيّأت لحمله وميلاده وترعرعه؛ فالبيئة التي أظهرت متطرفي 11 سبتمبر وجعلتهم يحبُّون الموت ويلتجئون إلى معانقته والتوحُّد فيه، ويركبون الطائرات؛ ليدمروا بها أبراج نيويورك المشيَّدة، هي في حقيقة أمرها من نتاج تلك المعطيات التي من بينها؛ التأييد المستمر من قِبل الولايات المتحدة الأمريكيّة للإسرائيليين على حِساب دولة فلسطين.

فالمواطن العربي يعيش في هذه البيئة المليئة بالمتناقضات التي يرى فيها أنّ رؤساءه وزعماءه لم يُقدَّروا برغم ما يُقدِّمونه من تنازلات لأمريكا، مما ولَّد لديهم مشاعر الغضب تجاهها، وولَّد لدى بعضهم التطرُّف فعل يؤدّى تجاه مصالحها وأراضيها وقواعدها وحتى الحكومات العربيَّة المتعاونة معها.

ومن أوَّل المعطيات بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م، التي زادت البيئة المتطرِّفة اتساعا في التطرُّفَ ضد الولايات المتحدة الأمريكية هي تلك التصريحات التي أدلى بها السيد الرَّئيس جورج بوش عندما قال: (من ليس معنا

فهو ضدنا) هذه المقولة قد ولَّدت اضطرابًا وقلقًا وخوفًا لدى المسلمين جميعًا الذين أصبحت ديانتهم متهمة بإنتاج التطرُّف؛ ولذا فإنّ إحساس الفلسطينيين والصوماليين والعراقيين والأفغان بأنّه لا رحمة عليهم من أحد، ولَّد عند أغلبيتهم أنّه لا مفرَّ من الموت إلا الإقدام عليه بإرادة من أجل أن ينتزعوا الاعتراف بحقوقهم من كلِّ أحدٍ، وعندما يتحقّق لهم ذلك فلن يجد الموت من يَقْدِمَ عليه بإرادة، ومن يقدم عليه بعد ذلك يُعدُّ منتحرًا ولن يُكتب شهيدًا مع الشهداء.

ومن أراد لمشكلة التطرُّفِ حلّا؛ عليه بمعرفة مكامنه التي فيها المتطرِّف والفكر الذي تشرَّبه جزءًا من الحلّ؛ ولذا فمن يستمع لِما يقوله المتطرِّف ويتعرَّف على دوافعه ومحفِّزاته لارتكاب أفعال التطرُّف يتمكّن معه من المعالجة والإصلاح اللذين يؤسِّسان على تصحيح المعلومة بالمعلومة ودحض الحُجَّة بالحُجَّة، دون أن يتمّ الالتجاء إلى التسفيه والتحقير والتهميش والتغفيل.

ولهذا فمن يُفكِّرُ في حلّ لمشكلة التطرُّفَ عليه أن يعرِفَ أنّ التطرُّف في أساسه يُفعل بحثًا عن الحلّ للتأزُّمات التي أوجدت البيئة الخصبة لنمو بذوره.

وهنا فإنَّ اتخاذ أساليب وآليات متطرّفة لمعالجة مشكلة التطرّف يولِّد أساليب جديدة لتنوّعه، وإنَّ اتخاذ أساليب أكثر مرونة يُحفِّزُ كلا من الأنا والآخر إلى التقارب الممكِّن من الجلوس في دائرة البحث عن الحلّ.

الوسيطيَّة جزء من التطرُّف أم جزء من الحلّ:

الوَسيطي لغة ثالثة ذات بُعدٍ ثالث، فهو من يقبل الجلوس بين طرفين بغرض جذبهما إليه؛ لتكون رؤاه الفكريَّة هي الحلّ، ولكي يصل الطرفان إلى ما يشاؤه الوسيطي عليهما بوضع راحتي يديهما مع راحة يديه ليتمّ القبض الممكِّن من الجذب بقوّة وإلَّا لن يصلا إلى المكان الذي يضع الوسيطي قدماه عليه، وفي دائرة الممكن احتمالات أربعة:

الاحتمال الأوَّل: أن يكون الجذبُ معسَّرًا بما يواجهه الوسيطي من جهد مقاوم من كلا الطّرفين المتطرِّفين؛ فالتعسُّر يكون مصحوبًا بمرارة التنازلات المستوجب تقديمها في سبيل الوصول إلى الوسيطيَّة أو حتى الوسطيَّة التي عليها الوسطي يبذل الجهد من أجل قبول الوسطيَّة حلًّا بغض النظر عمَّا في التنازلات من مرارة.

وفي هذه الحالة إن قَبِل الطرفان ذلك بداية قد لا يقبلانها وسطًا ولا يقبلانها نهايةً، وهنا تكمن معطيات الانتكاسة الميسِّرة سُبل العودة إلى ذلك التطرُّف أو إلى تطرُّفٍ آخر.

الاحتمال الثاني: أن تكون نتائج الجذب معسَّرة بما يواجهه الوسيطي من جُهدٍ مقاوم من أحد الأطراف؛ وفي مقابل هذا التعسير تكون نتيجة من يُقدِّم التنازلات سريعة أن يحيد عنها بسرعة أكثر، مما يجعله يعود إلى ذلك الطرف الذي جاء منه مجرورًا بمجموعة من التنازلات.

ومن يكون معسَّرًا في أمر جرّه بالقوّة الوسيطيَّة بتنازلات يعرف أنَّها سَتُلقي عليه عبئًا آخر لا يطيقه فكريًّا أو نفسيًّا فهو كمن قبل بداية وتخلى وسطًا وتطرَّف نهايةً.

الاحتمال الثالث: أن تكون نتائج الجذب ميسَّرة من كلا الطرفين مع ما يبذله الوسطي أو الوسيطي من جهد لجذبهما تجاهه، هذه الحالة في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع إمَّا على احتمال اعتراف الطرفان بأنّهما كانا على غير حق فيما قاما به من تطرُّفٍ؛ فغلبت الموضوعيَّة بعد نُضجٍ ورُشدٍ على تفكيرهما؛ فقرّرا العودة الميسَّرة، وإمَّا أنَّهما لظروف مؤقتة قبلا بذلك دون أن يُشْعِرَ طَرَف الطَّرف الآخر بحقيقة أمره، ودون أن يعرف الوسطي حقيقة أمرهما أيضًا مما يجعل التنازلات المقدّمة بغرض أخذ ثمن لِيُسهِمَ في دعم الاتجاهين اللذان

كان كلّ منهما متطرّفًا عليه عن الآخر، أو من أجل أن يقترب الطّرفان ماديًّا؛ لتكون الخطورة ميسَّرة بينهما كلّ ضدّ الآخر.

الاحتمال الرَّابع: أن تكون نتائج الجذب غير متوازنة بسبب اختلاف قوّة شدّ أحد الأطراف عن قوّة شدِّ الطرف الآخر، أو باختلاف قوّة توازن اليدين الجاذبتين لهما في دائرة الانحياز النسبي، فعندما لا تكون الأطراف متوازنة في أثناء الجذب بقوّة الوسطي، يسبق أحدهما الآخر وصولًا، وقد يغادر بأسباب تأخر الذي تعنَّتت به العلل والأسباب فأخّرته عن تقديم التنازلات أو تعنَّتت به في تفهُّم الظروف التي بها يتمّ استيعاب الآخَرين (المواجه للأنا في الطرف الآخر + الوسطي).

أمَّا إذا كان الوسيطي منحازًا ولو قليلًا لطرفٍ على حساب طرفٍ آخر فإذا ما اكتشف الطرف المنحاز عنه للطرف الآخر بذلك التحيُّز الوسيطي ثار من جديد على الأخضر واليابس دون أن يستثني وسطيًّا ولا آخر.

ومع أنّ كلّا من الوسطي والوسيطي هما في دائرة الممكن على التساوي دلالة ومفهومًا، فإنَّ لكلِّ منهما ما يخصَّه من دلالةٍ ومفهومٍ؛ فالوسيطي هو الثالث الذي يتوسط بين الأنا والآخر ليجرهما إلى حلّ بعد إعطاء تنازلات. والوسطي كذلك يُعدُّ هو الثالث بالنسبة إلى الأنا والآخر، ومن حيث خصوصيّة المفهوم فالوسطي هو: الاعتدالي وليس العدلي، فالاعتدالي هو من يميل إلى العدل ميلًا، مما يجعل الميل إلى العدل نسبيًّا يختلف من شخص لآخر قربًا وبعدًا؛ ولذا فإنَّ بلوغ العدل ليس الميل إليه؛ ولهذا فالوسطيَّة تدعو إلى الميل إلى العدل، وليس إلى الأخذ بالعدل هو كما هو؛ ولأنَّ الاعتدليَّة ميليَّة؛ فالميل إلى يُعد استحسان من باب الجواز (يجوز ولا يجوز) حسب الحالة والظرف النَّفسي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي والمصلحة، وهذا ما ليس بعدلٍ، العدل

هو: الأخذ بالحق والعمل على إحقاقه هو كما هو، بأساليب متنوّعة؛ إذ لا إكراه بل كلّ شيء على الإرادة.

ولأنّ الوسطيَّة اعتداليَّة والاعتداليَّة تميل بالأنا والآخر عمَّا هما عليه تجاه العدل؛ فإنّ الاتجاه نحو العدل يُمكِّن من الأخذ منه ما يمكن أخذه وترك ما لا يرغب أحد الأطراف الأخذ به. ولكن هل هذا من العدل؟ أم أنَّ العدل هو الأخذ بالحقيقة التي إن تمَّ الأخذ بها بإرادة أصبحت الهوّة بين الأنا والآخر في خبر كان؟، وإذا ما تمَّ ذلك فلن يكون هناك مكانٌ لوجود من يدَّعي وسطيّة أو وسيطيَّة.

وإذا قبل البعض أنّ الميل إلى العدل مرحلة ضرورية لمن كانوا متطرِّفين، إذن: ألا يكون ذلك الميل دليل اعتراف من قِبل هذا البعض بقبول التنازلات ولو كانت مرحليَّة! وإذا أجاز أحد هذا الأمر ألا تكون المرحلّية مؤقّتة وهي في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع ليس بمضمونة النتائج حيث تغيُّر الظروف ومعطيات الانتكاسات المتعددة.

ولهذا لا حلّ إلّا بالعدليّة وحدها، أمَّا الاعتداليّة (الوسطيَّة) فهي ليست بحلٍّ، بل هي من يأمل الحلّ؛ ولهذا الفرق كبير بين الحلّ، ومن يرى الميل إلى الحلّ هو الحلّ.

إذن: من يقبل الوسطيَّة حلًّا فليس له بدٌّ إلا أن يتخلى عمَّا هو عليه من تطرُّف، ثم يقبل بتقديم التنازلات التي بها يتمكَّن من الجلوس مع الآخر ليشكِّل معه جناحي الوسطيَّة اللذين بهما تُحلّق، ولكن إن اكتشف الطرفان أنَّ وظيفة الجناحين تنفيذ قرار الطيران الذي ليس لهما رأي فيه؛ فقد ينقبضان، ولا يمتدان ثانية مما يجعل الوسطيَّة وجناحيها ضحيَّة ما كانت تدعو إليه.

ولذا تُرفض الوسطيَّة؛ كونها على حساب إحقاق الحق؛ فهي (أنا) بين (آخَرَين) كلّ منهما يعتقد أنّه على صواب وهو صاحب الحقّ، فتحاول الوسطيَّة أن تُقدِّمَ حلّا مرضيًا لكلٍّ من الطرفين، وهذا الحلّ لا يمكن التوصل إليه إلّا من خلال تنازلات يُقدِّمها كلّ طرفٍ للطرف الآخر وفقًا لرؤية الوسطي، الذي يرى أنّ الأمور لا تُحلّ إلا بما يُمكِّن من امتصاص الغضب وقبول الآخر هو كما هو، ثم قبول كلّ منهما بتقديم التنازلات؛ لأجل أن يتمّ التفاوض والتحاور والمراجعة التي رسم خيوط نسيجها الوسطي.

ولأنَّ كلًّا من الأنا والآخر يرى نفسه أنّه على حقٍّ وغيره على باطل فالوسطي يرى أن الحقّ ما ليس عليه الاثنان، وفي هذه الحالة يُعدُّ الوسطي طرف ثالث، وهذا يُظهر تعدّد الأطراف إلى ما هو أكثر من الأنا والآخر، وبإجازة ظهور التعدّد في إظهار الحقّ من الباطل فإنّنا نقبل بظهور رابع يمكن أن نسميه المواجه لهؤلاء الثلاثة بالحقيقة؛ أو إنّه الوسيطي الذي يعرف أنّ الأنا قد يكون على حقّ والآخر على باطلٍ ومع ذلك يتدخل؛ لجرِّهما إلى نقطة الالتقاء المؤقّتة وفقًا لِما يقبل به كلّ طرفٍ من تقديم التنازلات، وفي هذه الحالة كيف إذن: سيكون الحلّ! هل يكون بقبول ما جاء به الرّابع أم من الأفضل أن ننتظر خامسًا في دائرة ظهور الممكن!

كلّ المعطيات على أرض الواقع تُثبِتُ التعدّد والحقيقة واحدة، فعلى سبيل المثال: اليمين المتطرّف يرى أنّه المالك للحقيقة؛ ولهذا يَدعو إليها كما هي متهيّئة له، واليسار المتطرِّف يرى أنّه المالك للحقيقة وغيره لا حقيقة عنده، والوسط كذلك، ويمين الوسط هو الآخر لم يرَ الحقيقة إلا كما هي متهيّئة له، وهكذا كان الماركسيون والبعثيون والناصريون والإخوان المسلمون، وكلّ حزب بما لديهم فرحون وكأنّه امتلك الحقيقة دون أن يترك لغيره شيئًا منها، وفي هذا التعدّد يذوب الوسطي الذي يعتقد أنّه جاء بالحقيقة، مما يجعل العدل هو توازن

المركز الذي لا يميل عن أحدٍ، ولا يميل به أحد، وهو الذي يسع الجميع دون أن يجعل أحدًا منهم طرفًا متضادًّا لغيره.

فالوسطي لو لم يرَ أنّ الطرفين ليسا على حقٍّ، ما قدَّم بينهما حلّا آخر (الحق كما هو متهيّئ له)، وفي هذه الحالة لا يمكن أن يكون وسطيًّا، بل إنّه الآخر غير الطرفين السّابقين، الطرفان السّابقان ليسا على الحقّ، والطرف الثالث إن كان على الحقّ فهو ليس بذلك الوسطي، بل إنّه المواجه للجميع بالحقيقة وأهميَّة إحقاقها؛ وهذه الحقيقة لا تتطلب تقديم التنازلات بل تتطلب التخلّي؛ أي: التخلّي التامّ عن كلّ ما من شأنه أن يكون قد أدّى بالطرفين أو الأطراف إلى الاعتقاد في التطرُّفِ وارتكاب أفعاله بأساليب غير مشروعة وإن شَرَّعَ لَها من شرَّع تحت أيّ صفة من صفات امتلاك القوّة.

إذن: عندما تكون الأطراف المتعددة على غير حقيقة، يكون الغافلون هم الميدان الواسع لانتشار الفرقة بادعاءات الحقيقة التي لا يمكن أن تتجزأ؛ ولأنَّ الحقيقة واحدة لا تتجزأ؛ لذا لا شرعيَّة لمن يدَّعيها، بل الشرعيَّة لمن لا يحيد عنها، ومن ثمَّ فعلى العقل البشري أن يُفرِّق بين مُدّعي الحقيقة والحقيقة هي كما هي؛ فإن لم يتمكَّن من التمييز سيجد نفسه مُنجرًّا تحت مظلة أحد المدَّعين لها غفلة لا صحوة، وهؤلاء ومن هو على مثلهم، هم الذين في حاجة لوسطي؛ ليجذبهم عمَّا هم فيه من غفلة؛ لتكون الصحوة لهم من بعد ذلك دافعة تجاه الوقوف على الحقيقة التي سبق لهم الغفلة عنها.

أمَّا أوَّلئك الذين هم على الحقيقة سواء أكانوا أناة أم الآخرين فهم ليسوا في حاجة لوسطي يجرُّهم إلى الوسطيَّة أو الوسيطيَّة ليكون الحلّ مع غيرهم من الذين هم على الظلم المركَّب من الجزأين: جزء من الحقيقة، والجزء الآخر من الباطل، مما يجعل الوسطيَّة أو الوسيطيَّة مكوّنًا مركَّبًا من قبول جزءٍ من الحقِ مع جزءٍ من الباطل، وإن تمَّ ذلك فلا يصبح كلُّ منهما لا حقيقة بأسباب خلط

جزءٍ من الحقيقة مع الباطل؛ وكذلك لا تصبح باطلا بأسباب خلط الباطل بالحقيقة، ولهذا يكون التعريف بالوسطيَّة من هذا المركَّب، مما يجعل البعض رافضًا لها حيث عدم قبوله اختلاط الحقّ بالباطل، ولا يقبل التعاون والمشاركة مع من يقبل بذلك، بل سيكون البعض متطرِّفًا ومقاوما لكلّ هذه الأساليب التي أدّت إلى اختلاط الحقّ بالباطل، ومن هذه الزاوية ينظر إلى الوسطيَّة بأنّها جزءٌ من المشكلة، وليس بجزءٍ من الحلّ.

وعندما تطرح الوسطيَّة رأيها حلًّا ثالثًا بين طرفين تكون قد بعُدت عن الوسط الذي يرسم نقطة التمركز العدل دون ميل؛ فإن كانت الوسطيَّة بين طرفين يمثِّل أحدهما السُّلطة (الحاكم)، والطّرف الآخر يمثل التطرّف عن السُّلطة تأتي الوسطيَّة وتطرح حلًّا وسيطًا، ليس مع رؤية الحاكم بالتمام، وليس مع رؤية المتطرّف بالتمام، وإذا ارتضى الطرفان بما قدَّمت الوسطيَّة من حلّ؛ فهذا يستوجب تنازلات من الحاكم ومن المتطرّف، تجعل كلًا منهما على حالةٍ من الالتقاء مع الآخر، ولكنَّه ليس معه بالتمام، حيث إنّه ما زال كلّ من الطرفين متمسِّكًا بنصف ما كان لديه من أفكار تجاه الآخر ورؤاه، مع فتحه خانة جديدة تشغل حَيِّزَ النصف الثاني الذي فُرّغ بتقديم التنازلات؛ ليمتلئ بما يتم الاتفاق عليه بين الطّرفين؛ ولهذا فإنَّ بذور الفتنة التي أنبتت التطرُّف مازالت متأهّبة للظهور من النصف الذي لم يمسَّه تقديم التنازلات إذا ما توافرت لها بيئة مناسبة للنمو.

إنَّ الوسطيَّة في مفهومها اللفظي لا الاصطلاحي تحمل مدلولات وجوب تقديم تنازلات تستدعي حلًّا من أجل فكّ التوتّرات والخصومات والمصادمات التي تدور رحاها بين الأنا والآخر، وبهذه النظرة هي أقرب لأن تكون شرطيًّا لا قاضيًا؛ فالشرطي إنْ حدثت اشتباكات بين الأطراف الذين هم في دائرة اختصاصه يأتي لفكِّ الاشتباكات ويترك الأمر، وإن اشتكى أحد

الأطراف ضد الآخر سيكون الأمر العدل متعلقًا بوجوب قاضٍ عدل؛ ليحكم بالحقِّ لا بتنازلات من أحدٍ لحساب آخر، ومع ذلك الصلح خير؛ لأنَّه إرادي فيه يتمّ التقدير المتبادل بين الأطراف المتنازعة.

وللتعرُّف على الوسطيَّة ينبغي لنا تحديدها ظرفيًّا بين مَن ومَن؟

. هل بين الحقِّ والباطل؟

. هل بين حاكم ومحكوم؟

. هل الوسطيَّة هي المائلة؟ أم هي التي يُمال إليها؟ أم أنَّها المحفِّزة على الميل؟

. هل الوسطيَّة بين وسطٍ ومتطرّف أم أنَّها بين متطرّفين؟

. هل الوسطيَّة بين معتدل ومتطرّف؟ أم بين متطرّف وأكثر تطرُّفًا؟

. هل ستتحقق الوسطيَّة فعلًا على أرض الواقع بما تتركه مجازًا أن يؤخذ ميلًا تجاه العدل؟

. ألا تكون الوسطيَّة حاملة لبذور فنائها؛ كونها تحمل مبررات العودة إلى التطرّف بمن قَبِل بإعطاء التنازلات حلًّا مؤقتًا لأنْ يعود إلى ما كان عليه!

. ألا يعدُّ تقارب الأطراف بتنازل كلّ منهما عن جزءٍ من الحقيقة تطرُّفًا جديدًا عن ملامسة الحقيقة هي كما هي!

. ألا يكون الميل إلى العدل دليل إثبات أنّه ليس بعدلٍ؟

. هل الحقيقة أن تكون الوسطيَّة على مسافة واحدة من جميع الأطراف عادلها وظالمها، وحاكمها ومحكومها، وحاميها وحراميها!

إنَّ الذي يتنازل عن جزءٍ من قضيّته، ويحاول أن يغيّر قناعاته وبخاصّة في مسألة الدين والعرف والحقوق؛ فذلك لأسباب ظرفيّة تحدث فيها التنازلات، ولكن عندما تتغيّر الظروف التي فرضت التنازلات ويكون الإنسان قادرًا على إحقاق الحقّ فإنَّ الرجوع عن تلك التنازلات أمر لا بدّ منه مما يستوجب العودة عن التخلّي عن التنازلات الظرفيَّة، وهكذا المتطرّف عندما يقبل الحلّ تحت ضغط الظروف ويتفاوض من أجل تقديم تنازلات، فإنْ لم تتغيّر قناعاته الأولى لا بدّ أن يعود إلى ما كان عليه، وقد يكون أكثر شدّة إذا كانت الظروف تصبُّ في مصلحته، ولكن إن كانت عن قناعة تامّة فلن يعود إلى ما تخلّى عنه، ويكون أكثر تمسُّكًا بما وصل إليه من حلّ.

بهذه الرّؤية تكون الوسطيَّة والوسيطيَّة تقريبيتين، تهدفان إلى تقريب وجهات النظر بين الأطراف المتطرّفة مما يجعل الاتفاق على ما هو ممكن وبقاء غير الممكن ساكنًا؛ ولذا فإنَّ سكون البركان لا يعني انتهاء أمره، بل يعني: أنّه في دائرة المتوقَّع سيكون مفاجئًا لمن يعتقد أنَّه خمد إلى النهاية؛ ولهذا فالفكر المتطرّف والرّؤية المتطرّفة إن هدأت وسكنت تدلُّ على أنَّها ستثور من جديد، ويكون الغبار المنفوض بقوّة نفخُ الثوران كافيًا لأن يعيق الحركة التي في مجاله أو حتى توقُّفها كما فعل بركان أيسلندا بالملاحة الجويَّة في أوروبا شهر مايو 2010م.

ولأنَّ الإنسان لا يمكن أن يتنازل عن حقه إلَّا إذا كان غافلًا، أو مُغفَّلًا، أو قاصرًا أو مغلوبًا أو مقهورًا ومغيّبًا، فإنَّه متى ما امتلك مقاليد القوّة وزمام أمره تمكَّن من إعادة حقوقه بالقوّة حتى وإن وُصِفَ من الآخرين بأنّه متطرِّف.

وعندما يُثار التساؤل عمَّا إذا كان التطرُّف قوّة أم ضعفًا! يُثبت التطرُّف ذاته بأنّه لو لم يكن قوّة ما كان سببًا للتفاوض؛ فهو من وجهة نظر الأنا الحاكمة

تطرُّفٌ، وهو أيضًا من وجهة نظر الآخر قوّة مُمكِّنة من نيل الاعتراف والتقدير وإعادة الحقوق، وتقويم الاعوجاج.

ولذا؛ لو لم يكن التطرُّف قوّة ما كان لأحداث 11 سبتمبر أثرٌ يُستدل به على المتطرِّفين الذين أصبح الانتماء إليهم بين الشباب يزداد بأسباب توفُّرِ معطيات البيئة التي تنتجه، ومنها: الإجراءات القهرية، وانتشار المظالم، والحرمان من ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمْل المسؤوليَّات، ومنها: الاعتداءات الصارخة على الملكيَّة الخاصّة والملكيَّة العامة وعلى أعراض النَّاس، ومنها: احتلال الأوطان وسلب خيراتها، ومن معطياته الرَّئيسة أيضًا: المعلومات المزوَّرة، والمساس بالدين والعرف، والمغالبة بغير حقٍّ على المستوى الدّاخلي (داخل البلد) أو على المستوى الخارجي (في الهيئات والمنظّمات والجمعيّات الدّوليَّة والعالميّة)، ومع أنَّ البعض يعتقد أنّ الفقر هو الذي يدفع الشباب إلى ارتكاب أفعال التطرُّف، فإنَّ القادرين هم الذين يتصدَّرونه فكرًا وفعلًا، أمَّا أولئك الذين هم على الحاجة لا وقت لهم غير البحث عمَّا يُشبع حاجاتهم وحاجات من له الحق عليهم، وللنظر إلى السيد بن لادن والسيد الظواهري، وكذلك الذين نفَّذوا أحداث 11 سبتمبر 2001م، نجد أنَّهم لم يكونوا من الفقراء، بل إنَّهم من الملَّاك والمهندسين القادرين والفاعلين.

ولننظر أيضًا إلى بعضٍ من قيادة الجماعة المتطرِّفة في ليبيا الذين أُطلق سراحهم بعد قيامهم بمراجعات موضوعيَّة بما قاموا به من دراسات تصحيحيّة في مفاهيم الجهاد والحسبة والحكم على النَّاس، نجد من قياداتهم: سامي السَّاعدي، وعبد الحكيم بالحاج، وخالد الشريف هم ليسوا بفقراء، وهكذا نجد في بيئات ظهور التطرُّف الكثير من الذين اتخذوا الصّفات البديلة أسماء لهم من أجل قضايا هم يرونها حاقّة للحقِّ هم ليسوا بالفقراء؛ وهذا لا يعني أنَّ الفقر لا تأزُّمات بأسبابه، ولكن التأزُّمات المترتِّبة على الفقر أكثرها جرائم وانحرافات

سرقة، وتعاطي، وتسوّل، وقلقلة أمن الشارع بما يُخيف المواطنين على أمن ما يمتلكون، وقد يُجنَّدُ أوَّلئك المنحرفون بأسباب الحاجة من قِبَلِ الآخرين ويُستخدمون بموجِّهات داخليَّة وأجنبيّة ضد النظام ومصالح الوطن، وقد يكون البعض من النَّاس (مواطنون وأجانب) ضحيَّة بين أيدي الذين دفعتهم الحاجة إلى الجريمة.

ولذا فالتطرُّف لم يكن على نوعيّة واحدة، ولا تنظيمًا فكريًّا وحدًا، بل هو المتنوّع مولود البيئات المتنوّعة؛ فهو في أساسه المؤسّس على التهيّؤ والاستعداد والتأهُّب والفعل الإرادي، ولم يكن المؤسّس على التنظيم كما هو حال تنظيم الإخوان المسلمين الذين يخططون ويبرمجون وفقًا لأهداف هم يرونها واضحة الدلالة والمرمى ثم ينظِّمون المنتمين إليهم إعدادًا وفق حلقات ودوائر ومستويات تراتبيَّة مع القبول بتنوّع الأساليب.

ومع أنَّ التطرُّف في أساسه لا تنظيم فإنّه بعد التهيّؤ والاستعداد والتأهُّب والفعل الإرادي يصبح في دائرة الممكن ظهور التجمُّع واتساع دائرة المعارف ممكنًا؛ ليكون الجهد الموحِّد أقوى من الجهد المنفرد وفقًا لقاعدة: (الفرد قوّة، والجماعة أقوى، والمجتمع أكثر قوّة) وتكون المناصرة قاعدة لتبادل المعلومات وتمكين المتطرِّفين من تنفيذ أفعال التطرُّف بنجاح قدر الإمكان.

ولأنَّ التطرُّفَ قوّة؛ فهو المسبّب للتصدُّعات والتأزُّمات الحكوميّة والمرهق لأجهزتها الأمنيَّة، والمرهق للاقتصاد الوطني والاستقرار الاجتماعي؛ ولأنَّه كذلك فتُعدّ القوّة لمقاومته وردعه ومحاولة قهره وهزيمته كلٌّ وفق استطاعته.

وكذلك من وجهة نظر الوسطي فإنَّ التطرُّف قوّة؛ فهو لو لم يعده الوسطي قوّة ما عرض نفسه القوّة التي لا تواجهه (التطرُّف)، بل القوّة التي تعترف به في دائرة الممكن مثلما تعترف بالآخر، ولأنّ التطرُّف قوّة فإنّ الكثيرين يخشونه ويجتنَّبون أصحابه الذين هم في كثيرٍ من الأحيان غير مأموني الجانب.

ومع أنَّ التطرُّف قوّة فإنَّه لا يخلو من نسبة الضّعف فيه، وفقًا لقاعدة (لا قوّة مطلقة إلَّا من القويّ المطلق) مما جعل من هم في دائرة النسبيَّة على القوّة والضّعف من متغيّر لمتغيّر، والضّعف بين سالبٍ وموجبٍ هو القوّة في دائرة النسبيَّة والممكن؛ فالذي يُستدرج بداعي الضّعف لتقديم تنازلات ويقبل ذلك في فترة ما قادر على أن يحتفظ بقوّة ضعفه التي تسمح له بمقاومة الظرف في الانقضاض على الآخر؛ لاسترجاع ما تمّ التنازل عنه.

ومن يتم استدراجه بتداعيات الإصلاح والتسامح والاستيعاب والتفاهم والتفهُّم من أجل أن يحقِّق الآخر غاية له في ظرف معيّن؛ فهو بعد تغيّر الظرف وتوفّر المعطيات التي تسمح له بالانقضاض ليظهر القوّة التي كان البعض يعتقدها ضعفًا؛ فلن يتردّد أبدًا ليثبت أنّ قوّة الضّعف قوّة تُمكِّن من كان يشار إليه بالضّعف بأنّه على القوّة المؤثرة والفاعلة في الزّمن غير المتوقَّع.

إذن: في معطيات الضّعف توجد معطيات القوّة؛ ولهذا ما يظهره الإنسان من ضعفٍ في القولِ أو العملِ أو السُّلوك قد لا يكون كما هو مُظهَرًا؛ بل قد يكون مغايرًا لما في باطنه أو ما يضمره من أجل توفير هذه القوّة التي يراها الآخر ضعفًا إلى أن تتهيّأ لها الظروف المناسبة لإظهارها قوّة، وقد يكون إظهار الضّعف من أجل استنفاذ قوّة الآخر، أو من أجل استدرار عطفه وتغفيله عمَّا يمكن أن يُفكِّر فيه تجاه الآخر الذي يظهر الضّعف من أجل غاية في نفسه، وعندما يكون الضّعف على هذه الحالة؛ فهو في أعلى درجة من القوّة لِمَا وفّره من جهد في نيل الوطر.

وهنا وجب النظر إلى القضايا بأبعادها الكامنة وليس بما يبدو ظاهرًا منها أمام الآخرين؛ فمعطيات القوّة تتوافر بمتغيّراتها والظروف التي تسمح لها بالظهور كلّما تهيّأت، مما يجعل القوّة نبتة قويّة في بيئة الضّعفاء والمستضعفين، وفي مقابل ذلك يصبح الضّعف هو البِذْرَةُ التي تنمو في نفوس الأقوياء.

ومن خلال ذلك فإنَّ: (الأنا، والآخر، والوسيطي) هم على أطراف القوّة والضّعف؛ فالوسيطيَّة تقبل أن تعالج القوّة بقوّة والضّعف بضعف، ولأنَّها وسيطيَّة فهي لم تُقرّ العلاج بالقوّة المطلقة ولم تُقرّهُ بالضّعف المطلق الأمر الذي جعلها على طرفي نقيض من الطرفين.

ولأنّ الوسيطيَّة مؤسّسة على ضعف وقوّة؛ لذا فهي تقبل بمعطيات وجوب التنازل النسبي عن الضّعف بالميل إلى القوّة، كما تقبل بمعطيات وجوب التنازل النسبي عن القوّة بالميل إلى الضّعف، وأينما يلتقي القويّ مع الضعيف أو القويّ مع من هو أقوى منه تعتمده الوسيطيَّة حلًّا مناسبًا ومرضيًا للطرفين.

ولكن:

. هل تُعدُّ نقطة الالتقاء (على الوسطيَّة) هي الحلّ بالحقّ والعدلِ؟

. هل تُعد نقطة الالتقاء (على الوسيطيَّة) إنصاف بموضوعيَّة؟

ومع أنّ الوسطيَّة تطرح الحلول التوفيقية، فإنَّها تعلم الحلّ (الحقيقة)، ولكنَّها من أجل نزع فتيل الاشتعال تقبل غضّ النّظر عن بعض الحقائق وما يستوجب أن يكون من حلّ عدلٍ.

ولأنّ الأمر كذلك ألا تكون معطيات التطرّف قد تأسّست من جديد برؤية وسطيّة تعلم أنَّها قد نزعت الفتيل وأبقت اللغم بجانبه الأمر الذي يُمكِن لأيٍّ كان أن يُعيد الفتيل إليه لِيَنفَجِرَ من جديد بقوّة أعنف مما كان عليه ويصبح الغافلون هم الضحيَّة المعرَّضة للتفخيخ في الصدامات الدائرة رحاها بين متطرِّفٍ وأكثر تطرُّفًا.

بيئة توليد الوسيطيَّة:

تبرز الوسيطيَّة والوسطيَّة ظهورًا عندما يصطدم طرفان أو أكثر اجتماعيًّا أو فكريًّا أو سياسيًّا أو اقتصاديًّا أو دينيًّا سواء على مستوى السُّلطة والحكم، أم على مستوى الأفراد والجماعات في أيّ دولة، أو مجتمع، أو نظام حكم، وبشكلٍ خاصّ عندما تصل الأمور بين الأطراف إلى نقطة لا عودة عن التطرُّف فكرًا أو سلوكًا.

وبظهور التطرُّف تظهر معطيات جديدة تَحلّ بين المتطرِّفين لتملأ ذلك الفراغ الممتدّ بين أطراف النزاع فتكون جسر الصلة الذي يربط بين المسافات المنفصلة التي قطعت العلاقات بين الأنا والآخر، وإن لم تَحلّ الوسيطيَّة محلّها في الوقت المناسب بين هذه الأطراف؛ فقد تزداد الهوّة اتساعًا والجفاء بعدًا.

ولكن ما هي المعطيات التي تُمكِّنُ الوسطيَّة من ربط الهوّة بين الأطراف المتطرِّفة بعضها عن البعض، ألا تكون هي المتكوِّنة من مجموع التنازلات في دائرة النسبيَّة والممكن، ومدى درجة تحمُّل كلِّ طرفٍ على أن يقبل بما يمكن أن يُملى عليه من الطرف الآخر أو الأطراف المتحالفة ضدَّه، فعلى سبيل المثال: الصراع في ليبيا وسوريا واليمن والعراق قوّة رحاه تدور بين أطراف لا تقبل بالاستسلام، وأخرى ترى ضرورة غض النظر عن بعض المواقف، فهو الصراع بين من يرى لا مكانة له إلّا بإشعال نار الفتنة، ومن يرى وحدة الوطن والحفاظ على ترابه، ومن يرى الثأر من العدوّ وطلب الشهادة هو الحلّ، ومن يرى المغالبة بالأكثرية وإن كره الكارهون، ومن لا يقبل بأيّ رئيس للدّولة الموقّرة إلا برئاسته هو دون غيره، والذين لا يرون فيه قادرًا على تمثيل كلِّ اللبنانيين الذين تنوّعت أفكارهم ودياناتهم واتجاهاتهم وتوجُّهاتهم حضاريًّا وثقافيًّا ومصلحيًّا، ومن يرفض التدخُّل الأجنبي في توجيه الساسة، ومن يرى في التدخل مناصرة الحقّ وإحقاقه، وبين هذه وتلك تظلّ بذور الفتنة مكوّنًا من مكونات البيئة المحلّية والبيئات

الأخرى، وما تُقرَّه الوسيطيَّة من قبول البقاء على هذه المخصّبات البيئية بشيء من التنازلات.

ولذا فما يجري من صراعات في هذه الدّول كلّما ازدادت انشطاراتها ازداد التطرُّف انشطارًا جديدًا، وكلّما اشتدَّت الصراعات والصدمات اشتدَّ التطرُّفُ وتأزّمت الأحوال في البلاد، ومع أنَّ الدين في معظمه دين واحد (الإسلام) فإنّ السياسة ليست واحدة؛ فكانت الصّدامات مشتعلة بنيران التطرُّف بين السُّنَّة والسُّنَّة، وبين الشّيعة والشّيعة، ثم بين الشّيعة من جهة والسنَّة من جهة أخرى، وبين أكرادٍ وأكراد غيرهم، وبين بعض من العرب والتركمان وكذلك بعض من الأكراد، وبين من يدين بالإسلام ومن يدين بغيره، الوطن واحد، وحقّ المواطنة واحد، وثروة البلد واحدة، وجميعها لن تُعدّ مرتكزًا للقاء بما أنَّ الأجنبي هو المسيِّر للسياسة وحتى حركة المرور في البلاد، ولأنّه أجنبي فلا بدّ له من الرّحيل، وإن لم يرحّل بإرادة فالتّاريخ يقول: لا بدّ أن يُرحّل بالقوّة، ومن لم يُرحّل راكبًا أو راجلًا سيُرحّل في نعشٍ على الأكتاف محمولًا، ومن لم يضع هذه في حسبانه لن يجد نفسه إلَّا مع ركام ذلك الغبار العظيم الذي تطاير بقوّة التفخيخ والتفجير، ثم تناثر هنا وهناك أو تراكم بين هنا وهناك؛ ولذا فالقاعدة تنصُّ على أنَّ: (المحتلَّ إن لم يُرحَّل بإرادة يُرحَّل بالقوّة) (وإن لم يُرحَّل راغبا يُرحَّل مُكرهًا).

إذن: لو كانت الوسطيَّة حلًّا؛ فلماذا لم تحلُّ حلًّا في بلدان التأزُّمات أم إنَّ الوسطيَّة حتى الآن لم تتكوَّن لتكون حلًّا عادلًا بين الأخوة في هذه البلدان.

وأين موقع الوسطيَّة مما نظَّر له صموئيل هنتنجتون (أحد المنظّرين للعولمة) الذي أعتبر أنّه لا خطر على العالم إلَّا انتشار الإسلام، أم أنَّ الوسطيَّة في هذه الحالة أصبحت هي أحد الأطراف، مما يجعلها في حاجة لوسطي آخر، بمعطيات أخرى غير التي هي عليها فكريًّا، ليكون وسطيًّا من أجل الحلّ قبل

أن تتسع دوائر الصدام بين من رسم سياساته وفقًا لِما نظَّر له صموئيل هنتنجتون، وبين المستهدفين به فعلًا وسلوكًا، وإذا أصبحت الوسطيَّة بعد ذلك طرفًا؛ فعليها بتقديم التنازلات التي تجعلها على حالة تقارب من الآخر، ومع ذلك فإنَّ صموئيل هنتنجتون يرى أنّ الحضارة الإسلاميَّة لا توجد بها ثغرة في الوسط في نظامها التراتبي للولاءات، وهي الحضارة التي تفتقد إلى الدَّولة المركز؛ مما جعل علاقاتها مع الغرب في حالة تباين[9]. ثم يؤكد أن: "الدين الإسلامي هو العدو الأوَّل للغرب"[10]؛ ولذا ينبغي معرفة موقع الوسطي من هذه التنظيرات؛ فإن رفضها الوسطي أصبح طرفًا متطرِّفًا، وإن قبل بها أيضًا أصبح طرفًا، ولكنَّه في هذه الحالة سيجد نفسه طرفًا متطرِّفًا مع تنظيرات صموئيل هنتنجتون التي لم يقبلها المسلمون بكل طوائفهم وألوان طيفهم.

ولننظر إلى فلسطين (قلب العروبة المحتل) وما يجري فيها من ظلم وقهر وإذلال من قِبل الإسرائيليين، ولننظر كذلك إلى ما يجري بين الفلسطينيين من صدامات ونزاعات وعداءات؛ فمع أنّ عدوهم واحد فإنّ العداءات بينهم أصبحت تتعدّد بمبررات كل طرفٍ منهم بأنّه على الحقّ وغيره على الباطل، وفي هذه الحالة فالوسطي سيكون بين من ومن، بين العرب والإسرائيليين، أم بين الفلسطينيين والفلسطينيين، في هذا الصدد يلاحظ كلّ يوم جهود الوسطاء تُبذل من أجل أن تجد الوسطيَّة البينيَّة مكانا لها لتحلّ فيه بين الفلسطينيين والفلسطينيين، وبين الفلسطينيين والإسرائيليين، ويا ليتها تجد مكانًا؛ ولكن ببذل الجهد ومضاعفته ستكون التنازلات في متناول الجميع والأضعف هو الذي سيُحمَّل دفع القسط الأكبر من التنازلات.

---

[9] صموئيل هنتونجتون، صدام الحضارات وإعادة النظام العلمي "ترجمة مالك عبيد أبو شهيوة، ومحمود محمد خلف" بنغازي، دار الكتاب الوطنية، ط 1، 1999م، ص 322.

[10] المصدر السابق، ص 34.

فما قامت به إسرائيل في المياه الدّوليَّة بالبحر الأبيض المتوسط من استيلاء على السفن المناصرة للقضية الفلسطينية (فك الحصار عن قطاع غزة) فجر يوم الاثنين 31 من شهر مايو 2010م وقتل وجرح وأسر من كان على ظهورها من مناصرين مدنيين أوروبيين وغير أوروبيين إلَّا علامة دالّة على تطرُّف دولة إسرائيل؛ فأين الشرعيَّة الدّوليَّة ومنظمات حقوق الإنسان المناصرة للحقِّ؟ فهل يا ترى ستكون طرفًا أم أنّها ستكون وسيطًا! فإن قبلت بأنْ تكون وسيطًا أو وسطًا ألا تكون قد اعترفت بأنّها غير عادلة، بل لا علاقة لها بالعدل من قريب ولا من بعيد، وإن قبلت بأن تكون طرفًا فهل تكون قادرة على فرض الحلّ، أم أنَّ الحلّ بيد من يديرون السياسة التي تُسطِّر لكلِّ شيء ولا تسير على ما سطّرت له، وإن لم يحدث هذا ولا ذاك ألا يكون المزيد من التطرُّف هو السبيل المؤدّي إلى الحلّ!

ومع أنَّ القبول بتقديم التنازلات مُعطية رئيسة من معطيات قبول الآخر من وجهة نظر الفكر الوسطي، فإنَّ المستقبل الأوفر حظًا غير مقتصر على تقديم التنازلات الآنيّة، بل مرتبط بتغيُّر المصالح التي يترتب عليها تغيير المواقف للضرورة والحاجة والأهميَّة، فإذا نظرنا مثلًا إلى مستقبل مصالح الولايات المتحدة الأمريكية والغرب بشكل عامٍ مع الإسرائيليين لن نجد لها معطيات مستقبليّة تتطابق بها مع ما هي عليه في الزّمن الحاضر، بل إنّ المعطيات التي نشهدها اليوم ستكون في صالح كفَّة العرب والمسلمين بشكل عام؛ فاليوم السياسة العالمية المغَالَبةُ فيها بأيدي من يمتلك المال والصحافة، وهذه اليوم بأيدي يهود العالم، إلا أنَّ المسلمين الذين منهم بنو يعرب، هم على التكاثر والتزايد المؤدّي للهجرة والممكِّن من بعدها في الدول المهاجر إليها من دخول البرلمانات والمجالس النيابية والرّئاسيّة التي فيها تُرسَمُ السياسات ويُقرَّرُ ما يجب أن يكون؛ ليكون الحقّ في المستقبل بين أيدي أصحابه دون وسطيَّة؛ وكذلك لا ينبغي الإغفال بعد تفكيك

الاتحاد السوفييتي، وازدياد عدد الدّول الأعضاء المسلمة في المجالس والهيئات الدّوليَّة التي ستكون أصوات ضاغطة على أزرار إدارة العجلة تجاه المستقبل الأفضل للمسلمين.

ففي الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت إسرائيل بالنسبة إليها الابنة المتبناة المدللة، اليوم فيها الدين الإسلامي هو الديانة الثانية، وما وصول الرئيس (أوباما حسين) إلى قمّة سُلطانها إلَّا مؤشّرٌ على أنَّ البداية كانت لمن أبيه مسلم والنهاية ستكون لمن هو مسلمٌ حتى وإن طال الزّمن، وحتى في زمن الرئيس (ترامب) ومن يأتي من بعده سواء أكان من اليمين، أم اليسار، أم الوسط فلن تكون إسرائيل الابنة المدللة؛ ولذا فمن غير شك أنَّ الولايات المتحدة الأمريكية اليوم لم تَعُدْ تنظر لأهميَّة الابنة المتبناة (إسرائيل) وكأنَّه لا وجود من بعدها لمن يمكن أن يتمّ تبنِّيه، بل اليوم تنظر إلى البلدان العربيَّة والإسلاميَّة قوّة مادّيَّة وبشريّة فلا تقبل أن تقصر نظرها على الابنة الوحيدة التي تشكِّل عبئًا عليها وتترك تلك القوى الواسعة الانتشار مع وافر الإمكانات، ومن ثمَّ فالمصلحة ستفرض نفسها على السياسة الأمريكيّة مستقبلًا مما يجعل الأحوال متغيّرة وعلى وجه السرعة.

وفي أوروبا التي غلَّبت في الماضي المصالح الإسرائيليَّة على المصالح العربيَّة وحقوقهم، اليوم يُعدّ الإسلام فيها هو الديانة الثانية لجميع شعوبها؛ ولذا كلّ من يزور أوروبا من العرب يجد له مكانًا في مطاعمها الإسلاميَّة ومكانًا في بعض من شوارعها ذات اللوحات المكتوبة باللغة العربيَّة أو التركية أو الإيرانية والباكستانية، وإذا دخل إلى متاحفها يعرف أن للعرب والمسلمين جذورًا في كلِّ ما في متاحفها وفي كثيرٍ من الآثار التي تشكّل هويّتها، وهكذا في قرطبة وأشبيلية وصقلية كثير ما يسرُّ المسلمين، ولهم أيضًا ما يسرّهم في أوروبا من المساجد ذات المآذن العملاقة التي هي في ازدياد؛ بأسباب ازدياد عدد المهاجرين المسلمين

ونسبة تكاثرهم إذا ما قورنت بنسبة تكاثر غير المسلمين وبزيادة عدد الداخلين في الإسلام أيضًا.

إنَّ دخول تركيا منظومة الاتحاد الأوربي لن يكون بعيدًا وحينها سيكون للدين الإسلامي والمسلمين هامش يسمح بامتدادٍ أكثر، فيه تتيسر الأمور وتتحسَّن بين أهل الشّرق وأهل الغرب، وتصبح المآذن أكثر ارتفاعًا.

ولننظر كيف كانت أمريكا وأوروبا طرفًا منحازا إلى إسرائيل، وكيف هي اليوم تضع نفسها وسيطًا بين إسرائيل والعرب والفلسطينيين؛ فأوروبا اليوم تطالب بتقديم المزيد من التنازلات من الطّرفين بعد أن كانت منحازة لإسرائيل على حِساب العرب وقضيّتهم المركزيَّة فلسطين، فإذا كان الأمر هذا حاله في بداية القرن الواحد والعشرين؛ فكيف سيكون حاله تجاه العلاقات مع العرب والمسلمين في وسط هذا القرن الذي يزداد فيه انتشار العرب والمسلمين في أوروبا وأمريكا؟ وكيف سيكون من بعد ذلك حال دولة إسرائيل التي إن لم تَصْحَ لخطورة ذلك برؤية موضوعيَّة تمكّنها من استيعاب العرب والمسلمين (هم كما هم عليه) لأجل أن تندمج معهم وتنصهر في بوتقة الاعتراف والتقدير والاعتبار والاحترام بأنّ الدين من عند الله والوطن للجميع، فإن لم يحدث ذلك سيكون للتطرُّف أثرٌ دمويٌّ في يومٍ لا وجود فيه لوسطي يمكن أن يُسهم في كفِّ هدره، ويومها يكون الحلّ.

ولأنَّ مصالح العرب والمسلمين الذين يقارب عددهم من المليار والنصف مليار نسمة مصالح متداخلة وأبوابها مفتَّحة أمام الجميع بمعطيات الدين والكثرة والهجرة؛ فإنَّ انفصال مجموعة من الدّول ذات الهويَّة الإسلاميَّة عمّا كان يسمى بالاتحاد السوفييتي سابقًا وانضمامها إلى المنظمات والهيئات والجمعيات الدّوليَّة بهويّة إسلاميَّة مستقلة يُعدُّ رافدًا قويًّا لقضايا المسلمين في كلِّ المحافل الدّوليَّة؛

ولهذا فإنّ البينيَّة الوسطيَّة التي يمكن أن ينتظرها الإسرائيلي ليستمر بقضيَّته غير العادلة أصبحت أرضيتها على حالة من الاضمحلّال.

وإذا نظرنا إلى الهند العظيم بتعداده الكثير وثرواته وإمكاناته الهائلة نجد أنَّ عدد المسلمين فيه هم على الكثرة والتكاثر، هذا إلى جانب الثقافة المشتركة أيضًا بين المسلمين والهنود غير المسلمين في الثقافة الهنديّة التي أسّست لعاطفة مشتركة ومصالح مشتركة بين الهنود لن يكون لها مستقبلٌ زاهرٌ مع الإسرائيليين بقدر ما ستكون أكثر ازدهارًا مع المسلمين بمختلف ألوان طيفهم؛ وهذه من المعطيات التي لن تجعل من له عاطفة تجاه الآخر أن يكون تجاهه وسطيًّا محايدًا.

وهكذا دول أمريكا الجنوبيّة من لم يكن من ساستها ذا جذور أفريقيّة أو عربيّة وإسلاميَّة سيكون من الذين تربطهم مصالح مع العرب والمسلمين ودول العالم التي كانت مصنَّفة على المستوى الثالث، إذن: فأين وسطيّ المستقبل الذي سيكون مستقلًّا بالتمام ويُمكن للإسرائيليين أن يعتمدوه وسيطًا[11]!

التطرف عن التطرُّف بين سالبٍ وموجبٍ:

المتطرّف عن التطرُّف متطرّف سواءً أكان هذا التطرّف عن الخط المستقيم، أم عن خط متطرّف إلى الخط المستقيم، وهو خروج عن اتجاه، أو أنَّه سير في اتجاه مخالف للخط المتطرَّف عنه.

والذي يحدد نوع التطرُّف هو الموضوع المتطرَّف عنه، والموضوع المتطرَّف إليه، وهو الذي يحتوي على الأهداف، والغايات المراد الوصول إليها أو تحقيقها، والتطرّف عن التطرّف قد يكون تطرُّفًا جديدًا، وقد يكون عودة إلى الخط

[11] عقيل حسين عقيل، التطرّف من التهيؤ إلى الحل. المجموعة الدولية، القاهرة، 2011م، ص 160 191.

المستقيم الذي خرجت منه التطرُّفات، وقد يكون متوازيًا معه، كما في الشكل رقم (1).

الشكل رقم (1)

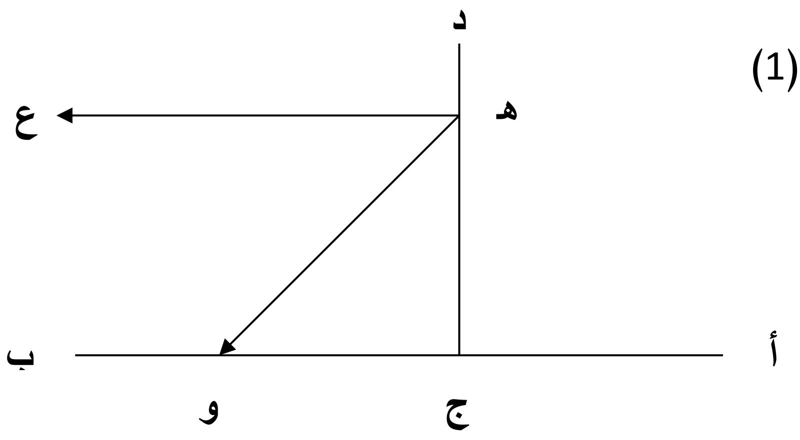

الذي فيه: (أ ب): هو الخط المستقيم الذي تنتظم عليه ذات الأفراد والجماعات والمجتمعات وتتجسَّد به أخلاقهم وإرادتهم المستمدة من (الدين، والعرف، والثقافة).

(ج د): هو المتطرّف عن خط ذات المجتمع (أ ب).

(هـ و): خط التطرّف عن (ج د) إلى (أ ب)، وهو المتطرّف عن التطرّف.

(هـ ع): خط التطرّف عن (ج د)، والمتوازي مع (أ ب)، وهو المتطرّف عن التطرّف.

ومن الشكل رقم (1) يتّضح أنّه ليس بالضرورة أن يكون التطرّف سلبيًّا؛ فالخط (هـ و) المتطرّف عن (ج د) إلى (أ ب) يعدُّ عودة إلى الخط المستقيم (الطريق المستقيم الذي اختاره المجتمع عن وعي وإرادة).

ولذا؛ فإن التطرُّف عن التطرُّف يتضمّن مجموعة من الاتجاهات:

1 . إذا كان التطرُّفُ عن التطرُّف من أجل التخلّي عنه، والعودة إلى الأصل (الطريق المستقيم) المتكوِّن من قيم المجتمع الحميدة وفضائله الخيِّرة المشكِّلة لهويّته التي بها يعتزّ، فإنّ هذا التطرُّف يعدُّ صوابًا، وينبغي التشجيع عليه.

2 . أمّا إذا كان التطرُّف عن التطرُّف نوعًا جديدًا لأنواع تطرُّفات أخرى تؤثِّر على قيم المجتمع وفضائله وأخلاقيّاته التي ارتضاها ناموسًا اجتماعيًّا بها يُقيِّم أحواله ويقوِّمها؛ فإنّه يعدّ تطرُّفًا سلبيًّا لا يمكن التشجيع والتحفيز عليه، بل يجب أن يقاوم حتى يتمّ تصويبه إلى ما هو أفضل وأفيد وأنفع للأفراد والجماعات والمجتمعات الإنسانيّة.

ومن يريد أن يعرف عن بيِّنة الفارق بين التطرُّف الموجب والتطرُّف السَّالب عليه بمعرفة الموضوع المتطرَّف منه والموضوع المتطرِّف إليه، من خلال مجموعة النماذج الموضحة لذلك:

أ . يعدّ الخط المستقيم (أ ب)، هو خط ذات المجتمع، وفقًا لأصوله الثقافيَّة والحضاريّة المتضمِّنة للقيم والاعتبارات المتَّفق عليها اجتماعيًّا، مما يجعل الالتزام بها يعدّ صوابًا، والتطرّف عنها يُعدّ خطأ، وقد يؤدّي هذا التطرّف إلى تجريم مرتكبه ومعاقبتهم. ويبيّن ذلك الشكل رقم (2).

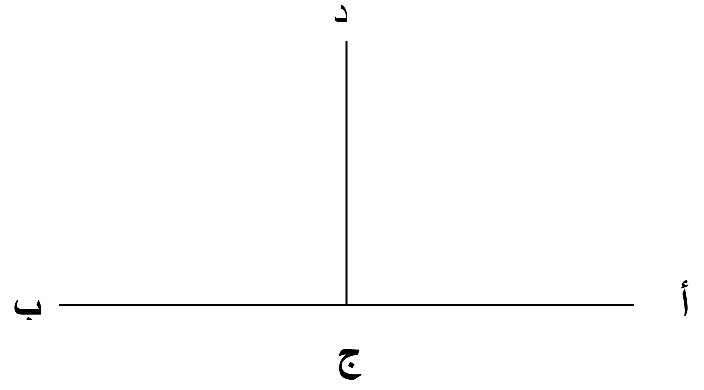

الشكل رقم (2)

الذي يعد (أ ب)، هو الخط الصواب (خط تنظيم المجتمع)، يعدّ الخط (د ج) تطرُّفًا عن الخط المستقيم (أ ب)؛ لأنّه خروج عن أخلاقيّات المجتمع وقيمه وفضائله وأصوله الخيّرة، مما يجعل سالكيه (المتطرّفين) هم في حاجة لمن يتتبّع حالاتهم بالبحث والدراسة من خلال معلومات يتم جمعها، وتحليلها، وتشخيص حالتها بهدف العلاج، وبغرض عودتهم إلى مكانة المجتمع واعتباراته؛ لكيلا يكونوا عائقين له، ولكي يؤدّوا وظائفهم الاجتماعيَّة حسب قدراتهم واستعداداتهم تهيّؤًا وإرادةً واستعدادًا وتأهّبًا.

ب ـ يُعدّ المتطرّف عن التطرّف متطرِّفًا، سواء أكان فردًا مستقلًا بذاته أم عضوًا في جماعة من الجماعات البشريَّة، كما في الشكل رقم (3) باعتباره متطرِّفًا عن التطرّف في اتجاه معاكس لاتجاه خط تنظيم المجتمع (أ ب)، ويكون خط تطرّفه (هـ و) المتطرّف عن خط التطرّف (ج د)، مما يجعله في حالة تطرّفٍ مرتين: الأولى: تطرّفه عن ذات المجتمع، والثانية: تطرّفه عن المتطرّفين عن قيم المجتمع وفضائله الخيِّرة.

الشكل رقم (3)

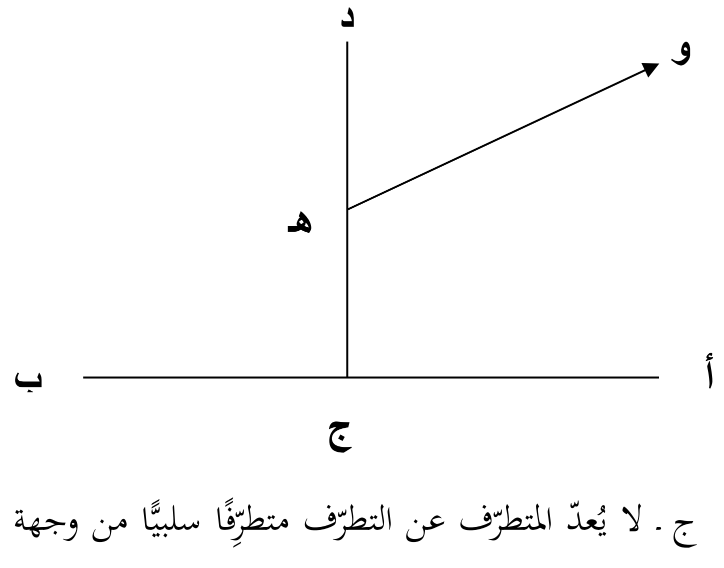

ج ـ لا يُعدّ المتطرّف عن التطرّف متطرِّفًا سلبيًّا من وجهة نظر المجتمع وقوانينه إذا توحّد سلوكه مع سلوك المجتمع واتجاهاته مع اتجاهات المجتمع، مع

أنّه متطرّف عن السُّلوك التطرّفي للمتطرّفين؛ وذلك بخروجه عن ممارساتهم وأفعالهم المتطرّفة، والشّكّل رقم (4) يُبيّن ذلك، حيث يعدّ فيه (أ ب) هو خط القيم والنواميس الاجتماعيَّة المتفق عليها، و(هـ و) تطرُّفًا عن (ج د) وعودة إلى (أ ب)، أي: إنَّه تطرّف عن التطرّف، وعودة إلى خط ذات المجتمع، ويكون تطرّفه في هذه الحالة مرّة واحدة، يعدّ تطرُّفًا إيجابيًّا؛ لأنّه تطرّف عن التطرّف السلبي بالنسبة إلى المجتمع، وعودة إلى الالتزام بالقيم العامة المتَّفق عليها حسب شريعته ودساتيره وقوانينه التي أقرّها، وفي الوقت ذاته يعدّ تطرُّفًا سلبيًّا من وجهة نظر الجماعة المتطرّفة (ج د)؛ لأنّه تطرّف عن قيمها التي تعتقدها صوابًا.

الشكل رقم (4)

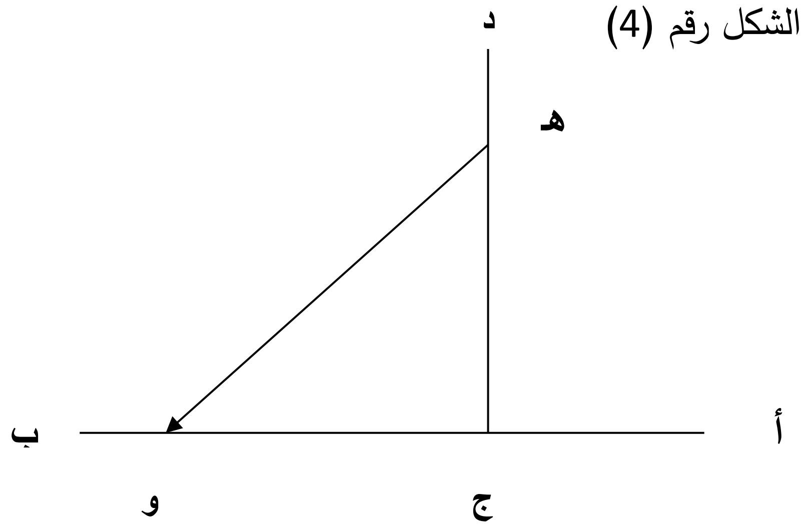

د . قد تكون الجماعة المتطرّفة عن التطرّف في خط متوازٍ مع الخط المستقيم (أ ب) كما في الشكل رقم (5)، وفي هذه الحالة، يكون التطرّف (هـ و) متطرِّفًا عن التطرّف (ج د)، ومتوازيًا مع (أ ب)، أي: إنّه مازال هناك تطرّف عن قيم المجتمع وأخلاقيّاته المفضّلة، إضافة إلى التطرّف عن المتطرّفين في الاتجاه (ج د)، وهذا التطرّف هو الآخر يُعدّ سلبيًّا من وجهة نظر (أ ب)؛ لأنّه لم يكن عودة إليه، بل إنّ التطرّف المتوازي يكون أكثر خطورة على الخط المتوازي معه؛ لأنّه في حالة تحدٍّ له بتوازيه معه، مما يجعلهما لا يلتقيان مباشرة مهما امتدا إلى النهاية، وبالتالي يكون الإصلاح مع (أ ب) أمرًا صعبًا، مع أنّه من الممكن وفقًا

لدائرة المتوقَّع وغير المتوقَّع؛ فالعودة إلى المتطرّفين المتمثلين في الخط (ج د)، هذه متوقّعة، وفي هذه الحالة يصبح أمل العودة إلى ذات المجتمع (أ ب) هو الآخر ممكن.

ومن ثمَّ فإنَّ امتداد (ج د)، إلى النهاية يجعل أمل الالتقاء مع (أ ب)، متوقّعًا ما يجعل الإصلاح في مثل هذه الحالة ممكنًا.

الشكل رقم (5)

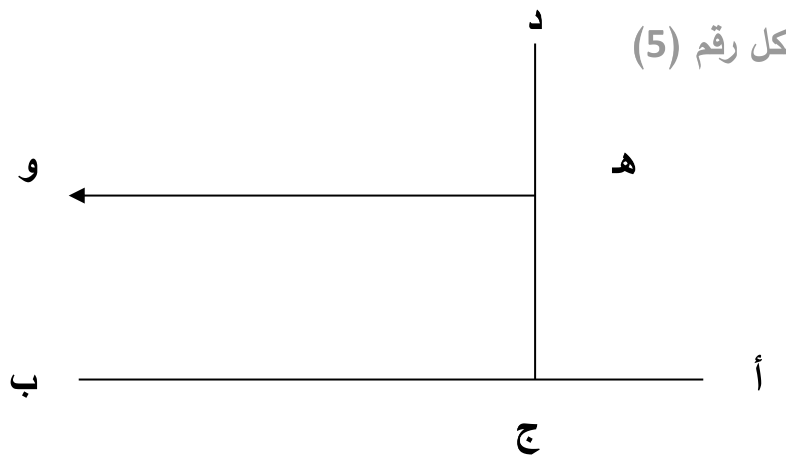

هـ ـ في الشكل رقم (6) يعدّ (أ ب) خط تنظيم المجتمع، والخط (ج د) هو خط التطرّف عن قيم المجتمع، والتطرّف (هـ م) هو تطرّف عن التطرّف، يعدّ هذا التطرّف خروجًا عن التطرّف السَّابق، ولم يكن عودة إلى المجتمع (أ ب)؛ إذ أنّه تجاوزه في الاتجاه التطرّفي، ولم يتوقّف عنده ليستأنف مسيرته معه (سيرة الطريق المستقيم)، ويُعدّ تطرُّفًا سلبيًّا بالنسبة إلى المجتمع (أ ب)؛ لعدم توقُّفه عنده في أثناء العودة في اتجاهه، ويُعدّ سلبيًّا أيضًا بالنسبة إلى الجماعة المتطرفة (ج د)؛ لأنّه خروج عنها، ولكن بتماس خط الجماعة المتطرّفة (هـ م) مع خط المجتمع (أ ب) في نقطة الالتقاء (و) قد يحدث الحوار ويحدث التصحيح للبعض، وفي هذه الحالة قد تكون إمكانيّة العلاج ممكنة معهم، مما يجعل في أثناء الالتقاء في النقطة (م) مجال للمراجعة أو التفاوض؛ ليبقى منهم من يبقى

على الهداية التي ترسم تنظيم العلاقات الاجتماعيَّة، ويستمر من يستمر منهم في التطرُّف أيّ كان نوعه.

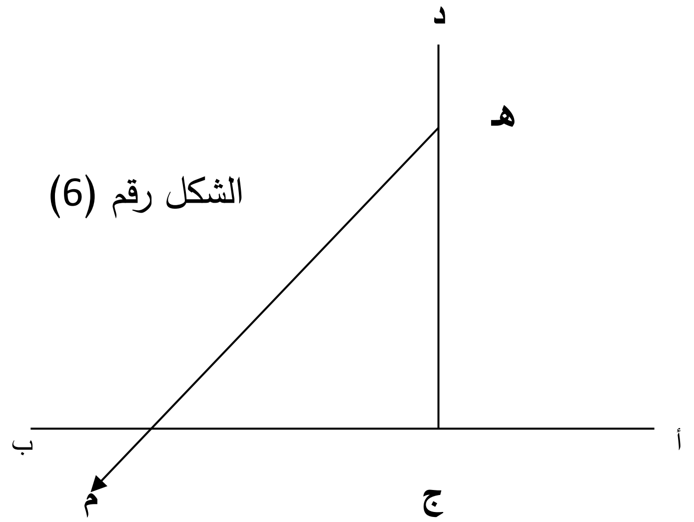

و ـ تختلف أنواع التطرّف باختلاف اتجاهاتها، ومواضيعها، وأهدافها، ففي الشكل رقم (7) يكون (أ ب) هو الخط المستقيم لقيم المجتمع وأخلاقيَّاته وفضائله، مما يجعل (ج د) متطرِّفًا عنه تطرُّفًا سلبيًّا، وكذلك التطرّف (و هـ) يُعدّ تطرُّفًا سلبيًّا بالنسبة إلى المجتمع (أ ب)؛ لأنّه هو الآخر خروج عنه والتحاق بالأفراد أو الجماعة المتطرّفة (ج د) وإن اختلف زمن التطرُّف، مما يجعله بالنسبة إلى المتطرّفين إيجابيًّا في تطرّفه؛ ولذلك ما يُعدّه مجتمع من المجتمعات أو جماعة من الجماعات تطرُّفًا سلبيًّا قد يُعدّه الآخر تطرُّفًا إيجابيًّا.

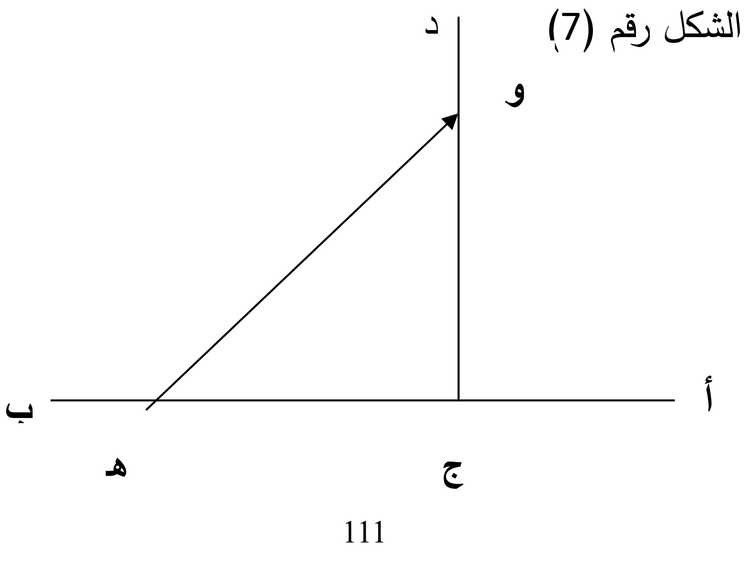

ر . يوضح الشكل رقم (8) توازي التطرُّفات التي لا تلتقي مباشرة مهما امتدت إلى النهاية، مع أنّها في دائرة الممكن تلتقي في حالة تماسّها بجسم، أو تقاطعها مع المستقيم (أ ب) عندما تتأثَّر به. وبما أنَّ (أ ب) هو خط تنظيم المجتمع؛ فإنّ (ج د) متطرّف عنه ومتوازٍ مع التطرّف (و هـ) المتطرّف هو الآخر عن (أ ب)، ومع أن كلّ منهما عمودّي على الخط المستقيم (أ ب) فإنَّ كلًّا منهما يختلف عن الآخر في تطرّفه بما هو عليه من توازي مع الآخر؛ فالتطرُّفات مختلفة وتختلف عن غيرها من التطرُّفات؛ ولذلك لا يلتقي الخطان المتوازيان مهما امتدا إلى النهاية، إلّا إذا تماسا مع المستقيم (أ ب)، وأثّر فيهما أو في أحدهما، وهذا أمر ضروري في حالة امتدادهما إلى النهاية.

ولذا؛ فإنَّ الخطين المتوازيين لا يمكن أن يكونا خطّين إذا امتدا إلى النهاية؛ لأنّ امتدادهما إلى النهاية يجعل منهما دائرتين لا مستقيمين، ثُمَّ إنَّ المستقيمين المتوازيين قد يلتقيان إذا تماسَّا مع مستقيم آخر يقطعهما؛ ولهذا المستقيمان المتوازيان لا يلتقيان ما لم يقطعهما مستقيم آخر.

الشكل رقم (8)

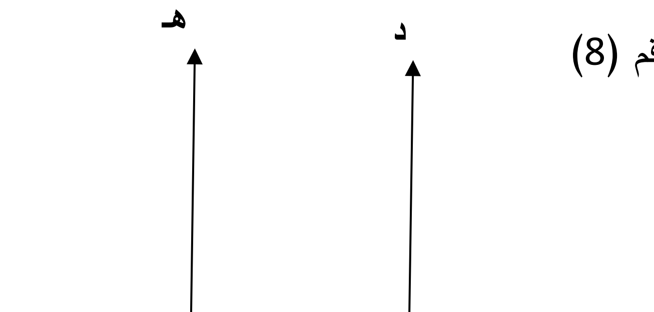

ز . إنّ الذي يُميِّز التطرّف الإيجابي عن التطرّف السلبي هو القضيَّة المتطرّف عنها والقضيَّة المتطرّف إليها؛ فإذا افترضنا كما هو مبيّن بالشكل رقم

(9)، أنَّ (أ ب) مجتمع مسلم، وأنَّ (ج د) مجتمع مسيحي، فإنَّ التطرّف (هـ و) يُعدّ تطرُّفًا سلبيًّا بالنسبة إلى المجتمع (أ ب)؛ لأنّه متطرّف عنه، ويُعدّ تطرُّفًا إيجابيًّا بالنسبة إلى المجتمع المسيحي (ج د)؛ لأنّه متطرّف إليه، وهكذا بالنسبة إلى التطرّف (ع ل) يعدّ موجبًا بالنسبة إلى (أ ب)؛ لأنّه تخلّى عن المسيحيّة واعتنق الدين الإسلامي، ويعدّ تطرُّفًا سلبيًّا بالنسبة إلى المجتمع (ج د).

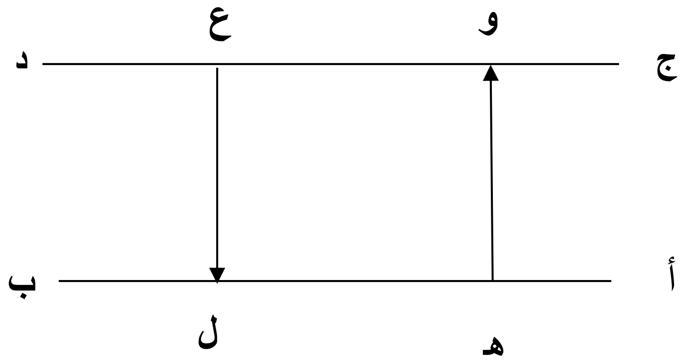

الشكل رقم (9)

ط . في حالة وجود أفراد أو جماعات متطرّفة بين الأديان الثلاثة، الإسلام، والمسيحيَّة واليهوديَّة؛ فإنَّ الدين الخاصّ بكلّ أمّة هو الذي يُستمد منه المعيار الذي يحدد نوع قضيّة التطرُّف، ويحدّد كذلك خواصه الإيجابيّة والسلبيَّة، مما يجعل الشكل رقم (10) مكونا لثلاثة معايير مختلفة؛ فما يقرّه أحد الأديان، قد لا يقرّه الاثنان الآخران، أو واحد منهما؛ ففي الشكل رقم (10) (أ ب) مجتمع مسلم، (ج د) مجتمع مسيحي، (ع ل) مجتمع يهودي؛ ولذا يُعدّ التطرّف (س ش) تطرُّفًا سلبيًّا بالنسبة إلى المجتمع (أ ب)؛ لأنّه خروج عنه، ويكون سلبيًّا أيضًا بالنسبة إلى المجتمع (ع ل)؛ لأنّه لم يكن خروجًا مباشرًا إليه، في الوقت الذي يعدّه المجتمع (ج د) تطرُّفًا إيجابيًّا باعتباره خروجًا إليه، وتخلّيًا عن غيره، والتطرّف (ص ك) يُعدّ سلبيًّا من وجهة نظر المجتمع (ج د)، والمجتمع (ع ل)، ويُعدّ إيجابيًّا من وجهة نظر المجتمع (أ ب)، وكذلك الحال بالنسبة إلى

التطرّف (م ن) الذي يُعدّ سلبيًّا من وجهتي نظر المجتمع (أ ب) والمجتمع (ج د) مع أنّ معاييرهما ومقاييسهما مختلفة باختلاف مواضيعهما والمرجعيَّة التي بها يحتكمون، ويعدّ التطرّف (ظ ط) إيجابيًّا بالنسبة إلى المجتمع (ج د)، وسلبيًّا بالنسبة إلى المجتمع (أ ب)، والمجتمع (ع ل).

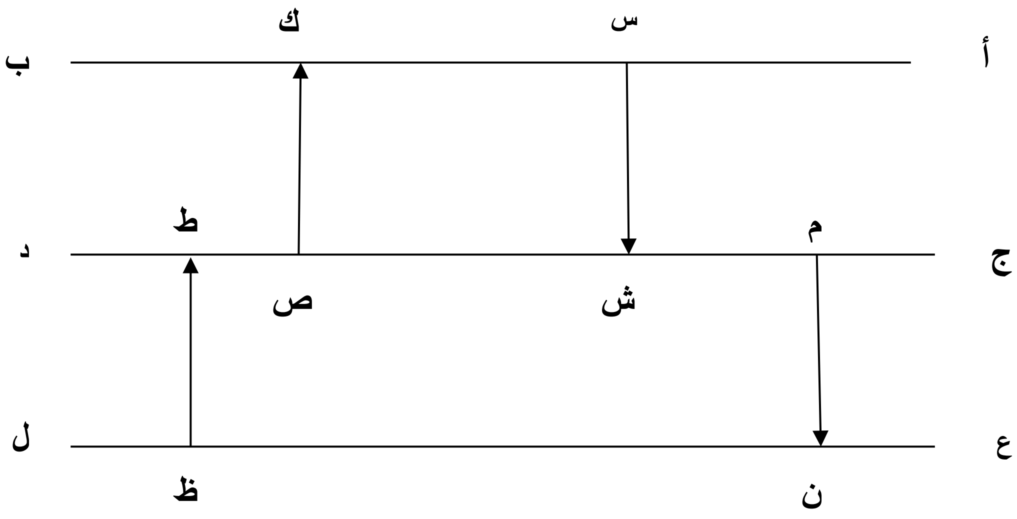

الشّكل رقم (10)

وعليه: الخروج عن المعتقد والعرف والاتجاه يعد خروجًا متطرفًا، والذي يحدّد نوعه سلبيًّا أو إيجابيًّا هو الموضوع المتطرّف عنه والموضع المتطرّف إليه حسب معايير ومقاييس كل مجتمع من المجمعات الإنسانية.

أو إيجابيًّا هو الموضوع المتطرّف عنه والموضوع المتطرّف إليه حسب معايير ومقياس كل مجتمع من المجتمعات الإنسانيَّة.

ي . في الشّكل رقم 11 (أ) الذي يبيّن افتراضًا تطرّف جماعة داخل الأديان الثلاثة والتأثيرات الفكريَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة لكلّ منها؛ فيكون المستقيم (أ ب) هو المجتمع المسلم، والمستقيم (د ج) المجتمع المسيحي، والمستقيم (ع ل) المجتمع اليهودي، ويكون في الشكل رقم 11 (أ)

التطرّف (س ص) تطرُّفًا عن التطرّف (م ن) وتطرُّفًا إلى التطرّف (ظ ط) مما يجعل التطرّف (س ص) سلبيًّا بالنسبة إلى التطرّف (م ن)، وإيجابيًّا بالنسبة إلى التطرّف (ظ ط)، وإيجابيًّا أيضًا بالنسبة إلى المستقيم (أ ب) بتلاقيه مع (ظ ط) الذي تطرّف إليه (إلى أ ب)، وكذلك الحال بالنسبة إلى التطرّف (هـ و) المتطرّف عن التطرّف (ق ف)، فهو يُعدّ سلبيًّا بالنسبة إلى (ق ف)، وإيجابيًّا بالنسبة إلى (خ ح)، (ع ل)؛ ولهذا يحدث الصراع أو الاتفاق وتختلف المواقف باختلاف الاتجاهات.

الشكل رقم 11 (أ)

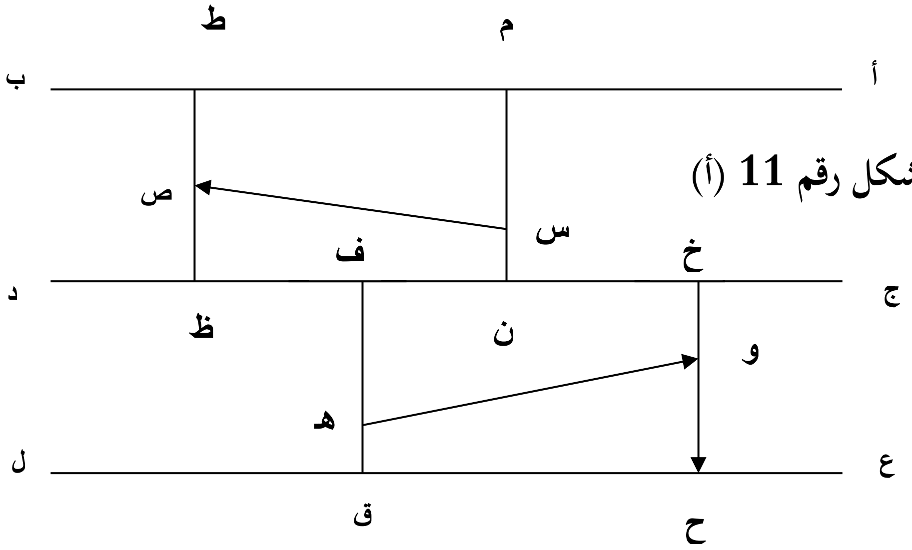

ويبيّن الشكل رقم 11 (ب) تطرّف (غ ر) المتطرّف عن (هـ و) المتطرّف هو الآخر عن (ق ف) المتطرّف عن (ع ل)، في اتجاه المتطرّف (س ص) المتطرّف عن (م ن) المتطرّف هو الآخر عن (أ ب)، ويكون تطرّف (غ ر) إيجابيًّا بالنسبة إلى قياسات المتطرّف (س ص)، والمتطرّف (ظ ط)، وكذلك بالنسبة إلى المستقيم (أ ب)، ويُعدّ سلبيًّا بالنسبة إلى قياسات (هـ و)، وقياسات (ق ف)، (ع ل).

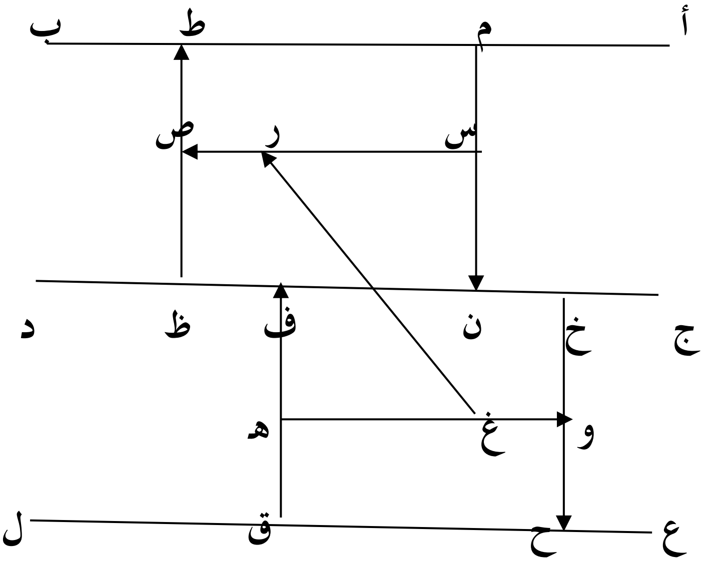

الشكل رقم 11 (ب)

وقد تتطرّف جماعة عن المجتمع كوحدة ثم تتجزأ بعد ذلك؛ نتيجة أثر المتغيرات الجديدة عليها، مما يستوجب تتبعها بالتحليل الدقيق؛ لكي نكتشف أثر المتغيرات في أفرادها أو أعضائها أو عناصرها، ففي الشكل رقم 11(ج) يمثّل الخط المتطرّف (ز ي) الجماعة المتطرّفة من (ج د) إلى (ق ف) التي بدخولها إليه قد تنقسم إلى جزأين: الجزء الأوَّل قد يعود إلى (ج د) بعد اختلاطه بالمتطرّفين (ق ف)، والجزء الثاني قد يتّجه مع الجماعة المتطرّفة في اتجاه (هـ و) والذي هو الآخر قد ينقسم إلى جزأين آخرين، جزء: قد يستمر في الاتجاه (هـ و) إلى أن يستقرّ به الأمر إلى المستقيم (ع ل)، وجزء: قد يتّجه مع المتطرّفين (غ ر) الذي يؤدّي به في النهاية إلى المستقيم (أ ب) بعد مروره بالمتطرّف (س ص)، وتكون النتيجة أن الجماعة (ز ي) التي تطرّفت عن المجتمع (ج د) قد انقسمت إلى ثلاث مجموعات:

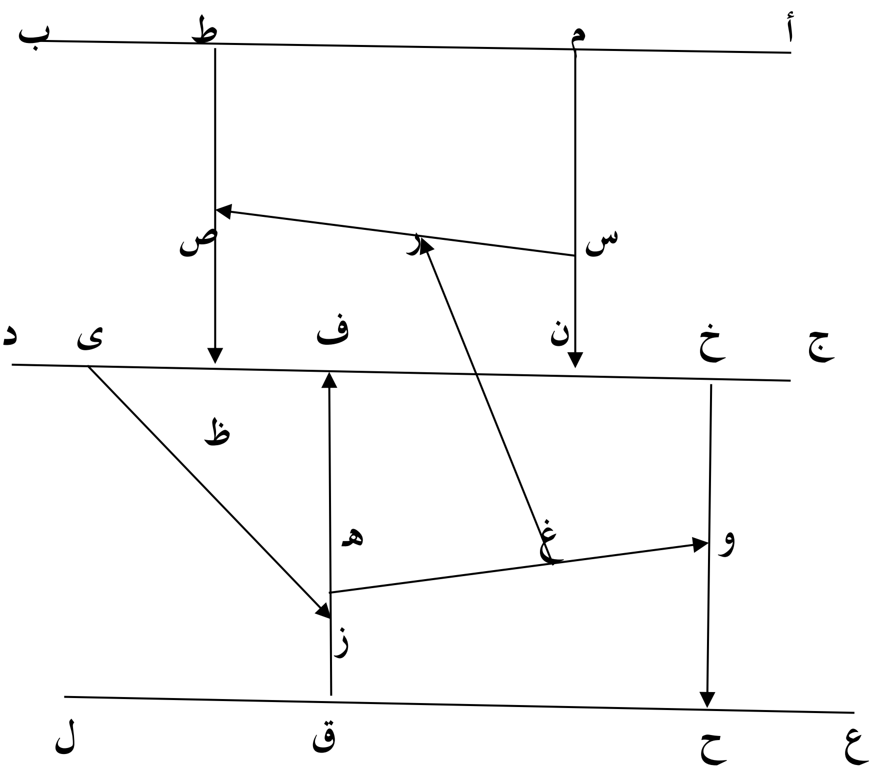

الشكل رقم 11 (ج)

المجموعة الأولى: رجعت إلى المجتمع (ج د) الذي تطرَّفت عنه من خلال (ف ق).

والمجموعة الثانية: تطرّفت إلى الجماعة (ع ل) من منظور المجتمع (ج د)، والمجتمع (أ ب).

والمجموعة الثالثة: تطرّفت إلى المجتمع (أ ب) من منظور المجتمع (ع ل)، والمجتمع (ج د).

وعليه: إنّ ذلك يجعل لدينا ثلاثة معايير مختلفة في حال إذا ما طُلب منّا الحكم على أنواع التطرُّفات بالسلبيَّة، أم بالإيجابيّة؛ ولهذا لا يمكن أن تمثّل الجماعة المتطرّفة (ز ي) المجتمع (ج د) الذي تطرّفت عنه وهو لا يزال على دينه، وعلى سلوكه ونظمه الخاصّة به؛ وكذلك لا تمثّل بعضها أحسن تمثيل، ولا

أسوء تمثيل، لأنّه لو كانت تمثّل بعضها ما انقسمت إلى ثلاث مجموعات، لكلِّ واحدة منها اتجاه يخالف اتجاه الأخرى.

إذن: هناك حاجة للعلاج، ولكن لمن يكون العلاج؟ هل يكون للأشخاص أم للفكر الذي أثّر فيهم تطرُّفًا؟

أقول:

إذا اتجهنا إلى معالجة الأفراد المتطرّفين فقد ننجح إلى حدٍّ ما في ذلك بعد دراسة وافية وتشخيص دقيق، ولكنّنا نتوقّع الانتكاسة والعودة مرة ثانية إلى التطرّف، وقد لا ننجح في معالجة الكثيرين.

وعليه:

ينبغي أن يكون العلاج للفكر المتطرّف الذي تشرّبوه وأثَّرَ على تفكيرهم وسلوكهم؛ فإذا تمّت معالجة المعلومات والأفكار الخاطئة أو المتطرّفة بمعلومات وأفكار سويَّة صائبة يصبح في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع تغيير أفكار المتطرّفين من الاتجاهات السلبيَّة إلى الاتجاهات الإيجابيّة التي يرتضيها المجتمع؛ ولهذا لم يكن الأفراد هم السبب في التطرّف، بل المعلومات الخاطئة التي تشرّبوها هي المتسبب في ذلك، فلو تعلمنا فكرًا متطرِّفًا ونحن لم نتبيّن نقاط تطرّفه، فإنّنا سنسلك سلوكًا متطرِفًا، وإذا تعلّمنا معلومات صائبة بقوّة الحُجّة التي تحملها الأفكار والنصوص تكون معارفنا وسلوكيَّاتنا صائبة؛ ولذا فمن أراد الإصلاح عليه بإصلاح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة.

التطرُّف بين علّة وسبب:

يتحقق الوصول إلى ما يجب بلوغًا للغايات المرجوَّة من أطراف الحوار عندما يكون الانطلاق من حيث ما عليه الموقف أو القضيَّة أو المشكلة، ولأنّ الوصول إلى ما يجب هو ما يُؤمَّل تحقّقه؛ لذلك لا يمكن الوصول إلى ما يجب

موضوعيًّا إلا بمعرفة العلل والأسباب التي جعلت الحالة ساكنة أو مرنة أو متطرِّفة، لأجل الإصلاح وإيجاد معالجات وحلول دون أن تترتّب أضرار على ذلك لأحد على حساب آخر، ولكنّ الوصول إلى ما يجب أمر ليس ميسَّرًا بالتمام، كما أنّه ليس معسَّرًا بالتمام؛ فالوصول إلى ما يجب ضمن دائرة الممكن يستوجب جهدًا يُبذل، به يتمُّ تفهُّم معطيات حالة التطرُّف، وتَفهُّم الظروف التي أظهرته، وتَفهُّم أحوال الذين جسّدوه سلوكًا بما ترتَّب عليه من عنف دمويّ، أو اقتتال على حساب تحقيق الأمن الوطني للمواطنين.

والوصول إلى ما يجب يتطلَّب أوَّل ما يتطلَّب الانطلاق من فهم فكر الأنا والآخر معًا، كلٌّ منهما هو كما هو، ثُمَّ العمل على تفكيكه لأجل تركيبه على ضوابط معياريّة تنال الرّضا من الجميع دون أن تترك أثر علّة من العلل، كانت قد أدّت إلى تأزُّمات علائقيّة ترتب عليها أفعال تطرُّفٍ جعلت الجرح يدمى بين الأنا والآخر.

ولأنّ التطرُّف في أساسه فكري، فيجب معرفة مرجعيّاته المعتبرة والمقدَّرة عند معتقديه، ومن أراد حلًّا فعليه بتقبُّل أطرافه هم كما هم عليه من مرجعيَّات، ولا يجب الاستهانة بهذه المرجعيَّات وإن كانت غير ذات أهميَّة عند الغير.

ويجب أيضًا فهم طبيعة تأسيس فكر التطرُّف وأبعاده ورؤاه في كلِّ الميادين دون إغفال لجانب ما؛ لأنّ الإغفال عن أيّ جانبٍ من جوانبه السياسيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والدينيَّة يؤدّي إلى استمرارية الاختلاف والصدام والاقتتال.

ومن بديهيات الحوار أن تكون الأطراف المتحاورة على درجة من التوازن الفكري حتى يتحقّق حوار واع ومثمر، وبدون هذا التوازن فإنَّ الخلل الحواري سيظهر جليًّا مما يجعل كفّة الميزان مائلة لطرف دون آخر، وهو أمر من شأنه أن

يؤدّي إلى نسف الحوار، وسيفضي إلى انقطاع التواصل، وبقاء الأمور على ما هي عليه من تأزُّمات؛ فلا يتحقّق الوصول إلى ما يجب بلوغًا للغايات.

ويتحقّق الحوار الناجح عندما يختار الأنا والآخر لموضوع الحوار مُحاوِرين على درجة من الوعي والفهم والتفهُّم والاعتدال المتوازن في الفكر، ويكون لدى كلّ منهم معرفة شاملة بفكر الآخر قدر المستطاع، وتكون لهم مقدرة على مقارعة الحُجَّة بالحُجَّة، مع ضرورة الإلمام بقواعد المنهج الآتية:

1 . **قاعدة الإنسان قوّة، والجماعة أقوى، والمجتمع أكثر قوّة**: الإنسان بقوّته يتفكّر ويتذكّر، ويستقرى ويستنبط، ويخطط ويَقدِم فينجز، ثم يُقوّم فيُصحح أو يُطوّر. ويكون الأفراد قوّة:

. عندما يندمجون بقوّتهم مع قوّة الآخرين بإرادة.

. عندما يتمكَّنون من ممارسة حقوقهم.

. عندما يلتزمون بتأدية واجباتهم.

. عندما يكونون قادرين على حمْل المسؤوليَّات.

. عندما يكون لسان حالهم :(نحن معًا سويَّةً).

. إذا تمكنوا من استيعاب بعضهم بعضًا دون تفرقة وتحسس.

. إذا تمكنوا من التطلُّع للآخرين.

. عندما يتهيّأون لأحداث التغيير إلى ما هو أفضل وأحسن وأجود.

. عندما تكون لهم صلاحيَّات واختصاصات ويؤدّونها بمهارات متنوّعة.

وبما أنّ كلّ فرد قوّة، إذن: يجب أن يكون لكل فرد دور يؤدّيه، ومن ينحرف عن دوره تصبح قاعدة الوجوب إصلاحه ليعود إلى مركزه الطبيعي،

ونظرًا لوجود الفروق الفرديَّة في القدرات والاستعدادات والمهارات والتخصّصات، فإنَّ أدوار الأفراد تتنوّع:

. عندما يستثمرون إمكاناتهم المادية الاستثمار الأمثل، تمشّيًا مع كلِّ حلقة من حلقات التَّطور والتقدم التقني والعلمي.

. عندما تُشبع حاجاتهم المتطوِّرة.

. عندما تسود العدالة قيمة بين الجميع.

. عندما يكون التطلّع للمفيد والنافع قيمة في السُّلوك والفعل.

. عندما تصبح الثروة ملكًا عامًّا لأفراد المجتمع دون أيِّ حرمان من الملكيَّة الحرّة والاستثمار الحرِّ.

. عندما تلغى من القواميس السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة كلّ كلمات الإكراه والإجبار بغير حقٍّ.

. عندما تكون الثروة قوّة تمكِّن الأفراد والجماعات من تجاوز الحدود.

. عندما يكون التعليم قويًّا بما يحقِّقه من منجزات إضافيَّة على قوّة أفراد المجتمع.

. عندما يرتفع المستوى الصحي للأفراد والجماعات؛ فالصحة قوّة، والأفراد الذين يغفلون عن هذه القوّة، يضعف مستوى أدائهم وإنتاجهم، ومتوسط أعمارهم؛ ولذلك كلّما كانت قوّة الإنسان وصحته سليمة، تمكَّن من تجاوز الصعاب، والتطلّع بدون تردُّد إلى الأمام، بما يحقّق أهدافًا، وينجز أغراضًا، ويبلغ غايات، ويمكّن من نيل المأمولات.

ومن ثمَّ فإذا لم يتحقّق ذلك لا استغراب أن يصبح التطرُّف أحد المقررات التعليميَّة في المدارس الخاصّة.

2 ـ **قاعدة الممكن**: الذي (لا شكّ في حدوثه، أو ظهوره كلَّما توفّرت معطياته أو شروطه).

ولهذا لا يُعدّ الممكن مستحيلًا، وبما أنّه غير مستحيل، إذن: فبالضرورة سيقع وفقًا لما نتوقّع أو وفقًا لما لا نتوقّع.

فالمتوقَّع هو: الذي بحدوثه أو ظهوره أو وجوده لا تحدث المفاجأة ولا الاستغراب، وغير المتوقَّع هو: الذي لا تتوافر معطيات أو شروط حدوثه أو ظهوره ومع ذلك يقع، ما يجعله في حالة تساوٍ نسبي مع المتوقَّع في دائرة الممكن؛ ولهذا إذا ما وقع تقع المفاجأة أو الاستغراب.

3 ـ **قاعدة الكلمة الحُجَّة**: بها تُنقل القيم الموجبة والقيم السَّالبة، وبها تُحمل التعاليم وتُقوّم الأخلاق؛ ولأنّها كلمة حُجَّة فهي قد تكون حُجّة لنا وقد تكون حُجَّة علينا.

أن (تكون حُجَّة لنا) فهذه القاعدة.

أن (تكون حُجَّة علينا) فهذا الاستثناء.

ولكن أيّ كلمةٍ هي حُجَّة لنا؟

كلمة الحقّ.

وأيّ كلمة هي حُجّة علينا؟

كلمة الباطل.

وعليه:

ـ قُل الحقّ.

ـ تحدَّث وجادل به.

- انصت حتى تتبيَّن.

- عبِّر عمَّا بداخلك بلسان صدق.

- احكم بين النَّاس بالحقِّ.

- أرسل الكلمة بودٍّ.

- استقبلها بوعي.

- اجعلها كلمة سواء؛ لتكون الجامعة للأنا والآخر.

ولذا؛ فإنَّ اعتماد الكلمة السّواء بين النَّاس يُبرهن على اعترافٍ إراديٍّ بالتماثل العلائقي في كلّ ما يتعلّق بالأفراد أو الجماعات أو المجتمعات الإنسانيَّة من أمرٍ، سواء أكان أمرًا سياسيًّا، أم اجتماعيًّا، أم اقتصاديًّا، أم ثقافيًّا، وسواء أكان في حالة السلم أم في حالة الحرب.

وفي مقابل الكلمة السّواء قاعدة، تكون الكلمة (الأنا فقط) هي استثناءٌ وتطرفٌ.

4 . **قاعدة التواصل الاجتماعي**: يُرسِّخ التواصل الاجتماعي أفعال وسلوكيّات استيعابيَّة تجعل الإنسان دائمًا في حالة تطلّع للآخرين في ضوء ما يفيد وينفع، وبما يُسهم في صناعة التَّاريخ ويحافظ على الهويَّة من ماضٍ بعيد إلى يومنا هذا مع التطلُّع إلى مستقبل أفضل؛ ولهذا تتطوَّر المجتمعات وتتقدَّم كلّما زادت قيمة الطموح قوّة بين الأجيال عبر التَّاريخ؛ فالتواصل ضرورة اجتماعيَّة لربط حلقات الصلة بين الأجيال المتعاقبة؛ ولأنّه ضرورة يعد قاعدة لبناء الوحدة الاجتماعيَّة بين أبناء الأمّة الواحدة أو الشعب الواحد، وكذلك الشعوب والأمم الأخرى.

ولهذا؛ فالحضارة التي تنغلق على ذاتها ولا تتواصل مع حضارات الآخرين، تتخلَّف فكريًّا وماديًّا وتعجز عن المنافسة، وإذا ما تعرَّضت لصدام قيمي مع الحضارات المنافسة لا تستطيع أن تصمد.

فبالتواصل يتمّ التعارف، والتحاور، والتقارب، والتلاقي الفكري والمادي، وتبادل المنافع والعلوم التي بها تُطوى مسافات الغُربة والتخلف الاجتماعي، والاقتصادي والثقافي، والسياسي والنَّفسي والذوقي؛ حتى تضيق الهوَّة التي تُفرِّق بين الأفراد أو الجماعات أو المجتمعات أو الأديان والثقافات والحضارات، أو تنتهي الهوّة إلى أبد الآبدين.

وعليه:

. اعمل على تفطين ذاكرة الأفراد؛ ليتواصلوا.

. بيِّن لهم نقاط الضّعف التي شوَّهت ذاكرتهم وطمستها.

. مكِّنهم من معرفة المعلومات الخاطئة.

. مكِّنهم من معرفة المعلومات الصَّائبة.

. مكِّنهم من المقارنة؛ حتى يتبيّنوا عن وعي وإرادة.

. مكِّنهم من الاختيار بمسؤوليّة واعية.

. اغرس فيهم حبّ الآخر.

. حفّزهم على التطلُّع الموجب.

. عوّدهم الاعتماد على أنفسهم والتعاون مع الآخرين.

. مكّنهم من المشاركة التي تُيَسِّرُ لهم النُّقلة إلى الأفضل والأجود.

5 . **قاعدة الاستيعاب**: تُمكِّن الأنا والآخر من التقبُّل دون الأخذ بالأحكام المسبقة وكأنّها مسلَّمات؛ ولأنَّ الإنسان اجتماعي بطبعه؛ لذا فإنَّ استيعاب البعض للبعض يؤدّي إلى توسيع دائرة القبول والرَّفض التي توجد فُسحة للتعامل بين الأفراد والجماعات والمجتمعات؛ فالاستيعاب فعل لِطيِّ الهوّة بين المستوعِبْ والمستوعَبْ، ولا يمكن أن يتمّ الاستيعاب إلا بإعطاء فُسحة للامتداد المتبادل مع قبول كلّ طرف للطرف الآخر.

6 . **قاعدة الترابط**: الترابط قوّة بنائيَّة بها يتمّ تماسك وحدات البناء الاجتماعي ما يجعل البناء المتماسك على القوّة، والبناء المتفكك على الضّعف؛ ولهذا يؤل الجدار إلى السّقوط عندما تزداد فواصل التفكك بين لبناته، ويصمد شامخًا إذا زادت درجة التماسك بينها، وهكذا المجتمع بتماسكه يظهر القوّة وبتفرّقه يظهر الضّعف؛ ولأنّ الإنسان في خلقه قوّة فهو إذن من طبعه أن يكون متماسكا وإذا لم يكن كذلك يصبح في مواجهة مع القواعد الطبيعيَّة مما يجعله في حالة استثناء.

ولذا يمتد الترابط القيمي في مجموعة من المجالات:

- الترابط الاجتماعي، مجال امتداده: الأفراد والجماعات والمجتمعات.

- الترابط الاقتصادي، مجال امتداده: الثروة والإنتاج والاستهلاك.

- الترابط السياسي، مجال امتداده: حقوق تمارس، وواجبات تؤدّى، ومسؤوليات يتمّ حمْلها.

- الترابط النَّفسي، مجال امتداده: النَّفس والضمير والوجدان ودرجة التكيُّف والتوافق المحقّقان لنيل الرّضا.

- الترابط الذوقي، مجال امتداده: المشاعر والأحاسيس وملكات التمييز الرفيع.

- الترابط الثقافي، مجال امتداده: الكلمة والجملة والنصّ الذي يكوِّن المعلومة والمعرفة الواسعة.

ولذا؛ فالقاعدة، (الترابط قوّة)، والاستثناء، (التفكُّك ضعف).

وعليه:

. تعاون مع الآخرين بإرادة تزدد قوّة.

. اشترك معهم في كلّ ما يتعلّق بك وبهم من أمر مشترك تطوي الهوّة بينك وبين المستقبل البعيد.

. تفاعل مع محيطك الاجتماعي تنل الاحترام وتمتلك القوّة.

. اندمج بقوّة مع بُعدك الإنساني وفقًا لدائرة الممكن حتى تغزو الفضاء.

. ابحث عن الأسباب حتى تعرف العلل التي تكمن وراءها وتحدَّاها بقوّتك المجمّعة.

. ثق بأنَّ لمشكلتك حلّا فلا تغفل.

. إذا أحسست بأنّك تائهٌ فاعلم أنّك في حاجة للإرشاد والتوجيه من قبل الآخر الذي يمدّك بالمعرفة والقوّة.

. اعلم أنّ التعايش مع المشكلة وهن (نسيج من خيوط العنكبوت) وأنّ رفضها وتحدِّيها يحررك من قيودها.

. ازرع خيرًا تجنِ خيرًا وتزدد ثقة واطمئنانًا.

. كن سبَّاقًا مثابرًا ولا تتردّد فكل شيء ممكن.

. تمتع بالشّمس وانظر إليها دون أن تُحرم من رؤية الظل.

. ثق أنَّك ستنجح إذا ما عملت بخطة، وأنَّ مشكلتك ستصبح في خبر كان إذا ما قبلت بتحدّي الصِّعاب.

. لا تقف عند حدود التمنّي.

. تطلع إلى ما هو أفضل فإنَّ النجاح ينتظرك.

. إن لم تقدم على ذلك ستكون من المتطرِّفين.

7. **قاعدة المقارنة:** تعتمد المقارنة على تبيان نقاط الاختلاف، ونقاط الاتفاق والتنوّع، وإبراز درجات النزوع إلى التمركز أو درجات التشتّت عنه؛ ولهذا تُعدّ المقارنة تمييزية، فهي تُميّز بين المشاهد والمشاهد، وبين المجرد والمجرد، وبين الملاحظ والملاحظ.

وعليه:

. قارن قبل أن تقرّر.

. ميِّز بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون.

. دقِّق فيما تشاهد.

. لاحظ ردود الأفعال.

. تذكر القول ولاحظ الفعل ثم قارن إذا أردت أن تتخذ قرارك عن وعي.

. فكّر في المتوقَّع وغير المتوقَّع ثم ميّز.

. حدّد نقاط التمركز ونقاط التشتّت ثمَّ اختر.

ولأنَّ التمكُّن من التمييز يُمكِّن من المقارنة، فالتمييز عن وعي يُمكِّن من الاختيار المرضي بإرادة، وإذا تمّت المقارنة بوعي يتمّ التمكُّن من معرفة ما يجب والتمكُّن من فعله أو القيام به أو الامتناع عنه موضوعيًّا.

ولأنَّ المقارنة تُمكِّن من التمييز عن وعي، وتمكِّن من الاختيار عن إرادة، إذن: فالمقارنة مُنقذ من الوقوع في الفخّ.

ولهذا؛ قارن كي تكتشف وتعرف:

. نقاط القوّة، من نقاط الضّعف.

. على ماذا تقدم، وعن ماذا تحجم.

. مِن مَن تغضب، وعلى من تغضب.

. من تحبّ، ومن تكره، أو ماذا تحبّ، وماذا تكره.

. من تخالط، ومن لا تخالط.

8 . **قاعدة الثابت والمهتزّ**، الثبات قوّة والاهتزاز ضعف، ولكن ما تعتقد أنّه على ثبات، قد يفاجئك بحركته وامتداده، وما تعتقد أنّه في حالة سكون توقَّع أنّه قد يتحرك في أيّ وقت من الأوقات بتمرُّد أو ثوران وامتداد، ومع ذلك لا ثبات إلا بقوّة، ولا اهتزاز إلا بها.

ولذا؛ فإنَّ المعلومة أو السُّلوك يقعان بين المهتز والثابت إلى أن يصنّفا بمصادق، مما يجعل المعلومة المشكوك فيها مهتزّة، والمعلومة المتأكّد منها ثابتة، وكلّ منهما في دائرة النسبيَّة لا في آفاق الإطلاق؛ ولذا فالثبات على حالة من الاهتزاز، والاهتزاز على حالة من الثبوت، ولو لم يكن الثبات نسبيًّا ما تغيَّرنا وتغيَّرت أحوالنا، ولو لم يكن الاهتزاز نسبيًّا ما صلحت أحوال المنحرفين والمتطرّفين وعادوا لأداء مهامهم ووظائفهم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة.

وعليه:

- ناقش كلّ كبيرة وصغيرة ولا تتشبث.
- ثِق أنَّ المرونة تخلق النُّقلة.

- تأكّد أنَّ الجمود يؤدّي إلى التخلُّف.

- ثِق أنَّ كلَ شيء في دائرة الممكن يتغيّر.

- ثِق أنَّك إذا لم تتغيّر إلى ما يُفيد سيتم تجاوزك أو يستهدفك الآخرون بالتغيير.

وعليه:

. لا تُصدِّق من يُبارك بطولاتك في الخيانة.

. لا تُصدِّق من يُبارك بطولاتك في السّرقة.

. لا تُصدِّق من يُبارك بطولاتك في الكذب.

. لا تُصدِّق من يُبارك بطولاتك في تعاطي المخدرات.

. لا تُصدِّق من يُبارك بطولاتك في تضييع الوقت.

. لا تصدق من يُبارك تطرُّفك.

. أفِق من غفلتك تجد الحقيقة بين يديك.

ولذلك؛ فإنّ كلّ شيء يمكن أن يتغيَّر، فمثلما يتعرَّض الإنسان للمرض والانحراف والتطرُّف يتعرض للمعافاة والاستقامة والإصلاح.

9. **قاعدة الظاهر والكامن**، كلّ ما هو خاضع للمشاهدة أو الملاحظة ظاهر، قولًا كان أم فعلًا أم سلوكًا أم أثرًا. وكلّ ما خُفي عن ذلك في حيِّز الوجود كامن، فعندما تكون الفرحة ظاهرة على السّطح، يكون الحزن من ورائها كامنًا، وعندما تتوافر اشتراطاته أو معطياته يفور من حينه ليُعلن أنّه قوّة قادرة على مداهمة واختراق كلّ الحواجز التي سترته قبل الظهور.

ولأنّ الحواس هي الممكِّنة من الإدراك العقلي لكلِّ ما هو ظاهر وما هو كامن، فحيث ما يكون الظاهر في الصدارة متحركًا يكون الكامن من ورائه ساكنًا، وقد يتماثل الظاهر مع الكامن وقد لا يتماثل، فعندما يكون القول كاذبًا بطبيعة الحال يكون مخالفًا للحقيقة، وعندما يكون صادقًا يصبح مماثلًا لها، وهكذا في كلِّ أمرٍ، وعندما تُترجم الأقوال الظاهرة في سلوكيّات وأفعال تمرُّ شخصية الإنسان حسب مواقفها من الحقيقة بخمسة مستويات قيميَّة:

. الاتزان الانفعالي: لا سالب ولا موجب (ذاتيَّة؛ حيث التمركز على قيم المجتمع).

. الميل لأخذ المواقف السّالبة: (الميل إلى ما لا يُرضي الآخرين، حيث الانسحاب من بعض القيم الاجتماعيَّة).

. بلوغ قمّة المواقف السّالبة: (الشخصانيَّة؛ حيث ظهور السُّلوك الأناني والتمركز على الأنا فقط).

. الميل لأخذ المواقف الموجبة: (التطلّع لكلِّ مُرضٍ حيث المنطق والحُجَّة).

. بلوغ قمّة المواقف الموجبة: (الموضوعيَّة حيث العقل سيّد الميدان مع الرّقي وحُسن التصرف).

وعليه:

- تبيّن قبل أن تَقدم.

. تبيّن قبل أن تَنسحب.

- تبيّن قبل أن تَفعل.

- تبيّن قبل أن تَسلُك.

- تبيّن قبل أن تحكُم.

- تبيّن لتقف على اليقين.

. لا تتسرّع؛ فالتسرُّع مصيدة.

. تأنَّ فكلّ شيء ممكن.

. تحقق بالمقارنة.

. دقق بالملاحظة.

. استنبط بفطنة.

. حلّل بمنهج.

. شكّ حتى ترى الحقيقة بين يديك.

10 . **قاعدة الشكّ**: الشكُّ عمليَّة عقليَّة واعية، به يتمّ البحث والتقصي الفطن والتتبُّع الدقيق، من أجل التعرُّف بقناعة وانتباه؛ فالشكّ متعلّق إدراكي يتمّ به التمييز بين ما هو كائن بالفعل، والذي تصاحبه الظنون، والذين يشكّون هم الذين ترافقهم الفطنة والحذر معًا، فبالشكِّ يتمّ فكّ اللبس وإزالة الغموض حتى التمكُّن من معرفة الحقيقة كما هي لا كما يراد لها أن تكون عليه.

وعندما تحدث الأشياء أو تظهر على أرض الواقع فإنّ الشكّ لا يصاحب وجودها، بل يصاحب مدى مصداقيتها، فأيّ شيء قد وقع أو حدث هو مثبت لا شكّ فيه، لكنّ الذي تُوجّه له سهام الشكّ هو ما مدى علاقة ما حدث أو وقع بالموضوع المستهدف به معرفة الحقيقة هي كما هي.

ولأنّ الشكّ يتطلّب دليل إثبات (برهان) مع استعداد سابق لقبوله؛ فالظنّ يحتوي على فقدان الثقة في الآخر، حتى وإن توافر لديه حسن النيّة.

وسيظل الشكّ قاعدة موضوعيَّة إلى أن يُنفى، ولأنّه قاعدة إلى أن ينفى، فهو باقٍ في المنابر العلميَّة والمختبرات والمعامل البحثيّة إلى أن يُنتج الجديد أو تحدث النُّقلة إلى ما هو أفضل وأجود وأحسن.

11 . **قاعدة تصحيح المعلومة**: المعلومة هي حاملة الأخبار وكامنة الأسرار تنقلها الكلمات من مُرسل لمستقبل، وهي في حالة امتداد بين قبول ورفض وإضافة وتعديل، وغموض ووضوح، ولأنّها بين هذا وذاك؛ فهي في حاجة لأن تُصحَّح، حتى لا تزوَّر الحقائق، ويحيد الكلام عن مواضعه؛ ولذا فإنَّ تصحيح المعلومة يتطلَّب مصدرًا صادقًا وباحثًا غير متحيّز وقادرٍا على أن يتبيّن، وأن يميّز بين ما هو كائن وما ينبغي له أن يكون، وقادرًا على أن يستقرئ ويستنبط من النصّ دلالة ومعنى؛ ولهذا فالمعلومة الصَّائبة تصّحح المعلومة الخاطئة.

المعلومة الصَّائبة بنائية؛ لأنَّها تحتوي القيم والفضائل التي يرتضيها المجتمع الإنساني، والمعلومة الخاطئة هدميَّة لأنَّها فاقدة لتلك الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة؛ ولهذا تُعدّ المعلومة بنائية في دائرة الموجب، وهدميّة في دائرة السّالب.

ولأنّ المعلومات هي التي تشكّل آراءنا وقناعاتنا؛ لذا فهي التي تشكّل معتقداتنا أيضًا.

إذن: في أثناء إجراء الحوارات والمجادلات والمراجعات بين الأنا والآخر ينبغي للمحاجّين المستهدفين الإصلاح أن يكونوا مُحَصَّنين بمنهجٍ يُمكِّنهم من تفكيك المعلومة بالمعلومة، وتركيب المعلومة بالمعلومة، وأن يكون كل منهم مستوعبًا لفكر الآخر، وملمًّا بمكامن قوّته، ومواضع علله وضعفه.

هذا الأمر يمكن أن يتحقّق إذا استبقت أطراف الحوار بداية حوارهم بقراءة مستفيضة لفكر كلّ منهم، حينها لا تقع المفاجأة ولا الاستغراب بين

المتحاورين، ويكون الحوار في تجاه بلوغ ما يجب أن يكون، عندما يكون المتحاورون على قناعة بجدوى الحوار مع وافر الرَّغبة في الإصلاح حقيقة مشفوعة بالسعي الحثيث دون كيد موجَّه من طرفٍ لطرفٍ آخر؛ ولهذا فالبيِّنة حُجَّة تستوقف الغافلين عندها متى ما ظهرت، ومتى ما امتثلوا أمامها، وحينها فمن يقبل يَقْبَلُ عن وعيٍ وإدراك، ومن ينسحب لم يكن بغافلٍ، فبالبيِّنة تُتخذ القرارات عن وعي، ويصبح الاختيار عن وعي، وكذلك يُنفَّذ الفعل عن وعي، ويتمّ تحمُّل ما يترتّب من أعباء على كلّ فعل بمسؤوليَّة.

ولإنجاح التفاوض بالبيِّنة ينبغي أن يلمَّ المتحاورون أو المتفاوضون بمنهجيّة الحوار والتفاوض التي بها تتراتب الحُجج وفق منظومة فكر تنطلق من معطيات، وتستهدف نتائج من ورائها غايات، ومن أوليات منهج التفاوض ألا تجعل العاطفة مرتكزًا رئيسًا في ملكاتك العقليَّة حتى لا تغفل وعليك أنْ:

. تعتمد في آرائك على دائرة الممكن (المتوقَّع وغير المتوقَّع).

. لا تضع أهدافك الرَّئيسة في مواجهة العاصفة.

. اعرف أنّك ستتعرض للاستفزازات من وقت لآخر.

. اقبل الاستفزازات إذا كانت المفاوضات تسير في الاتجاه الموجب حتى تمتصّ الغضب، ثم أرسل ما يقابلها في الوقت المناسب الذي تكون فيه الفرصة سانحة للطرف الآخر لامتصاصها.

. ارفض الاستفزازات في وقتها إذا كانت المفاوضات لا تسير في الاتجاه الموجب لقضيتك.

. إذا أردت إطالة زمن التفاوض لأسباب تخدم القضيَّة فاعمل ما من شأنّه أن ينهي التفاوض ليتأجل حتى تكسب وقتًا للعودة في زمن لاحق.

. إذا كنت في حالة ضعف عليك بإطالة زمن التفاوض.

. إذا كنت قويًّا ومنتصرًا فعليك بالإسراع وأنهاء زمن المفاوضات فطولها قد يعطي الفرصة للخصم بأن يُجمِّع قواه من جديد فلا يُمكِّنك من تحقيق ما أنت تريد.

. إذا تماثلت قوّة المفاوضين فعليهم باعتماد المنطق في التفاوض.

. إذا كنت منتصرًا وخصمك ضعيفًا اعتمد على اللغة، فخصمك بلا شكّ سيحاول قدر المستطاع أن يعتمد المنطق ليضعك في دائرة الإدانة.

. عند الضرورة اقبل بالتنازل، ولكن لا تُقدِّم تنازلاتك دفعة واحدة، واعلم أنّ التنازلات تحمل ضمانات العودة إلى المشكلة أو الموقف.

. إذا قررت التنازل للضرورة فلا تتنازل إلا بمقابل.

. لا تضع حُسن النيَّة رفيقًا لك في زمن التفاوض.

. إذا قبلت أن تكون مفاوضًا نيابة عن الحكومة فلا تستغرب أن تكون الضحيَّة.

. كن فطنًا لكل ما يقال في كلِّ الأوقات والظروف.

. اقرأ كلّ ردَّة فعل سواء أكانت كلمة أم حركة أم فعل.

. استقرئ أفكار الآخر أو من ينوب عنه قبل أن تُقدِّم رأيًا أو مقترحًا.

. قبل الاتفاق عليك بالاعتماد على التحليل أكثر من أن تعتمد على تقديم الآراء والمقترحات.

. بعد الاتفاق لا داعي للتحليل؛ فزمنه قد ولّى.

. كن قادرًا على الإنصات ولا تترك شاردة ولا واردة إلا وتلمَّ بها.

. كن صبورًا؛ فالصّبر يُمكِّنك من المغالبة.

. أشعر الطرف الآخر بحرصك واهتمامك، وضع اللوم عليه كلّما تهيّأت لك الفرصة في إلصاق ذلك به.

. تقبَّل الآخر كما هو؛ لتعمل على نقله لما يجب.

. إذا أحسست من الطرف الآخر أنّه سيجرُّك إلى ما لا ترغب فعليك بأن تطلب زمنًا للراحة فيه تتمكَّن من أنْ تستجمع أفكارك وقواك العقليَّة.

. حاول قدر الإمكان في بعض الأحيان أن يحس الطرف الآخر وكأنَّك محايد بما تقدّمه من نصائح لخدمة الطّرفين أو الأطراف ذات العلاقة.

. إذا طلب منك الطرف الآخر رأيًا فلا تستعجل على تقديمه حتى وإن كنت واثقًا، بل عليك أن تناقشه أوَّلا مع فريقك المفاوض.

. إذا طلب منك الآخر رأيًا، تأنَّ وفكِّر جيدًا حتى لا تقع في ما لا يجب.

. لا تظنّ أنَّ الآخرين المتقابلين معك على طاولة المفاوضات بسطاء، إنْ ظننت ذلك تأكّد أنَّك استعجلت استعجالًا في غير محلّه.

. كن مرنًا من أجل القضيَّة التي تتفاوض من أجلها ولا تكن مرنًا على حسابها، أي: كن صلبًا من أجلها.

. حاول قدر الإمكان أن تستكشف نقاط الضّعف في بعض من أعضاء الطرف المفاوض لك، واعمل عليها، ولا تجعل القيم قيدًا عليك، بل اعمل عليها حتى تكون قيدًا بين يديك، ولا تغفل حتى لا تؤخذ منك، وبها تُقيَّد.

. كُن قادرًا على الاستقراء والاستنباط فمعظم ما يثار بين المفاوضين وبخاصّة في جلسات الحوار الأولى هو حديث مُبطَّن.

. لا تغفل عن قوانين نظرية الاحتمالات التي بها تُقلَّب المعلومة على عدد زواياها وأركانها فعلى أساسها أسّس حديثك في أثناء الحوار والتفاوض؛ ليكون حمَّالًا لأوجه، ولِعلمك أن المفاوضين قادرون على استقرائه من أوجه عدّة فلا تظن أنّهم غير متمكّنين من الفهم المتعمِّق لنظرية الاحتمالات، ولكن بحوارك حمَّال الأوجه تمتلك الحقّ الذي به تؤكّد على أيّة كيفيّة أنت تقصدها في اتجاه استمرار الحوار أو في اتجاه توقُّفه.

. إذا أحسست بأنَّك أصبحت مؤيّدًا من الطّرف الآخر اعرف أنَّك تحتاج لمراجعة نفسك، أو مراجعة الكيفيّة التي بها قد أثرت الموضوع، وإلَّا ستجد نفسك في اتجاه بداياته لا تؤدّي إلى النهايات التي من أجلها كنت مفاوضًا، إلَّا إذا كنت عن قصدٍ ودراية بالمترتّب عليه.

. أعرف كيف يُفكِّر الآخر؛ لكي تتمكَّن من تقديم الحُجَّة المناسبة في وقتها المناسب؛ فعلى سبيل المثال: إذا كنت ليبيًّا والطّرف المفاوض لك فرنسيًّا، فعليك أن تُفكر في القضيَّة مع المفاوضين الفرنسيين بعقل باريس، وإذا كان الطرف المفاوض لك ألمانيًّا ففكِّر وحلّل واستخلص وفسّر بعقل برلين، وهكذا إذا كان المفاوض أمريكيًّا فعليك أن تفكِّرَ وتحلّل وتستنتج وتفسِّر بعقل واشنطن، أمَّا إذا فكَّرت وحلّلت واستنتجت وفسَّرت بعقلك فإنَّك قد لا تتمكّن من اختراق عقل الآخر، والتأثير فيه والوصول إلى نتيجة مرضية.

إذن: عندما تتعلق القضايا بمصير البلد أو الوطن فلا يُمكن أن تجد العاطفة مكانًا لها لتتبوأه على حِسَابِهِ بين المتفاوضين؛ ولهذا يحلّ المنطق والعقل محلّها؛ ليتمّ التواصل مع الآخر بالرّغم من كلّ الخلافات أو الصراعات، مما يؤدّي إلى زوال الصدامات والصراعات ويبقى التواصل سيِّدًا في ميدان العلائق الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة بين بني الإنسان.

وبعد أن يتمّ تفكيك القضايا التي جعلت التطرُّف مسببًا للاتصال بين الأنا والآخر، يصبح الأمر يستوجب تركيبًا لقضايا جديدة، مؤسّسة من نتاج الجهود المشتركة، ويكون بعد ذاك الاستقرار والأمن من قيم الفكر الجامع لا المانع لأيّ فرد أو لأيّة معطية من المعطيات التي تحمل أبعاد قيم التفاهم والتقدير والاعتراف والاحترام والاعتبار.

ولذا؛ فإنَّ وضوح الأهداف المراد الوصول إليها لدى من يتعلق أمر التطرُّف بهم يُمكِّن من معرفة الحقائق ذات المرامي المستهدفة بالحلول التي فيها تكون المعالجات من أجل الجميع، والإصلاح من أجل الجميع، بغاية من ورائها حلّ كلّ التأزُّمات التي تؤثِّر في الوطن والمواطنين، بما يعطي أهميَّة للاعتراف بممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمْل المسؤوليَّات دون إقصاء أو تغييب أو إبعاد.

إنَّ تقبُّل الأطراف التي تدور رحى التطرُّف بينهم أن يجلسوا على طاولة (نحن سويًّا، ونحن معًا) يمنح لهم الفرصة المشتركة المحقّقة للغايات التي فيها يصبح التطرُّف في خبر كان ماضيًا غير مأسوف عليه.

وهنا فإنَّ مبدأ (حق التقبُّل) يُقرُّ إدراك الواقع هو كما هو، ولا يُنكر التسليم بالواقع المتحقّق، ويؤسّس للتقارب النَّفسي، والأمن النَّفسي، ويحقق غرس الثقة لدى الأفراد والجماعات، ويبني جسورًا من التفاهم والتفهُّم اللذين بهما تُطوى مسافة الهوّة التي جعلت كلًّا من الأنا والآخر متطرفين.

وعندما يسود الحقّ بين المواطنين سواسية يشعر المواطن أنّ وطنه وكأنّه ملكًا له بالكامل؛ فهو غير محتكرٍ في فردٍ أو طائفةٍ أو قبيلةٍ أو فئةٍ أو حزبٍ، وعندما يسود الحقّ يكون للعقيدة احترامها وتقديرها، وللعرف احترامه وتقديره، فمنهما تستمدّ المجتمعات دساتيرها التي منها تستمد القوانين المنظّمة للأحوال والعلاقات، مما يجعل الدين والعرف هما الممثلان للمرجعيَّة العامة، فهما اللذان

يحتكم بهما ويحتكم إليهما دون أن تُفرض أفكار خاصة على أفكار العامة بغير حقٍّ، فإن فرضت بالقوّة يواجهها الرَّفض بأكثر تطرُّفٍ وقوّة؛ ولذلك فكما أنَّ حرّيَّة التعبير عن الحقِّ حقّ، كذلك حرّيَّة الملكيَّة والعمل وفقًا للجهد والقدرة والتخصص والاختصاص حقّ، مع تقدير الفروق الفرديَّة بين النَّاس، واعتبار أحوال من لم تتمكّن قدراتهم من العمل المنتج بتوفير مستلزمات إشباع حاجاتهم مع وافر الرعاية، والاعتراف ببذل الجهد من أجل توفير حياة وطنيَّة لكلِّ مواطنٍ.

الحلّ

المعلومة الصَّائبة تصحح المعلومة الخاطئة

المعلومات الصَّائبة حُجَّة:

المعلومات الصّائبة شواهد موضوعيَّة صحيحة ترشد إلى المعرفة الواعية، وكشف الحقائق كما هي، ومعرفة المجهول عن وعي، وهي حُجّة تمكّن من المجادلة صوابًا، والتجادل بها لا يكون إلّا عن قناعة بالموضوع أو القضيَّة التي من وراء حُجّتها حُجج أعظم.

ومن ثمّ؛ فأصحاب الحُجج تطوّرًا يسعون إلى إحداث النُّقلة، والارتقاء بالنَّاس إلى ما يجعلهم قمّة، وفي المقابل من يخالفهم بغير حُجّة يشدّ إلى الخلف إعاقة، وبين هذا وذاك؛ فلا استقرار، ولا أمن، ولا ارتقاء ولا تطوّر لأحد ما لم يؤخذ بالحُجّة ارتقاءً واستيعابًا، ولا استثناء لأحد بأيّة علّة، إلّا إذا كان أحد علّة في ذاته، ولا استغراب إذ لكلّ قاعدة شواذ، ومع ذلك، الحجّة الجدباء لا تصمد أمام الحجّة الحلّ التي تعلو بأصحابها تطوّرًا وارتقاءً إلى ما يمكّن من المعرفة، التي بها سترتق الأرض والسّماوات كما كانت أوّل مرّة.

ولأنّها المحاجّة، وفيها من المجادلة ما فيها؛ فهي لا تكون إلّا بالتي هي أحسن، {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}[12]، أي: لا ينبغي للمجادلة أن تكون بالتي هي أسوأ؛ فالأسوأ لا يقود إلّا للخلاف والصّدام والاقتتال؛ فيلد الألم ألما.

[12] العنكبوت 46.

وحتى لا يسود الألم بين النَّاس ينبغي لنا الأخذ بمبدأ المحاجّة والمجادلة حرصًا وتطوّرًا وارتقاءً، ويجب أن تبدأ المحاجّة مع المختلفين من حيث هم عليه اختلافًا، لا من حيث ما يجب أن يكونوا عليه اتفاقًا؛ فما ينبغي أن يكونوا عليه اتفاقًا هو المأمول الذي من أجله تجري المحاجّة بالتي هي أحسن، أمّا المجادلة غِلظة؛ فلا تكون إلّا مع من يستغلظ على الحقّ بغير حقّ، وهنا، يصبح المستثنى من جنس المستثنى منه (غلظة بغلظة) ومع ذلك؛ فللعفو والصّفح مكانة لا يبلغها إلّا من تدبّر أمره حكمة.

ولأنّ الجدل بالتي هي أحسن وسيلة للارتقاء؛ فينبغي لأساليبه أن تكون على الترغيب والتشويق والنّهي والرّهبة والتحذير والإنذار مع مراعاة الفروق الفرديَّة بين المجادلين ارتقاء، ففي الجدل الرسائل تُرسل بين المجادلين لكلٍّ حسب ما هو عليه من معرفةٍ، وثقافةٍ، ومعتقدٍ، ومنطقٍ، مع عدم إغفال أهميَّة الحكمة في إدارة الجدل؛ فالإنسان مع أنّه خُلق من نطفة، ولكنّه خصيم، ولهذا؛ فهو مجادل، ولأنّه كذلك؛ فمن حقّه أن يجادل، ولكن حرصا وتطوّرا وارتقاء ينبغي أن يجادل بالتي هي أحسن؛ فهو كلّما جادل بالتي هي أحسن كسب قلوب النَّاس، وفي المقابل متى ما استغلظ عليهم استغلظت قلوبهم عليه.

ولذلك؛ فالجدل تطوّرًا وارتقاء لا ينفصل عن الحُجّة، مع أنّ الحُجّة أساسًا هي معلومة مستقلّة بذاتها، وستظل إلى أن تُستخدم أو تُوظّف جدلًا، بما يقرّ حقًّا أو يؤدّي واجبًا، أو يُمكّن من حمْل مسؤوليّة، ومن ثمّ، فالحُجّة تُفحِم أو تُلزِم من كان على غير حُجّة حتى يُغيّر ما بنفسه، ومن هنا، تلد الموعظة والعبرة ارتقاء، وفي المقابل الجدل غِلظة يدخل المجادلين في حلقة الصّدام الذي كلّما انتهى بدأ تطرُّفًا.

ولأنّ الجدل بالتي هي أحسن جدل حُجّة؛ فينبغي أن يكون على اللين مع تبيان الدّليل والبرهان شاهدًا بين أيدي المتخالفين، ولنا في إبراهيم عليه

الصّلاة والسّلام القدوة الحسنة حينما جادل أباه آزر وهو يخاطبه بقوله: {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شيئًا يَاأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سويًّا يَاأَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَاأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا}[13]، فقوله وهو يجادله رأفة وودًّا: (يَا أَبَتِ) وهو يكررها مرات (يَا أَبَتِ)، هي: بهدف صحوة أبيه آزر من الغفلة التي ألمت به، والجهل الذي استحوذ على عقله، وبخاصّة أنّ إبراهيم لم يخفِ علمه وحرصه ومحبّته له، ولذلك؛ كان ارتقاء إبراهيم مؤسّسا على عدم الإكراه؛ فالإكراه هو: حجّة من ليس له حُجّة: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاس حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}[14].

ولأنّه الجدل حجّة؛ فهو لا يكون إلّا عن صبر، وسعة صدر، بهدف استيعاب المختلفين، وأخذ الحجر من أيديهم التي به امتلأت؛ ولذا ينبغي للمجادل أن يمتلك المقدرة على استجلاب الدلائل والبراهين لإثبات قضيّته، وفكّ القيد عنها، مع فكّ اللبس والغموض عمّا يستخدمه من مفاهيم. وفي هذا الشأن أتذكّر تلك المجادلة التي جرت بين النبي إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام ومن حاجّه في ربّه: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ}[15]، فاللبس في ذهن من جادل إبراهيم في ربّه كان متعلّقا بمفهوم الإحياء والإماتة؛ فإبراهيم قال: (رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ)، وفي المقابل كان قول المجادل: (أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ). واللبس هو: أنّ إبراهيم يجادل بحجّة من يحيي ويميت، وفي المقابل فهم المجادل أنَّ الإماتة هي القتل، ولهذا أجابه بقوله: (أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ) أي: وكأنّه

---

[13] مريم 42 ـ 45.

[14] يونس 99.

[15] البقرة 258.

يقول: إذا أردت أن أقتل أحدًا قتلته، وإذا أردت عدم قتله تركته حيّا. ولكنّ الفرق كبير بين القتل الذي يكون على أيدي المتقاتلين أو القتلة، وبين الموت الذي لا يكون إلّا بيد الله تعالى.

إذن: الحُجّة يمكن أن تكون مُعجزة تفحم المجادل بغير حُجّة: {قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمس مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ}[16]، وفي المقابل يمكن أن تكون حلّا، ويمكن أن تكون موعظة، ويمكن أن تكون عبرة، ويمكن أن تكون دليلا ملاحظا أو مشاهدا (قولًا وعملًا وفعلًا وسلوكًا) {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا}[17].

وعليه:

فالجدل هو: التوجُّه للنّاس بالحُجّة تطوّرا وارتقاء، وهي الحُجّة التي لا تقبل التنازلات، ذلك لأنَّ الحُجّة ينبغي أن يؤخذ بها، أمّا التفاوض فلا ينتهي إلّا بتقديم التنازل الذي من ورائه تنازلات.

ولذلك؛ فالمجادلة تطوّرا وارتقاء فيها مكابدة وعُسرة، وهي في معظم الأحيان تستدعي تقديم المزيد من الحُجج الدّامغة التي لا تستفزّ أحدا، وبتقديم المزيد من الحجج ينبغي أن ينبهر الخصم بما يجذبه إلى الحقّ حُجّة من بعد حُجّة.

ومن ثمّ؛ فالصّبر حُجّة المتجادلين؛ فعليهم به دون استرخاء، ولا داعي للقلق حتى وإن كانت الاستفزازات من ورائه، بل كلّما طال زمن التجادل والصّبر ولم يفارق المتجادلون حُجّة بحُجّة اختنقت أنفاس من لا حُجة له.

---

[16] البقرة 258.

[17] يوسف 26.

ففي المجادلة إصرار، وعدم إعطاء الفرصة لمن يريد أن ينهي الجدل قبل الوصول إلى نتائج مقنعة، أمّا الحوار فقد لا تكون فيه مكابدة، والمتجادلون عندما يفقدون قواعد الرّكون إلى المحاجّة المنطقيَّة، قد يضطرون إلى الخصام الذي لا طائل من ورائه إلّا الخلاف والفرقة؛ فيصبح كلّ شيء ممكنا سواء أكان متوقّعا أم غير متوقّع.

وعندما تغيب الحُجّة بين المتجادلين ارتقاءً، يصبح المجال بينهم مفسوحًا للخصام والاقتتال، فالجدل وما فيه من شدّة يعد هو منطق السّلام، الذي إن لم يؤخذ به قد تصبح مصارف الدّم بين النَّاس في حاجة للمزيد.

فالمحاجّة تطوّرًا وارتقاءً ليست نقاشًا بلا دراية، ولا مفاوضات بلا خبرة ولا مهارة، بل المحاجّة تحاور يتكئ على حُجج بيّنة بغرض تنقية الشوائب التي نُسجت بين المتخالفين أو المختلفين، الذين يميلون عن صائبة المطلب والقول بعلل فيها علّة.

ومع أنّ الإنسان ارتقاء قد خُلق في أحسن تقويم، فإنّه خُلق ليجد نفسه بين قيم حميدة وفضائل خيّرة، وبين استفزاز الحاجات المتطوّرة في مقابل قصور مشبعاتها؛ ممّا يدعوه إلى قبول التكيّف بتنازلات، أو أن ينتظر زمن التوافق الذي قد يطول ويجعله على غير أملٍ.

ومع أنّ الإنسان خُلق على الارتقاء مقوّما، فإنَّهُ لم يُخلق نسخة واحدة وكأنّه أوراق سحب، بل لكلٍّ خصوصيته التي بها يتميّز عن غيره كما يتميّز غيره عنه؛ فالنَّاس مختلفون، ولكلّ بصمته الخاصّة التي لا تتكرّر: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاس أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[18]؛ فما أعظم هذه الآية: (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)، أي: مع أنّهم من نفس واحدة فإنّهم

[18] هود 118، 119.

لا يتطابقون وإن تماثلوا صفة؛ فهم مختلفون بصمة ومقدرة وتذكّرا وتدبّرا وتفكّرا، ولهذا؛ فهم يختلفون، وسيظلون مختلفين (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)، أي: إنّهم خُلقوا على الاختلاف الذي جعلهم في حاجة لحشد الطّاقات؛ إذ لا إمكانية للتطوّر والبقاء بغير الاختلاف.

ولأنّهم خلقوا على الاختلاف؛ فهم في حاجة لِما يجمع شملهم متى ما اختلفوا، أو تخالفوا، فالمحاجّة والجدل جهود تُبذل لإظهار الحقيقة التي لا تكون إلّا بامتلاك السّند الذي يَحتكم به ويُحتكم إليه، ومع ذلك تختلف المجادلة عن المحاجة من حيث كون المجادلة تتمركز على التمسّك بالحُجّة دون تفريط ولا يأس ولا قنوط، أمّا المحاجّة فالأمر يقتصر على تقديم الحُجّة؛ لتكون شاهدة على القضيَّة، ولمن شاء أن يحكم بها عدلًا فليحكم.

ومع أنَّ الجدال حُجّة تسنده الحقائق، ولكن عبر العصور لم تكن الحجّة هي الحجّة؛ فهناك من يعتقد أنّ تفسيره للمعلومة هو الحقيقة في الوقت الذي لا يميّز فيه صاحبها بين الحقيقة كونها معلومة أو نتيجة، وما يتراءى له تفسيرا ليس إلّا؛ ففي تلك الأزمنة الأسطوريّة كانت الثّقافة شفويّة، فيها من الخيال والخرافة ما فيها، وفيها من البطولات الكلامية بغير بطولات ما فيها، فيها الحقائق تزوّر، والأكاذيب تسوّق، والأنا شاهد على كلّ الشواهد، أمّا كفّة ميزان الغير فهي على الدّونية، في الوقت الذي فيه الغير قد لا يكون كذلك.

إنّه العصر الذي سادت فيه الحكاية والسّرد الخيالي، واللجوء إلى مظاهر الطبيعة الكونية، وكأنّها كما يراها اليوم العالم الفيزيائي ستيفن هوكنيغ خالقة لا مخلوقة، وبالتوقّف عند هذه العلّة تفحُّصا نلاحظ وكأنّ زمن الأسطورة ليس ببعيد عن زمننا، حيث انعدام وجود الحجّة دليلٌ شاهدٌ بين أيدي النَّاس.

ففي ذلك الزّمان كانت المبالغة الكلاميّة هي سيّدة المواقف، حيث وصل الحال بمن يجهل الحقيقة إذا حكى عنها وأُخذ بحكيه كان حكيه وكأنّه

الدّليل والحجّة، ومن هنا، قد يأخذ البعض بتفسير العالم الفيزيائي ستيفن هوكنيغ مع أنّه بلا دليل، ولا شاهد علمي، سوى الاستنتاج تفسيرًا.

وفي المقابل تفسير العقل والمبدأ تصحبه الدقّة في التعبير مع الأخذ بالمفاهيم الفاصلة بين المتشابهات والمتقاربات في الصّفات والخصائص.

ولأنّ التفسير العقلي نقدي؛ فهو يعتمد على البرهان المنطقي (مقدمات ونتائج صادقة)، وهو لا يقبل بتفسير المعلومات المشكوك في أمرها، ومن يقدم على تفسير المعلومات قبل أن تحلّل متغيراتها وتبلغ نتائجها فهو كمن يفسّر الماء بالماء، ومن ثمّ؛ فلا يكون التفسير إلّا عاكسا لوجهة نظر المفسّر. ولهذا؛ فالمعلومات غير قابلة للتفسير، أمّا النتائج فتفسّر؛ ولذا فمن يفسّر المعلومات قبل أن تُخضع للتحليل فمهما بلغ من نتائج فنتائجه غير موثوقة.

ولذلك؛ فتفسير المعلومات قبل أن تحلّل متغيراتها يكون أقرب إلى التفسير الأسطوري الذي يعتمد على القصّ (الحكي) الشفوي الإغرائي مع سيطرة الخيال على الموضوع قيد الحوار أو المحاجّة، وفي المقابل التفسير العلمي يعتمد على الدّقة الموضوعيَّة مع تقديم الحجج وإجراء التجارب في الميادين الاجتماعيَّة أو في المعامل والمختبرات، ولهذا؛ فالعلاقة بين التفكير الأسطوري والعلمي والفلسفي علاقة تضاد وتنافر وتعارض؛ ومن هنا فالحجج قابلة للقياس الذي يزيل الشكّ عنها[19].

تفكيك المعلومة حُجَّة:

المعلومة الحُجَّة مرنة تميل إلى الآخرين، وتستدعيهم إرادة بما تحمله تجاههم من تفهُّم لظروفهم وهمومهم وما يواجههم من صعاب، وإن لم تكن المعلومة بين النَّاس حُجَّة ومرنة فلن تستدعي أحدًا، وإن دعته الكلمات بغير ذلك أصبحت

[19] عقيل حسين عقيل، منابع الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 218 – 229.

الكلمات مدعاة لزيادة اتخاذ المواقف حتى بلوغ التطرُّف موقفًا وسلوكًا، وقد يترتّب على التطرّف أن تكون هناك دمويّة بين الأنا والآخر تهلك البشر والعلاقات الاجتماعيّة، فإن لم يتمّ استيعاب الآخرين بالحُجَّة والمرونة يصبح التطرّف متعددًا فيُكوِّنُ كتلتين أو أكثر.

ولذا؛ فالاشتراطات في كثير من الأحيان تصدر فوقيَّة لمن هم أسفل درجة على درجات السلَّم القيمي الهرمي، فهي إملاءات مانعة للاستيعاب ودافعة للتطرُّف، تطلب تنازلات ثم تطلب تقديم المزيد إذا تمَّ قبول اشتراطٍ من اشتراطاتها، ما يخلق حالة من الجفاء لا يكون من بعدها إلا ما يقطع كلّ جذور الاتصال التي يمكن أن تتحقّق.

ففي دائرة الممكن، لكلّ فعل ردَّة فعل تضاده في الاتجاه وقد لا تساويه في القوّة، مما جعل التطرُّف قوّة تساوي أو لا تساوي الفعل الذي تمّ بلوغه بعد تهيّؤ واستعدادٍ وتأهُّبٍ واستخدام وسيلة مشروعة أو غير مشروعة.

فالمعلومة تُفكَّك بالمعلومة وتُركَّب بمعطياتها الفكريَّة وفقًا للمتغيرات المكوِّنة لها، ولأنّها معلومة فهي المركَّبة من النصِّ الحامل للفكرة التي توجّه العقل وبها يوجَّه أو يصقل عقول آخرين، وهكذا تمتد إلى النهاية التي عندها يتوقّف التطرَّف أو تكون نهايته، وبما أنَّ الابتداء لا بدَّ له أنْ ينتهي سلبًا أم إيجابًا، فالتفاوض والتحاور والتجادل والتناقش معطيات لفكِّ الفتيل من الاشتعال، فلماذا يغضّ البعض النظر ويتأخر عن فك الفتيل!

ومن يصل إلى قبول الآخر بأهداف مؤقّتة دون أن يستوعبه هو كما هو، فليعلم أنّ نار الانتكاسات أشدّ وأعظم، وعندما تنتكس الأمور يصبح التطرُّف أكثر تنوّعا وتفرُّعا؛ مما يجعل العنف الدَّموي بين الأقارب والأباعد اعتدالا على كفتي الميزان.

ومع ذلك الأقوياء لا يقنطون؛ فالحلّ في دائرة الممكن وإن تعسَّرت الأمور وعظمت فهو ممكن، ويمكن أيضًا أن يكون التوقف ذاتيًّا إذا اقتنع الأنا بما ترتَّب على أفعاله من ردود أفعال عندما يعرف أنَّه قد حاد عن الجادة في مقابل اقتناع الآخر بأنَّه قد حاد عن الجادة كما حاد الأنا عنها، أو أنّ كلًّا منهما قد يئس وتعب فقدَّر جهده وإمكاناته في مقابل تقدير الآخر لذلك؛ مما يؤدّي بهما إلى البحث عن حلٍّ بوسطاء أو بدونهم.

فبالمراجعة الذاتيَّة والتقييم الموضوعي يمكن أن يتمّ تصحيح المسارات والاتجاهات وتصحيح النوايا وتغيير الأهداف والاستراتيجيات وتقويم الحالة؛ إذ لا شيء مطلق إلا من عند الله، وهنا يصبح التوقّف قناعة ذاتيَّة تتمركز على الحقِّ مراجعة.

ولذا؛ فالمعلومات التي كان يُعتقد بأنّها مسلّمات موثوق بها في زمنٍ من الأزمان قد لا تكون كذلك في زمنٍ آخر إذا ما تمّ إخضاعها إلى قاعدة: (تفكيك المعلومة بالمعلوم) وقاعدة: (تركيب المعلومة بالمعلومة)، مما يستدعي عدم التمسُّك بالأفكار والقضايا وجعلها مسلّمات مطلقة إن لم تكن من المطلق الأعظم.

ولأنَّ الحُجَّة فكرية عقليَّة فهي المؤثرة عندما تكون بين أيدٍ تملؤها المرونة بمستهدفَات تقدير الآخر واستيعابه، مما يجعل الفكرة في حالة امتداد من عقلٍ إلى عقلٍ، وفي مقابل ذلك تتعرَّض المعلومة للانكماش والرَّفض عندما لا تؤسّس حُجَّة بحجّة.

ولأنّ كلّ شيء يترتّب على معطياته وسماته وأغراضه وغاياته ومستهدفاته؛ فإنَّ المعطيات تُسهم في تأسيس الحجَّة على الحجَّة، والمعلومة بالمعلومة حتى وإن رُفِضت بداية من الأنا أو من الآخر، فالحجَّة الحقّ قادرة

على أن تبقى إلى أن تتمّ العودة إليها من جديد؛ لتكون المتغيّر الرّئيس في تحقيق الإزاحة إلى ما يؤدّي إلى حلول ومعالجات وإصلاحات.

وعليه: ينبغي أن تَحلّ المعلومات الصائبة محلّ المعلومات الخاطئة، ثمّ تُدعم المعلومات الصّائبة بأخرى أكثر صوابًا؛ حتى يتمّ تثبيت القول السليم والفعل السليم والسُّلوك السليم بالحُجَّة التي يحتكم النَّاس بها ويحتكمون إليها[20].

[20] عقيل حسين عقيل، المعلومة الصائبة تصحح الخاطئة، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م، ص 8 – 17.

الإرادة

الإرادة ملكيّة خاصّة لا يتصرّف في شؤونها إلّا من يمتلكها قرارًا وتنفيذًا؛ إذ لا إجبار ولا إكراه في إدارتها وإظهارها وتتويجها في ميادين الفعل والعمل والسُّلوك، وهي لا تدار إلَّا عن رغبة مع العلم أنَّ إدارتها بكلّ حريَّة يترتّب على من يمتلك شؤونها تحمَّل ما يترتّب عليها من ردّة فعل وأعباء جسام.

ولذا فمن يمتلك الإرادة يستطيع أن يقرّر إيجابًا أو سلبًا، ومن لا يمتلكها يعدُّ مملوكًا لغيره (المتحكم في شؤونه)؛ ولهذا لا إمكانيّة لممارسة الحريَّة بأسلوب ديمقراطي إلّا عن إرادة، ولا يمكن ان يكون الإنسان متطرّفًا إلَّا بعلل التحكم في الإرادة، أي: كلَّما اشتدّت آلام التحكم في إرادة الإنسان اندفع تجاه الرَّفض والتمرّد والثورة، ولكن أيّة ثورة؟

أقول: ثورة الإصلاح أوَّلًا، ولكن إن لم تتم الاستجابة للإصلاح ستأتي ثورة العنف، وإن لم تثمر أيضًا ستأتي ثورة الحلّ، وإن لم يتيسّر الحلّ؟ لا شك سيكون التطرُّف هو السّبيل، ولكن أيّ تطرُّف؟

إنَّه المنقذ من التحكّم في الإرادة، ومن أجل تحرير الإرادة وتحرير الحاجات وتأكيد قيمة الإنسان: الواعون دائمًا هم السّباقون.

إذن: هذا النوّع من التطرُّف له مبرراته، أمَّا ذلك التطرّف الذي هو الآخر لا يكون إلَّا عن إرادة فهو الذي يكون في مواجهة الفضائل الخيّرة، والقيم الحميدة، والدساتير المقرّة عن إرادة من قبل الشعوب.

فهذا النوّع من التطرّف لا بدَّ أن يقاوم، ولا بدَّ من العلاج حتى الشفاء عن إرادة، ولكن أيَّة إرادة؟

أقول: الاقتناع عن إرادة، وهذه لا تتم إلَّا بعد مناقشة وجدال فكري، فيه تدحض الحجَّة بالحجَّة.

وعليه: فإنَّ الإرادة قرار اختياري يؤخذ بوافر الرَّغبة تجاه كلّ ما من شأنه أن يحقّق الرّضا في حدود الوعي بما يجب وبما لا يجب، مع تحمُّل ما يترتّب عليه من أعباء ومسؤوليات، وهي وثيقة الصّلة بالوعي بعزيمة تحقّقها وتخرجها من المعنوي إلى المحسوس الذي يُظهر العلاقة القويّة عن ثقة مع الموضوع الذي به ظهرت إلى حيّز الوجود المشاهد والملاحظ.

والإرادة في دائرة الممكن قد تكون مسؤولة وقد لا تكون؛ فعندما تكون مسؤولة تحقِّق للفاعل وللموضوع الاعتبار، والاعتراف، والتقدير، وتزيده ثقة، وعندما لا تكون مسؤولة لا تحقّق لصاحبها الاعتبار ولا الاعتراف ولا التقدير، بل قد تضعه في السّجن أسيرا بين الجدران، ومع ذلك لكلٍّ مبرّره، والمهم في هذا الأمر بما أنَّها الإرادة؛ فهي الدّالة على معرفة الحقيقة ولو تمَّ إنكارها اضطرارا.

وعليه: ينتفي الإرغام والإكراه وكلّ أساليب الإجبار المهينة إذا وعى الإنسان إرادة بما يعمل أو يفعل أو حتى فيما يفكّر، ولِمِ يتهيأ؛ ولمن يستعدّ؟ ومتى يتأهّب؟ وبماذا؟

فالإرادة هيّ قيمة تحقيق المكانة التي يسعى النَّاس إليها، ممّا يجعل المستهينين بالآخرين مستهانًا بهم سواءً أكانوا على دراية بذلك أم لم يكونوا، ومن يجعل للآخرين مكانة يجد له عندهم مكانات، ومن يعتبر ويتّعظّ لن تكون له حاشية إلّا من المتّعظين، ومع ذلك في دائرة الممكن كلّ شيء متوقّع فلا داعي للغفلة، ولا داعي لاستغفال الآخرين، ولا داعي لسلب إراداتهم إن أردنا حياة بلا تطرُّف.

ولأنَّ الإرادة حقّ؛ فينبغي لها أن تمارس بحرّيّة في دائرة ترسيخ الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة، ولأنّها حقّ ينبغي لنا الاعتراف بممارستها؛ ولهذا يسعى الإنسان دائمًا لنيل الاعتراف لأجل تبوء مكانة اجتماعيَّة أو علميَّة وإنسانيَّة.

ومن هنا ينبغي لنا أن نميّز بين الإرادة الفرديَّة والإرادة العامّة؛ فالإرادة الفرديَّة هي في حدود الخصوصيّة التي تتساوى فيها مع خصوصيَّات الآخرين دون اختلاف وإن كان هناك تنوّع وتعدّد.

أمّا الإرادة العامّة؛ فهي التي يتمُّ توصيفها بصلاحيّات واختصاصات تشريعيَّة وقانونيّة، وهي القابلة للتقييم والتقويم وفقًا لمعايير موضوعيّة متّفق عليها بمقاييس الجودة؛ ذلك لأنّ الإرادة قرار يحمل مسؤولية، والمسؤوليَّة لا تكون إلّا بوعي تام بما سيتحمَّله الإنسان مع وافر الرّضا بما سيترتّب عليه.

ولأنّ الإرادة نتاج قرار قابل للتنفيذ؛ فهي بعد التنفيذ تُمكِّن الإنسان من تحمُّل أعباء المسؤوليَّة دون تردّد، أمَّا الإقدام على الفعل بدون توافر الإرادة فقد لا يحقِّق للفعل إنجازًا موجبًا أو لم يُنجز أصلًا بأسباب الإجبار والإكراه أو بأسباب الخوف والتردّد.

ومن ثم، فإنَّ الإرادة المسؤولة هي الإرادة الواعية التي لا يتخلّى فيها الإنسان عن تحمُّل ما يترتّب من أعباء جسام، ومن هنا فلا يترتّب ندم في نفس من أقدم على أدائها؛ ولهذا يكون لكلِّ شيء قاعدة إصلاحيَّة واستثناء إفسادي، فمن يقرّر أن يواجهك عن إرادة فعليك ألا تستهين بالأمر، وعليك أن تعرف أنَّ الإرادة كفيلة بأن تُنجز في دائرة الممكن غير المتوقَّع ما لم يكن في دائرة الممكن متوقعًا[21].

---

[21] عقيل حسين عقيل، الإرهاب بين قادحيه ومادحيه، ص 39 ـ 43.

فالإرادة قرار يحمل مسؤوليَّة، والمسؤوليَّة لا تكون إلّا بوعي تام بما سيتحمَّله الإنسان مع وافر الرّضا بما سيترتّب على ما أقدم عليه من أخذ ببديل على حِساب بديل آخر، سواءً أكان ذلك المترتّب سالبًا أم موجبًا.

ويتصوَّر كثير من النَّاس أنَّ الإرادة هي حُسن الاختيار، لكن لو كان الأمر كذلك لكان المسميان لمعنى واحد، والدّليل على ذلك أنّ الإرادة عندما تكون أمام أمرين فإنَّها تختار أحدهما أو تستبدله دون الآخر، وكذلك فإنَّ الإرادة عندما تتخذ قرارها يكون هذا القرار في اللحظة نفسها تجاه هذا الأمر، أمّا الاختيار فيكون من أمور متعدِّدة يقع الاختيار على واحد منها يتمّ دفعه للإرادة التي تتّخذ قرارها فيه.

والاستبدال، إمّا أن يكون بين أمرين، أو بين اختيارين وفقًا لِما تمليه القيم، أو ما تمليه المصلحة، أو حتّى ما تمليه الأطماع، وإمّا أن يكون الاستبدال الإرادي من متعدّد البدائل؛ فالإنسان بإرادته الحرّة يستطيع أن يختار أو يستبدل ما يشاء وفقًا لتفضيلاته، أو وفقًا لِما هو أقلّ ضررًا، أو لِما هو أكثر ضررًا من غيره؛ فأصحاب الشرّ لا يفضِّلون غيره بإرادة، وأصحاب الخير لا يفضّلون غيره، وهكذا كلّ شيء بإرادة، ومن بين هذا وذاك في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع، يستطيع الإنسان أن يُرتِّبَ بدائله وفقًا للمتاح مع مراعاته الظّرف الزّماني والمكاني ولكلٍّ خصوصيّة لا تتطابق مع خصوصيَّات الآخرين وإن تماثلت معها.

ولأنّ العلاقة قويّة بين الإرادة والاختيار والرَّغبة في الاستبدال، ودرجة التفضيل بين ما هو قابل للاختيار منه، أو قابل لاستبداله بالكامل، فإنَّ التقييم للاستبدالات أو الاختيارات والتفضيلات يُسهم في تهذيب الإرادة وتطويرها وتغييرها من أجل استبدال ما هو أفضل أو أنفع، وهكذا تتحسّن الأحوال وتقوَّم من قِبل الواعين بما يجب وبما لا يجب؛ لتكون السَّبل ممهّدة تجاه غايات مستنيرة بالحقّ وموجبات إحقاقه.

فالاستبدال الإرادي هو في واقع الأمر تقديري، بمعنى أنّه يقوم على تقدير الأنا للقيمة المفترضة، ثمَّ تقييم تلك القيمة وصولًا إلى قرار الضّرورة الإرادية للاستبدال، فالتعويض مثلًا: هو استبدال إرادي لفاقد يجب تعويضه لضرورة أو لرغبة أو حاجة22.

والإرادة، التي لا اختيار إلّا بها، ولا تقليد إلّا بها متى ما كانت واعية بما يراد، كان الاختيار صائبًا، ومتى كانت غير واعية بما يُراد فلا تكون إلّا خاطئة، ومن هنا يقع البعض في أعمال التطرُّف وهو لا يدري حقيقة أمره في هذا الشأن المضاد للقيم والقوانين.

الإرادة قوّة اتخاذ القرار بلا مؤثرات خارجيَّة كابحة، فبها تحدّد الأهداف وتنجز، وبها تحدد الآمال وتنال، وهي التي تعطي للتخيير معنى ودلالة، وبالتَّالي: إن كان الاختيار موجبًا كان توظيف الإرادة موجبًا بناء وإعمارًا، وإن كان الاختيار سالبًا كان التوظيف هدّامًا ما يجعل السُّلوك بين انحرافٍ وعنفٍ وتطرُّفٍ.

ومع أنَّ الإنسان خُلق على التّسيير فيما لا طاقة له به، فإنّه كذلك خُلق على التخيير فيما لا تسيير فيه؛ فهو بالنّسبة إلى المستحيل والمعجز مسيّر، أمّا بالنّسبة إلى دائرة الممكن؛ فهو مخيّر بين متوقّع وغير متوقّع وفقًا للإرادة والمقدرة، وبالتالي له الحق أن يختار ما يشاء وفقًا للقيم والأعراف والقوانين المنظمة للسُّلوك والضابطة له، أمَّا في غير ذلك فليس له حقٌّ، ومع ذلك قد يمتدّ البعض على حساب حريّة البعض، ومن هنا يحدث التَّماس والصِّدام والخصام، بل وتحدث المواجهة وارتكاب أفعال واعمال التطرُّف واعماله.

---

[22] عقيل حسين عقيل، خريف السلطان (الرحيل المتوقّع وغير المتوقّع)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت،2011م، ص 117.

فالإنسان خُلق على الفطرة والتقليد، وهو في أحسن تقويم، ثمّ جاء الإنباء ميسّرًا لما تعسّر أمامه؛ ذلك لأنّه المخلوق الذي لا إرادة له في خلقه، ولا تخيير له في ثنائية وجوده، بل التخيير كان بأسباب الاختلاف الذي خُلق عليه جنسًا ونوعًا؛ ولهذا الإنس غير الملائكة والجنّ، وكذلك الذّكر غير الأنثى، والرّجل غير بقية الرّجال، والأنثى غير بقية الإناث، وهكذا كان الاختلاف بين الأجناس والأنواع، ولكلّ بصمته التي تعطيه خصوصية تجعله مختلفًا عن خصوصيّات الغير، وهكذا تكون الإرادة، فهي مع أنّها من حيث المعنى واحدة، فإنّها من حيث الممارسة بين تيسير وتعسير ولكلّ حسب ظروفه الشخصيَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة والذَّوقيَّة.

ولأنّ الإنسان في دائرة الممكن خُلق مخيَّرًا؛ فهو يفكّر فيما يشاء كيفما يشاء ومتى يشاء، وهو يقبل ويرفض، ويخطئ ويصيب، وبإمكانه أن يتطوّر ارتقاء، أو أن يتخلّف وينحدر دونيّة، ولأنّه مخيّر إرادة؛ فله من المشيئة في دائرة الممكن ما له؛ فهو يؤمن ويكفر ويشرك كما يشاء؛ ذلك لأنَّ كلّ شيء في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع؛ هو بين يديه إرادة، ولأنَّه بين يديه إرادة فهو المخير بين اتباع سُبل الرّشاد مهتديًا، أو سُبل الضلال متطرِّفًا: {أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}[23]، وقال تعالى: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا}[24].

الإرادة تحدّي الصّعب:

الإرادة مع أنّها قوّة يُمكِن أن تنجز ما لم يكن متوقّعا، ولكنّها تفاديًا لما يؤلم تأخذ مساحة من التجنب، وهذا لا يعني أنّها تستسلم له، بل إنّها تبحث عن كيفية التخلّص منه حتى لا يترك أثرًا، وفيه تكمن العلل.

---

[23] البلد 8 _ 10.

[24] الإنسان 3.

ولأنَّ الارتقاء الإرادي ممكن فلا مستحيل في دائرة الممكن حتّى وإن كان الصّعب يملأ نصفها، ومن هنا، وجب العمل على تذليل الصّعاب كي تتيسّر الأمور ارتقاء؛ فالصّعاب إن لم تداهم بإرادة، لا بدَّ وأن تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لم يحمد عقباه ينبغي تحدّي الصّعاب تهيؤا، واستعدادًا، وتأهّبا، وعملًا راقيًا تنجزه الإرادة.

ومع أنَّه لا صعب أمام مزيد من بذل الجهد ارتقاء، فإنّه لا ارتقاء لخرق المستحيل، فمن المستحيل أن يكون الإنسان عالما بلا علم، وفي المقابل يمكن له أن يصبح عالما بالرّغم من الصّعاب.

وعليه:

فالقاعدة: (تحدَّي الصِّعاب إرادة) أمّا الاستثناء: (الاستسلام إليها قهرًا).

ولأنّ الممكن إرادة يُمكّن من تحدّي الصّعاب، فَلِمَ لا يتهيأ الإنسان إليها قوّة تدبّر حتى يقهرها إرادة، ممّا يجعل التهيّؤ للعمل لا مكان فيه للتردّد في نفس المتهيئ لأدائه، ولكن أيّ عمل؟

أقول: العمل إرادة يمكن أن يكون موجبًا مثل: البناء والإعمار، ويمكن أن يكون سالبًا مثل: التطرّف وارتكاب الجرائم، غير أنَّ البناء والإعمار تحدّي صعاب، أمَّا التطرّف وارتكاب الجرائم استسلام أمام الصّعاب بالرّغم من خطورتها.

ولهذا فامتلاك الإرادة في دائرة الممكن يمكّن من الارتقاء، الذي فيه المواجهة موجبة مع ما يمكن أن يكون من فعل سالب، فكما تُرسم الخطط لتنفيذ العمل تُرسم أيضًا لمقاومة المعيقين له، ومتى ما بلغ الإنسان التهيّؤ والاستعداد والتأهّب إرادة، بلغ القناعة المحفّزة والدافعة إلى تنفيذ العمل ومواجهة

ما يعيقه من صعوبات، ولذلك؛ فالذين يتهيّأون ويستعدّون ويتأهّبون إلى ارتكاب أعمال التطرُّف بإرادة في معظم الأحيان هم يُقْدِمُون على تنفيذها دون تردّد، والذين يقاومون أعمال المتطرفين بإرادة هم الآخرون يقدمون على مقاومتهم ومقاتلتهم بكلّ قوّة، أمَّا أولئك الموظّفون الذين تُصدر لهم أوامر تنفيذ التطرُّف، أو أوامر مقاومته فلن يكونوا فاعلين، بل ستكون أيديهم على الزّناد مرتعشة، وهنا تكمن العلّة.

إذن: فمن تهيّأ واستعدَّ عن إرادة للعمل وأقدم عليه ليس بالأمر الهين أن يتهيّأ لِما يُغيِّره عن الاستمرار فيه، إلّا إذا فكَّر وتذكَّر وقَبِلَ إرادة أنَّ المعلومة في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع، لا تُصحح إلّا بالمعلومة الحاملة للحُجَّة، ومن هنا؛ فكلّما توفَّرت الأفكار والحُجج تجاه القضيَّة الخارجيَّة مثار الانتباه والاهتمام، كانت استجابة التهيّؤ الإرادي للحدث أسرع، وكلّما تضاءلت الأفكار أو انعدمت، كانت عملية التهيّؤ الإرادي متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي يُودّ الوقوف عليه.

ولذا؛ فالتهيّؤ للقول إراديًّا يؤدّي إلى الاستعداد لأنّ يقال بإرادة، وكذلك التهيّؤ للعمل يؤدّي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد تأهّب.

ومع أنَّ الممكن ارتقاءً لا استحالة فيه، ولكن إن لم يعقب التهيّؤ استعدادً؛ فلا إمكانية، حيث لا إرادة، ولذلك؛ فإنّ غياب الإرادة يغيّب كلّا من التهيّؤ والاستعدادُ، ومن ثمّ، تقوى درجة الاستعداد المترتِّبة على الإرادة والتهيّؤ بقوّتهما وتضعف بضعفهما.

ومع أنّه لا إمكانية للارتقاء بلا إرادة، ولا تهيؤ، ولا استعداد، حتى وإن اجتمعت في دائرة الممكن تظلّ منقوصة ما لم يتمكّن الإنسان من التأهب لأداء العمل وبلوغ الارتقاء قمّة.

فالتأهّب إرادة يؤجج في النّفس حرارة الاندفاع تجاه الهدف دون خوف مع إصرار على الإنجاز، ومن يتأهّب للشيء بعد تهيّؤ وإرادة واستعداد يستطيع في دائرة الممكن ارتقاء أن يُنفِّد ما يشاء، وكيفما يشاء حتى ولو كان تطرُّفًا.

ولأنّ لكلّ فعل ردّة فعل، إذن: فمن يتأهّب لأداء الفعل ارتقاء لا بدَّ وأن يكون متأهِّبًا لما يترتّب عليه من ردّة فعل، وإلّا سيفاجأ بما هو مؤلم.

وحتى لا تحدث المفاجآت في كلّ مرّة فأخذ الحيطة والحذر ضرورة لمن شاء أن يتدبّر أمره بلا عِلل، ولكن هذه ليست الغاية، بل الغاية أن تسود الحياة بين النَّاس بلا مغالبة، ولا هيمنة، ولا حرمان، ولا تمدّد على حساب الآخرين، ولا اتكالية على الغير، ومن هنا، تصبح الغاية هي تجاوز الحلّ المتجاوز للإصلاح وإن كان إصلاحا مساندًا.

فالصّعاب هي تلك الأعمال التي تستوجب مزيدًا من الجهد دون أن تكون مستحيلة التحقّق، فهي التي تواجه من يعمل ولا تواجه الكسالى، وهي التي لا تصمد أمام المتحدّين لها إرادة مع مزيد من الثبات وبذل الجهد الممكّن من إنجاز الأهداف أو تحقيق الأغراض أو بلوغ الغايات ونيل المأمول أو الفوز به؛ ولهذا ينبغي أن تواجه اعمل التطرّف تحدّيًا، أي: لا يمكن أن يتم القضاء على التطرُّف ما لم نقرَّ بأنَّ تحديّه صعبًا، فإن أقررنا وجب العمل تحدٍّ.

وعليه:

إذا أردت تحدّى الصّعاب إرادة فعليك بالآتي:

. ألّا تحصر التفكير في شؤونك أو شؤون الغير الذي تربطك به علاقة وأهميَّة على المتوقَّع فقط، بل تجاوزه إلى ذلك غير المتوقَّع حتى وإن كان صعبًا.

. تأكّد أنّ الصّعب لا يستطيع المقاومة إذا تحصّنت له متحدّيًا.

. اصّمد؛ فالصّعب لا يصمد. أي: عليك أن تعرف أنّ ما يبدو صعبًا للبعض لا يبدو كذلك لدى البعض؛ ولهذا عليك بقبول التحدّي حتى تهزمه كما غيرك هزمه.

. الصّعب لا يزيد عن كونه حيويَّة؛ فينبغي أن يواجه بها ولا يواجه بغيرها، أي: لا يمكنك أن تهزم خصما وأنت لم تمتلك ذات السّلاح الذي يمتلكه تقنية، وعندما تمتلك ذات السّلاح فليس له بدّ إلّا أن يقدّرك صلحًا وتصالحًا وعفوًا: {وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ}[25].

. مواجهة الصّعب لم تكن مستحيلة، ولأنّها ممكنة فَلِمَ لا يواجه إلّا من البعض؟

أقول:

لأنَّ البعض دائمًا أفضل من البعض، أي: دائمًا الواعون والصّابرون والمؤمنون بأنّ الحقّ يُحقّ يعملون على إحقاقه تحدّيًا، وقهرًا للباطل.

. الصّعب على علاقة بالباطل من حيث إنّه لا يصمد إذا ما حدثت معه المواجهة تحدّيًا ورغبة وإرادة؛ ولهذا الصّعب يقهر، والباطل يبطل، ولكن لا يكون ذلك إلّا على أيدي الصّامدين.

. اقبل بدفع الثّمن جهدًا ووقتًا وإمكانات تنل أضعافها مكاسب وفوائد متى ما استسلم لك الصّعب قهرًا.

. تحدَّ الخوف الذي يقنعك كسلًا، فاعمل وابذل المزيد من الجهد تجد نفسك منتجًا، وفي المقابل إن استسلمت له فستجد نفسك متسوّلًا مع المتسولين على الأرصفة وبين الأزقة.

[25] الأحزاب 25.

ـ أهّب نفسك للعمل إرادة تجد العمل بين يديك، وأهّب نفسك للتحدّي إرادة تجد نفسك متحدّيا، وأهّب نفسك لمواجهة الصّعاب إرادة تجد الصّعاب مستسلمة.

ولذلك؛ فالغاية من بعد الحلّ هي بلوغ المكانة الممكّنة من بلوغ رفعة الشّأن، وعيش النّعيم، وهذه مع أنّها غايات، ولكنّها ستظل في دائرة الممكن إرادة بين متوقّع وغير متوقّع، والعاملون عليها هم وحدهم يتهيّأون لها، ويستعدّون إليها، ويتأهبون لتحدي الأمر الصّعب، ثمّ يفعلون ويعملون حتى يبلغوا الغايات غاية بعد أمل لا تطرّف من بعده.

الإرادةُ تمكين:

مع أنَّ اتخاد قرار التحكّم في زمام الإرادة ليس بالأمر الهيّن فإنَّ من يتخذه يستطيع أن يميّز ويختار عن وعيٍ ما يجب أن يقدم عليه، وما يجب أن يحجم عنه وينتهي، وفي المقابل من يستطع أن يتخذ قرار التحكّم في زمام الإرادة ولا يفرق بين ما يجب وما لا يجب، قد يقع في فخاخ الجريمة والتطرُّف، وهنا تكمن العلَّة.

وعليه:

فمن يستطيع أن يجعل إرادته بين يديه تصرُّفًا يصبح مخيفًا لنفسه ولغيره، فهو مخيفٌ لنفسه: من حيث إنَّ امتلاك إرادته الحرّة قد يجعلها مغترّة، أمَّا لغيره: من حيث إنَّه إذا اتخذ قرارًا أقبل على تنفيذه ولو كانت مواجهة مع رؤوس القمم السُّلطانيَّة، وهذه لا شكّ ستضعه في قوائم المتطرّفين.

مع أنّ للإرادة علاقة بالطبيعة الخَلقيّة التي خُلق الإنسان عليها، فإنّها تظل في حاجة للتّدعيم بما يمكّن من امتلاك القوّة التي لا تجعل الإنسان يضعف ويحيد بالإرادة الضعيفة عمّا لا يجب الحياد عنه كما حصل مع أبينا آدم عليه

السّلام عندما أغواه الشيطان فعصى ربّه عن إرادة وليس عن إكراه شيطاني؛ ولهذا فإنّ الإنسان الذي خُلق مسيّرا في أحسن تقويم، اختار الانحدار إرادة من قمّة الخلق (في أحسن تقويم) إلى ما قلل من شأنه بأسباب الغفلة، وضعف الإرادة حتى أصبح أقل شأنًا عمّا خُلق عليه، وعندما لامس القاع سُفليَّة أخلاقيَّة أخذت الصّحوة والحيرة تملأن نفسه ندمًا؛ فاستغفر لذنبه عن إرادة؛ فتاب الله عليه.

فآدم الذي خُلق على الفطرة، خُلق معتدلًا في أحسن تقويم، ولكن عندما حاد آدم عن الفطرة إرادة، وجد نفسه منحدرًا بأسباب مخالفته قواعد البقاء الدّائم ارتقاء، الذي من بعده أصبح الهبوط أمرًا واقعًا حيث لا مكان للتخيير؛ فالتخيير فرصة تمنح من أجل حُسن الاختيار عن إرادة، ولكن من يعمل على إضاعة الفرص ارتقاء فالفرص ارتقاء قد لا تتكرر، وفي المقابل فرص الانحدار تتعدّد وتتنوّع وتتضاعف بكتيريًّا. ومن هنا؛ فالإنسان الذي خُلق على التسيير والتخيير، كان مسيّرًا وفقًا للطبيعة الخَلقيّة، وفي المقابل كان للتخيير فسحة الإرادة التي مكّنت آدم من الأكل من تلك الشّجرة المنهي الأكل منها.

وعليه: فالإرادة مطلقة بيد الخالق يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد، وهو على كلّ شيء قدير، أمّا الإرادة على المستوى البشري فهي لا تخرج عن دائرة الممكن؛ ولهذا كان الوجود عن قوّة وإرادة فعّالة، ممّا جعل مشيئة الوجود بيد الموجد بالقوّة، والقوّة الفعّالة يمكن أن تكون مطلقة، ويمكن أن تكون نسبية ممكنة؛ فالخالق يخلق بالقوّة المطلقة، والصّانع يصنع بالقوّة النسبيّة، ومن هنا؛ فالإنسان يمتلك القوّة التي تستوجب حُسن تصرّف عن إرادة فإن كان التصرّف عن إرادة حرّة، كان الإنسان مسؤولا عن تصرفاته سلبًا وإيجابًا، ومن ثمّ؛ فالتسيير مطلقًا بالقوّة، والتخيير نسبيًّا بالإرادة حيث لا إكراه، ووفقًا للمقدرة في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع.

وحتّى الدّين مصدر الفضائل والقيم، لا إكراه فيه، فكلّ شيء بين النّاس عن إرادة، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر؛ ولذا وجب قول الحقّ وترك النّاس أحرارا يختارون ما يشاؤون إرادة، ولكن إن حدث الانحراف فوجب الإصلاح الذي يستوجب البدء مع المنحرفين من حيث هم (جهلًا أو تعلمًا)؛ وذلك من أجل بلوغ الإصلاح، أو بلوغ الحلّ إرادة وارتقاء.

ولأنّ الأخلاق ارتقاء هي أساس المعاملة الحسنة فالأخذ بها إرادة لا شكّ أنّه يجعل الإنسان على المحبّة بدلًا من أن يكون على الإكراه الذي لا يترك إلّا ألما: {أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاس حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}[26]. أي: فلا داعي أن يضيق صدرك يا نبي الله وأنت تعلم أنّ مشيئة الخالق هي الفاعلة: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا}[27]؛ لذلك كان محمّد داعيًا إلى سبيل الحقّ بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا إكراه، وهذه عين الأخلاق ارتقاء؛ فالأخلاق تُعدّ قيمة ارتقاء في ذاتها، وهي عندما تتجسّد في السُّلوك إرادة يصبح سلوكها قمّة، ومن أراد أن يكون قمّة فعليه بالأخلاق الحميدة ارتقاء وإرادة، ومن لا يمتلك خلقًا لا نقول له: تطرّف، بل وجب البحث في شؤونه فكريًّا.

ولو عدنا لزمن الرّسل عليهم الصّلاة والسّلام؛ فلا وجود للأنظمة الحاكمة التي أصبحت تعمل على تقييد الإرادة ما استطاعت، فالأمر في تلك الأزمنة كان بين السّماء والأرض إنباء ورسالات (أنبياء ورُسُل). أمّا ما بعد الرّسالات والرّسُل؛ فأصبح الأمر بين النّاس شورى، وفقًا للإرادة والرّغبة والمقدرة والحاجة المتطوّرة: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ}[28]، والشورى هنا لم تكن خاصّة بالمسلمين، بل هي الحلّ، فمن شاء الحلّ؛ فعليه بها ديمقراطية بلا مكاره: {وَلَوْ

---

[26] يونس 99.

[27] يونس 99.

[28] الشورى 38.

شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاس حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}[29].

وعليه: هناك علاقة واضحة بين الإرادة والاختيار، فالاختيار لا يكون إلّا وفق الرَّغبة والمعرفة وبعد تبيّن، أمّا الإرادة فلا تكون إلّا بامتلاك الحرّية حيث لا قيود ولا مظالم.

ولهذا؛ فالاختيار إن أُحسن تدبّرًا وعن إرادة ومقدرة أَحدث النُّقلة إلى ما هو أكثر ارتقاء، وإن لم يُحسن الاختيار؛ فسيؤدّي بأصحابه إلى السُّفليَّة والانحدار والدّونية، ممّا يجعل السُّلوك الانحرافي في حاجة للتقويم حتى لا يسود التطرُّف وتسود المفاسد والمظالم (هيمنة وحرمانًا).

ولذا؛ فإن كانت الإرادة حرّة، فتحت كلّ السُّبل أمام الإنسان في دائرة الممكن سلبًا أم إيجابًا، وفي المقابل إن كانت الإرادة في حالة ضيق أو منعدمة فلا يجد العمل سبيلًا للإنجاز، ولا يجد الإنسان سبيلًا للتقدّم تجاه المأمول.

ولأنّ الإرادة الإنسانيَّة لا تكون إلّا عن دراية مع حُسن تدبّر ومقدرة على التمييز والاختيار؛ فهي المحرّك والمحفّز الأساسي لبناء الإنسان، والنّظر إليه قيمة رفيعة، ومن ثمّ؛ فينبغي أن يمكّن الإنسان ممّا يمكّنه من التقدّم والارتقاء وإحداث النُّقلة إلى ما هو مأمول علمًا ومعرفة وتقنية، إلى جانب ترسيخ قيم الاحترام والتقدير والاعتبار والتسامح والتعاون.

ولأنَّ الإرادة مركزها ذهن العاقل، فهي ميسّرة السّبيل أمامه لأنْ يعمل بفاعليّة، ومن ثمّ ليس له إلّا أن يرتقي إن أحسن اختياره وتدبّره، ولكن إن لم يحسن اختياره وتدبّره؛ فلا سبيل له إلّا الانحدار الذي من بعده يكون النّدم والألم، وهما: إن ألما بالإنسان جعلاه في حاجة لمنقذ.

---

[29] يونس 99.

فالإرادة إن كبحت بأيّ علّة، ستعود إلى الذّهن لتقييم المواقف، ومن ثمّ تقويم الحالة وتوجيه السُّلوك البشري إلى اتخاذ ردّات فعل تكون حساباتها في دائرة الممكن بين متوقّع وغير متوقّع، فعلى سبيل المثال: الإنسان عندما يعطش سيتوجّه إلى مصادر المياه ليروي ظمأه رغبة وإرادة وضرورة مُلّحة، وهذا هو الأمر الطبيعي الذي يتوافق مع الفطرة، ولكن إن مُنع من ذلك؛ فليس له إلّا قبول دفع الثّمن حتى النّهاية استجابة أو اقتتالا، وهكذا إن جاع فليس له إلّا التوجّه إلى مصادر إشباع الحاجة (حياة أو موتا)، ولذلك؛ فعندما تتطابق الفطرة مع الإرادة تصبح الغرائز أكثر ضغطًا على أصحابها، ولا إمكانية للتخلّص منها إلّا إشباعًا، أو القبول بدفع الثّمن تطرُّفًا.

ومن ثمّ؛ فالتوجّه للبحث عن مصادر بقاء الحياة تقليدٌ يتوافق مع الفطرة، أمّا المقاتلة من أجل الحياة تقليدا فلا يتوافق معها، ولهذا؛ فالكائن العاقل في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع يتذكّر ويتدبّر ويفكّر بما يتطابق مع فطرته دون أن يقصر ذلك عليها؛ ممّا يدعوه أحيانا إلى ما هو ممكن تقليدا، أمّا بقيّة الكائنات فلا تُدبِّر أمرها إلّا تقليدا متماثلا مع الفطرة، ولذلك؛ فهي كمن يراوح في مكانه بلا أمل، حيث لا مستقبل تدركه سوى الفطرة التي خُلقت عليها بلا تخيير.

وعليه: الإرادةُ امتلاك زمام الأمر بلا سُلطان خارجي، بها يتمكّن الإنسان من الاختيار الحرّ، وبدونها يُقهر، وهي الوعي بما يجب وبما لا يجب مع وافر الحرّية، حيث لا إرغام من أحدٍ، ومن هنا؛ فهي منبع الأمل للذين يأملون بلوغ غاياتهم بلا تدخّلات على حساب القيم والكرامة الإنسانيّة.

والإرادة عندما تكون حرّية تمارس تمكّن الأفراد والجماعات ممّا يشاؤون دون أن تكون مشيئاتهم على حساب حاجات الآخرين ومشبعاتها؛ ولهذا إن لم تُفسح المجالات أمام الإنسان اختيارًا تظل الإرادة مجرّد مفهوم ليس إلّا، فأهميَّة

الإرادة هي أن تجسّد في الأفعال؛ حتى يتمكّن النَّاس من بلوغ ما يأملون عملا وسلوكًا، ومن ثمّ؛ فالتمكّن من الإرادة إرادي، أمّا التمكين منها فمسؤولية من يتولّى مسؤولية سواء أكانت أسرية أم اجتماعيَّة أم وطنية أم إنسانية.

ولأنَّ الإرادة وعي بما يجب وبما لا يجب؛ فهي قرار يصدر للإقدام الاختياري دون إكراه على ما يجب أو ما لا يجب، مع تحمّل ما يترتّب عليه من أعباء ومسؤوليات، والإرادة وثيقة الصّلة بالوعي بفعل يحقّقها ويخرجها من المعنوي إلى المحسوس، الذي يُظهر العلاقة القويّة عن ثقة مع الموضوع الذي به ظهرت إلى حيّز الوجود المشاهد والملاحظ.

ولأنّ الإرادة تمكينا هي منبع أمل؛ فهي نتاج قرار قابل للتنفيذ، وهي بعد التنفيذ في دائرة المتوقَّع تُمكِّن الإنسان من تحمُّل أعباء المسؤوليَّة دون تردّد، أمَّا الإقدام على الفعل بدون توافر الإرادة فقد لا يحقّق للفعل إنجازًا بأسباب الخوف والتردّد، وإن تمّ إنجازه إكراها فلن يكون مثالا.

والإرادة المسؤولة الواعية هي التي لا يتخلّى فيها الإنسان عن تحمُّل ما يترتّب عليها من أعباء جسام حتى وإن كان تطرُّفًا، ولهذا؛ فلكلِّ شيء قاعدة إصلاحيّة واستثناء إفسادي. والاستثناءات هي التي يقدم على أفعالها المارقون أو المنحرفون والمتطرّفون، وبخاصّة أولئك الذين يتربّعون على قمّة السّلطان ولا يحيدون عنه، وكأنّ الأوطان لم تنجب غيرهم من بني الوطن أو وكأنّ الشّعب (كلّ الشّعب) لا يوجد فيه أحد مؤهّل لممارسة الحرّية، ومن هنا تفتح مداخل الأفعال المتطرّفة ومخارجها.

ولذلك؛ في مقابل هذه القواعد المنظّمة لممارسة الحرّية تظهر الاستثناءات من قِبل الأنا (الشخصانيَّة)، ممّا يجعل مَنْ وضع نفسه على قمّة سلّم السّلطان مهيمنا على كلّ أمر سياسي واقتصادي واجتماعي في خانة الاستثناءات مطاردًا، حتى وإن نصَّب نفسه شرطيًّا مدَّعيًا سلامة الوطن والأمن

العام وتنفيذ القوانين بحزم، أو حتى وإن نصَّب نفسه واعظًا ومرشدًا بما أنّه في دائرة الاستثناءات لن يكون إلّا مطاردًا حتى النّهاية.

ولهذا؛ فكلّما اشتدّت المطاردة واشتدّت التأزّمات بين قاعدة الاعتبار وقمّة سلّم السّلطان، وهُدّد الآخرون بالموت من قِبل من هم في دائرة الاستثناءات، أصبح الموت عندهم مطلبًا مع توافر الرَّغبة، ولهذا؛ يفقد من هو على قمّة سلم السّلطان مكانته، ويفقد الشّرطي سلاحه، والواعظ حُجَّته التي بها يلاحق الآخرين، ويكون كلّ منهم ضحيّة مستبدلًا بلا ثمن.

وعليه: فإنَّ الموت الذي هو سلب الحياة يتحوّل إلى قيمة مقدّرة إيجابًا بها يتمّ نيل الاعتراف والتقدير والاعتبار عندما يكون عن إرادة عملا يرجو الإصلاح أملا وارتقاء.

وبعض من النَّاس يتصوّر أنَّ الإرادة هي حُسن الاختيار، لكن لو كان الأمر كذلك، لكان المسميان لمعنى واحد، والدّليل على ذلك أنّ الإرادة عندما تكون أمام أمرين فإنَّها تختار أحدهما أو تستبدله دون الآخر، وكذلك فإنَّ الإرادة عندما تتخذ قرارها يكون هذا القرار في اللحظة نفسها تجاه هذا الأمر، أمّا الاختيار فيكون من أمور متعدِّدة يقع الاختيار على واحد منها يتمّ دفعه للإرادة التي تتّخذ قرارها فيه.

الإرادة قوّة:

الإرادة قوّة: من يمتلكها يمتلك زمام أمره، فهي النشاط الواعي الذي يَقدم عليه الإنسان الحرّ عن وعي وإدراك سابقين لأجل بلوغ غايات بعزيمة وإصرار وبدون تردّد؛ ولذلك فاتخاذ القرار عن وعي، وتنفيذه بكلّ وعي، وتحمّل ما يترتّب عليه من أعباء يدلّ على ممارسة الفعل الإرادي بين الأفراد والجماعات

والمجتمعات البشرية، ومع ذلك لا إرادة إلّا بقدرة، وقرار، وتنفيذ، ومسؤوليّة، وتهيؤ نفسي، أمَّا الإرادات المسخّرة فهي ليست حرّة.

ولهذا قوّة الإرادة will هي التي تُمكِّن الإنسان من ممارسة الحرّية.

وعليه: فالقاعدة هي:

. قوّة الإرادة.

. اتخاذ القرار.

. تنفيذ القرار.

. حمْل المسؤوليَّة.

. تنمية القدرة.

. التهيّؤ النفسي.

. قبول التحدّي عدلا.

. التمسّك بصُنع المستقبل المأمول.

. لا يأس ولا قنوط.

والاستثناء:

. ضعف الإرادة.

. عدم المقدرة على اتخاذ القرار.

. عدم المقدرة على تنفيذ القرار.

. التخلي عن حمْل المسؤوليَّة.

. عدم تنمية القدرة.

ـ عدم التهيّؤ النفسي.

ـ الأخذ بالأمر الواقع والاستسلام إليه.

ـ الخوف من المستقبل ولا عمل من أجله.

ـ اليأس والقنوط يسيطران على النّفس.

الإرادة قوّة مناعة:

ولأنّ الإرادة عزيمة، وفيها من الصّبر ما فيها، وفيها من التحدّي ما فيها، ولا مكان فيها للقنوط واليأس؛ فهي قوّة يجب أن تستثمر علمًا ومعرفة ومقدرة، ومتى ما بلغ الإنسان هذه القوّة فلا خوف عليه؛ ولهذا لا تجعل الخوف قيدًا عليك، بل اجعله من أجل صُنع المستقبل قيدًا بين يديك تضعه في أيدي كلّ ما من شأنه أن يشكل خطرًا.

وعليه:

فالمناعة immunity سياج دفاعي يُحصِّن الأفراد والجماعات والمجتمعات من الانهيار، والاستسلام لِما لا يجب؛ ولهذا على الأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين والمتخصصين في علوم الاقتصاد والتنمية البشريّة أن يعملوا جميعًا من أجل ما يقوي الإرادة لتكون للشّعوب إرادة صلبة عليها يتكسر الضّعف والوهن والجبن واليأس، وعليهم أن يستثمروا قوّة الإرادة من أجل تقوية بناء شخصيّة الفرد والجماعة والمجتمع على مبادئ وقيم تجعلهم على حالات من الاعتبار والرّقي الذوقي والأخلاقي؛ حتى لا يكونوا على حالة انسحاب وضعف ووهن وركون إلى ما هو سالب ويؤدّي إلى التطرُّف، ومن هنا توظف قوّة الإرادة في تعطيل أنماط التفكير الخاطئة، وتنمية أنماط التفكير الصّائبة التي تُمكّن الأفراد من إحداث النُّقلة إلى مستويات الطموح المتطوّرة عبر الزّمن.

القرار قوّة إرادة:

بطبيعة الحال من يمتلك اتخاذ القرار يمتلك الإرادة الممكّنة من اتخاذه، ومع أنّ القرار يتّخذ، ولكن اتخاذه لم يكن الغاية، بل الغاية الإقدام على تنفيذه، وتحمّل ما يترتّب على تنفيذه من دفع ثمن شريطة ألا يقدِّم الإنسان نفسه إلى التهلكة.

وتكمن قوّة القرار في اتخاذه بمسؤولية، وفي درجة الوعي والإلمام به، وبالمعطيات التي تستوجب إقراره؛ ولذلك كلّ قرار يُتخذ سيظل نوايا وتصميمات مجردة إلى أن يتمّ الإقدام على تنفيذه، حينها يصبح القرار نافدا وذلك بتماثل العزيمة والإصرار مع الإرادة الفاعلة.

ومن هنا؛ فلا تتحقّق المنجزات ولا تحدث إلا بقرار، أي: لا تنجز المهام والأعمال إلّا به، والقرار في دائرة الممكن المتوقَّع هو الوعي بما يجب. أمّا في دائرة الممكن غير المتوقَّع فهو عدم الوعي بما يجب.

ومع أنّ كلّ شيء بقرار ولا شيء بدونه، فإنّ القرار لا يخرج عن كونه في دائرة الممكن (متوقّع أو غير متوقّع)، وبما أنّنا نعرف أنّ كلّ شيء يقع في دائرة الممكن. إذن: لا داعي للاستغراب.

وعليه: (كلّ شيء بقرار)، يساوي (كلّ شيء ممكن)، وبما أنّه لا مستحيل في دائرة الممكن. إذن علينا بقبول تحدّى الصّعاب دون خوف ودون تراجع، ومن لا يتحدّى الصّعاب لا يُمكن أن يكون له مستقبل رفيع، ومن لا يُسرع قوّة وتدبّرا لتحدّي الصّعاب لن يجد له مكانا ليضع قدميه عليه أمام الحركة السّريعة للمتنافسين، ممّا يجعل البعض على الرّصيف جالسين في دائرة المستقبل.

ولهذا كلما كان القرار الإرادي قويّا وكان تنفيذه قويّا، تجاوز أصحابه العقبات التي تحول دون إحداث النُّقلة.

ولكي نتمكن من اتخاذ القرار عن وعي، علينا بمعرفة العلاقة التي تربط قوّة القرار بقوّة اتخاذه.

ولذا فقوّة القرار تكمن في الآتي:

. ما يحقّقه وما يترتّب على إنجازه.

. قوّة الالتزام بتنفيذه.

. استيعابه كلّ من يتعلق الأمر بهم أفرادا أو جماعات أو مجتمعات.

. استيعابه للمتغيّرات ذات العلاقة بالموضوع.

. تجاوز محققاته لِما كان متوقّعا.

. إحداثه للمفاجأة الموجبة التي تُحدث استغرابا لكلّ من لا يتوقّعه.

أمّا قوّة اتخاذ القرار فتكمن في:

. قوّة القرار ذاته.

. قوّة المعايير والقواعد والأسّس والمبادئ.

. قوّة التنفيذ.

. قوّة الهدف.

. قوّة الخطة.

. قوّة إعداد البرامج.

. وضوحه والمستهدف من ورائه.

. الإصرار على تجاوز السّلبيات.

. الاقتناع وعدم التردّد بمبررات اتخاذه.

. بما يتركه من أثر موجب.

وعليه؛ فالإرادة وثيقة الصّلة بالوعي والفعل الذي يحقّقها ويخرجها من المعنوي إلى المحسوس بفعل مادّي إرادي، وحينها يصبح الإنسان مسؤولًا عما فعل بإرادته سواء أكانت مسؤولة أم غير مسؤولة، وعلينا أن نميّز بين المسؤولة وغير المسؤولة.

– الإرادة غير المسؤولة: هي التي لا تحقّق لصاحبها الاعتبار والاعتراف والتقدير.

– الإرادة المسؤولة: هي التي تحقّق للفاعل وللموضوع الاعتبار، والاعتراف والتقدير.

ولذا؛ فلا إرادة دون موضوع واضح؛ ولذلك فبوضوح الموضوع تتحقّق الإرادة بالقوّة الدّافعة إلى الفعل بعد تهيّؤ واستعداد وتأهّب.

فالإرادة مسؤولية، والمسؤوليّة لا تكون إلّا بوعي تام بما سيتحمّله الإنسان لأداء ما يناط به من مهام: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا}30، ولنا أن نقول: إنّ الأمانة هي خلافة الله في أرضه، وهذه هي المسؤوليّة التي تميّز بها الإنسان عن غيره من الكائنات، وليست العبادة فقط؛

[30] الأحزاب 72.

لأنّ جميع الكائنات منقادة لله عابدة له تسبّحه وتقدّسه، ومن ثمّ؛ فالإرادة تجعل الإنسان مسؤولا؛ لأنّه لا بدَّ أن يكون على وعي بما يقدم على فعله31.

تقويض الإرادة:

التقويض إحاطة ومحاصرة لا تسمح للإرادة أن تتمدّد بحريَّة؛ فهي تحدّ منها أو أنّها تمنعها منعًا باتًا، فالإرادة بالرّغم من أنّها قيمة إنسانيّة حميدة، فإنّها عبر التَّاريخ تتعرّض إلى التقويض.

ولهذا نزلت الرّسالات الإلهية من أجل تحريرها من ذلك التقويض الذي جعل النَّاس يتّخذون آلهة من دون الله؛ فكان التوحيد كسرًا لتلك القيود والأطواق من أجل حرّية الإنسان، ولكنَّ الصراع بين الخير والشرّ لم ينته بعد مع أنَّ الحقَّ أصبح بيّنا والظلم بيّنا؛ فاهتدى من اهتدى، وكفر من كفر، وأشرك من أشرك، وضلّ من ضلّ، وطغى من طغي؛ فالذين اهتدوا اختاروا الإصلاح والإعمار والبناء والفلاح سبلا، والذين ضلّوا وطغوا اختاروا الفساد والإفساد وسفك الدّماء بغير حقّ سبيلا؛ ولهذا الصّراع والصّدام بين المصلحين والمفسدين دائمًا يشتدّ إلى أن يحسم الأمر الذي به تتخلّص الشعوب من أولئك المارقين.

فالمارقون الذين تمكّنوا من الاستيلاء على مقاليد السُّلطة في بلداهم حكموا النَّاس بإرادة ضالة، كما كان حال فرعون الذي قال كما جاء في القرآن الكريم: {قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ}32، فهؤلاء لا يرون شيئًا يعلو على رؤاهم ومن يخالفهم في رؤاهم ضلّ، ومن يضلّ عن رؤاهم المخالفة للحقّ تواجهه المكائد والمكر والدّسائس حتَّى إقصائه بعد أن يلبّس بكمٍّ من التّهم التي تلفّق إليه؛ ليدان بتلك القوانين التي سنّت من أجل الطّاعة للظلمة، ولكن لأنَّ هذه الأفعال مضادة لنواميس الحياة وسُننها الطبيعيَّة،

---

31 عقيل حسين عقيل، منطق الحوار ص 173.

32 غافر 29.

ترفضها الإرادة الإنسانيَّة كلّما كسرت القيد الذي يكبّلها ويحول بينها وبين ممارسة الحرية بأسلوب ديمقراطي؛ ولذا عندما يبلغ الإنسان الصّحوة لا بدَّ له أن يرفض بقوّة الإرادة كلّ أسباب القيود وعللها، ومن قيّد النَّاس بها، ومن أمر بوضع القيد في الأيدي، والطوق في الأعناق.

ولأنّ الإرادة قوّة فاعلة متى ما أطلق عَنَانُها بلا مظالم؛ فهي على علاقة قوّة مع قيمة الرَّفض وارتكاب أفعال التطرُّف، فالرَّفض كونه فعلا متحقّقا لا يكون إلّا عن إرادة؛ ولهذا فالإرادة هي القوّة الدافعة للإقدام على الفعل، فالفعل في دائرة الممكن يتحقّق بالقوّة، ولكنّه ليس دائمًا متحقّقًا بإرادة، فالإكراه والإجبار يقودان إلى تحقيق الفعل بالقوّة حتَّى ولو كان الفاعل غير راضٍ.

أمَّا إذا بلغ حال الفاعل درجة الرَّفض والتطرُّف فإنَّ الإرادة تكون ضمنيًّا متحقّقة بفعل الرَّفض والتطرّف، غير أنَّ الرَّفض أوَّل ما يتحقّق فيتحقّق قولًا، أما التطرّف فيتحقق فعلًا، أي: إنَّ الرَّفض قول يقال في مواجهة أو عن خطاب ورسالة، أو أن يكون مثل التطرُّف متحقّقًا فعلًا وعملًا وسلوكًا.

ولأنَّ الإرادة إشهار عزم مع وضوح نيّة؛ فالتطرُّف كونه فعل متحقّقٌ قولًا وعملًا وسلوكًا؛ فهو المعبّر الحقيقي والموضوعي عن مستوى الشخصيَّة الرّافضة والمتطرّفة.

وهنا تصبح الإرادة إعلانًا صريحًا عن امتلاك الرّافض لزمام أمر الرَّفض، ممّا يجعل الملاحظين والمقوِّمين خير واقفٍ على المشاهد والملاحظ الذي يعكس حقيقة الرَّفض عن إرادة.

فالإرادة قيمة مشيئيّة اختيارية تتمركز على الرَّغبة والوعي، ومع أنَّ الإرادة موجبة فإنّ المترتّب عليها اختيارًا قد يكون موجبًا وقد يكون سالبًا؛ فالإنسان بإرادته يؤمن، وبإرادته يكفر، أو يُشرك، أو يضل، أو يسرق، أو يكذب، أو

ينافق، أو يتطرّف وكلّ هذه المتنوّعات اختيارية، ولكنّها قد تكون عن وعي، وقد تكون عن غفلة أو جهل: {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}33.

فقيمة الإرادة تصميم واعٍ يُمكِّن الفرد والجماعة والمجتمع من اتّخاذ القرار الذي يتعلّق بأمرهم سواء أكان هذا الأمر سياسة داخليَّة أم خارجيَّة أم سلما أم حربا؛ ولذا لا يُتّخذ القرار إلّا بعد معرفة تامّة بما يجب وفقًا لدائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع؛ فبالإرادة تُحدّد الأهداف؛ وتُرسم الخطط ويتمّ الإقدام على تنفيذها بكلّ حرّية.

وعليه: الإرادة هي قيمة الحرّية في اختيار الخير أو الشرّ أو اتخاذ المواقف المحايدة بأسباب عدم التبيّن، أو لأسباب الخوف والنّفاق، وبالتّالي لا حرِّية بدون إرادة، ولا إرادة بدون حرِّية، فهنا تكون الإرادة قيمة حميدة ذات خصوصية؛ وذلك لتعلّقها بالإنسان الحرّ وعلاقاته بما يُقدَّم إليه من اختيارات متنوّعة، وبما يرغب وما لا يرغب، أمّا الحرّية فيغلب عليها الطّابع السّياسي الذي قد يجد الإنسان نفسه معها في حالة تكيُّف حتَّى وإن كانت لا تمدّه بما يحقّق له التّوافق.

وعلى المصلحين والتربويين وولاة الأمور أن يعملوا على تقوية إرادة الذين يتعلّق أمرهم بهم؛ حتَّى لا يكونوا منهزمين في أثناء مناقشتهم فيما يتعلّق بهم من أمر، أو يكونوا مستسلمين لأمرٍ واقعٍ ليس بموجب، وأن يعملوا جادّين على تفطينهم من الغفلة التي قد تلمّ بهم وتبعدهم عن ممارسة حقوقهم وأداء واجباتهم وحمْل مسؤولياتهم دون إكراه.

وهنا، تُعدّ الإرادة قيمة تعاقدية بين التخيير والاستطاعة ينبغي أن تقوّى لأجل أن تتّسع الهوة بين الأفراد، وما يؤدّي بهم إلى الإكراه أو الإجبار والإقصاء،

33 الكهف 29.

فبالإرادة تمارس الحرّية، وتتأكد السّيادة، ممّا يجعل النتائج المتوصّل إليها مرضية للفاعل حتَّى وإن كانت نتائجها سالبة.

ومع أنَّ الإرادة تُمكِّن من ممارسة الحرّية اختيارا، فإنَّ الإرشاد للحقِّ بالحقِّ حقّ على من يَعلم ويؤمن ويُدرك العواقب، فهناك القاصر والجاهل والمغرّر به، فلا داعي للإفساد، ولا داعٍ للتّسفيه، أي: لا داعي أن يسفّه الحاكم إرادة الشّعب في التعبير عن رأيه، ولا داعي للقمع بما أنَّ الإرادة لم توظّف في باطل أو سفك دم بغير حقّ.

ثمّ من واجب المتعلِّم أن يُعَلِّم ويُعلِم من لم يتعلَّم ولم يَعْلَم بما عَلِم من معارف خيِّرة تسهم في تقويّة الإرادة وتوجّهها لما يفيد وينفع الجميع، وعلى أولياء الأمور حقّ الرّعاية الحقّة، فالأنبياء من قبل بشّروا وهدوا وبلّغوا ما أُنزِلَ عليهم من وحيٍ وحرّضوا به الأقوام والشّعوب والقبائل وسكان القرى والمدن والكافّة وتركوا للإنسان الحريّة الإراديّة في الاختيار طاعة لأمر الله؛ ولذا فمن يطع الله لا يمكن أن يقبل بطاعة من دونه إلّا لأمرٍ هو جزء منه: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّين قَدْ تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}34.

ومع أنَّ في دائرة الممكن امتلاك الإرادة هو امتلاك للحرّية الشخصيَّة، فإنّ هذه الحرّية لا وجود لمطلقيّتها؛ فالإطلاق أمره بيد خالق الإطلاق؛ ولهذا بالإرادة في الحياة الدّنيا هناك من كَفَرَ وهناك من يكفر، أمَّا في الحياة الآخرة فلكلٍّ حسابه ثوابا أو عقابا، ولأنَّ الإرادة فضيلة خيّرة أمر الله تعالى رسوله الكريم عليه الصَّلاة والسّلام أن لا يفرض شيئًا على النَّاس، بل عليه البلاغ، وعليه بالمشاورة في كلّ أمرٍ يتعلّق بالنَّاس، ثمّ جعل من بعده أمر النَّاس شورى

---

34 البقرة 256.

بينهم حيث لا إكراه في الدين: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ}35 ثمّ قال تعالى: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ}36.

إذا كلّ مقيدي الإرادة عبر التّاريخ هم معادون لممارسة الحرّية ديمقراطيا، فالزّمن كفيل بترويضهم وفي المقابل إرادة الشّعب متى ما تمكّنت من المبادرات المفاجئة حقّقت نصرا.

ومع أنَّ الإرادة لا إكراه فيها إلّا أنَّ المعرفة الحقّة تُسهم إسهاما كبيرا في استنارة الإرادة بالموجبات تحليلًا وتحريمًا، ونفعًا وضرًا حتَّى يتمَّ الأخذ بما يجب عن إرادة ووعي، ويتمّ الانتهاء عمّا لا يجب إرادة ووعيًا، ولهذا فبالإرادة يتمّ تبيّن الحقّ والحكم به عدلا وكلّ في دائرة الممكن حسب الاستطاعة.

ولأنَّ الإرادة لا تقبل ظلما، وجب سيادة الاعتبار بين الأنا والآخر حتَّى لا تتصادم الإرادتان؛ فليس كلّ ما يُراد بإرادة يجب أن يؤخذ أو يتمّ، بل يجب أن يُقدّر الآخر الذي يمتلك الإرادة ومعطياتها ومستوجباتها كما يمتلكها الأنا، وإن لم تراع قيمة الإرادتين تقدير واعتبارًا واعترافًا يحدث الرَّفض وقد ينجم الصدام: {وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا}37.

في هذه الآية الكريمة شرطان للإرادة:

. الشرط الأوّل: على المرأة بقوله تعالى: (إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ) أي إن وهبت نفسها إرادة للنّبي أن يستنكحها.

---

35 آل عمران 159.

36 الشورى 38.

37 الأحزاب 50.

ـ الشرط الثّاني: على المرأة أيضا، فإن كانت بإرادتها قد وهبت نفسها للنّبي؛ فعليها أن تحترم وتقدّر إرادته تجاهها: (إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا)، أي: عليها أن تعرف هل هو راغبٌ أن يستنكحها؛ فإن كان راغبا تطابقت الإرادتان، وإن لم تتطابق الإرادتان؛ فعليها تقدير ذلك تقديرًا عاليًا؛ ولهذا عند المسلمين عقد النّكاح يستوجب الموافقة الإرادية من المستهدفين بعقد النّكاح؛ لتكون قيم الاحترام والاعتراف والتقدير والاعتبار سائدة بين الأنا والآخر (الزّوجين).

والإرادة معرفة ووعي بما يجب وبما لا يجب، وهي قرار يصدر للإقدام الاختياري دون إكراه على ما يجب أو ما لا يجب مع تحمّل ما يترتّب عليه من أعباء ومسؤوليات، وهنا تكون الإرادة وثيقة الصّلة وعيًا بفعل يحقّقها ويخرجها من المعنوي إلى المحسوس الذي يُظهر العلاقة القويّة عن ثقة مع الموضوع الذي به ظهرت إلى حيّز الوجود المشاهد والملاحظ.

فالإرادة هي قيمة تحقيق المكانة التي يسعى النَّاس إليها، ممّا يجعل المستهينين بالآخرين مستهانا بهم، سواءً أكانوا على دراية بذلك أم لم يكونوا، ومن يجعل للآخرين مكانة يجد له عندهم مكانات، ومن يعتبر ويتّعظّ لن تكون له حاشية إلّا من المتّعظين، ومع ذلك في دائرة الممكن كلّ شيء متوقّع؛ فلا داعي للغفلة ولا داعي لاستغفال الآخرين.

ولأنّ الإرادة قيمة إنسانيّة؛ فهي حاجة لكلّ إنسان على المستوى الفردي والجماعي والمجتمعي، فبها تُشبع الحاجات التي ستظلُّ مشبعاتها مطلبا إلى أن يتمّ الحصول عليها إرادة أو أن يتمّ انتزاعها بالقوّة انتزاعًا.

إنَّ الإرادة المسؤولة هي الإرادة الواعية التي لا يتخلّى فيها الإنسان عن تحمُّل ما يترتّب عليها من أعباء جسام، ومن ثمّ لا يترتّب ندم عليها؛ ولهذا

يكون لكلِّ شيء قاعدة إصلاحية تعيد الأمور إلى ما يجب، وفي مقابل ذلك استثناء إفسادي يؤدّي إلى ما لا يجب، وللتوضيح نقول:

القاعدة الإصلاحية: هي التي تقود إلى الإصلاح وبلوغ الحلّ، ممّا يجعل النَّاس يتمسّكون بما يتعلّق بشؤونهم، ومنها:

. التّمسك بالدِّين والدِّفاع عنه، حتَّى ولو كان بعض المنتمين إليه غير ملتزمين بأداء معتقداته.

. صون العِرض والدّفاع عنه.

. التمسّك بالهوية والدّفاع عنها.

. صون الوطن والدّفاع عنه.

. ممارسة الحقوق وأخذها بإرادة أو بقوّة.

. أداء الواجبات في مقابل حقوقٍ تمارس، وتأديتها بإرادة أو بقوّة.

. حمْل المسؤوليات يجعل المواطن مركزًا ولا آخر غيره.

. إصلاح الأرض وإعمارها وسلامة بيئتها بُعد إنساني ومسؤوليّة عامّة.

. تعلُّم المفيد والأخذ بما هو مفيد يؤسّس للموضوعية قاعدة بين الأنا والآخر.

وفي مقابل هذه القواعد تظهر الاستثناءات من قِبل الأنا أو الآخر، ممّا يجعل مَنْ وضع نفسه مهيمنا في خانة الاستثناءات مطاردا حتَّى وإن نصَّب نفسه شرطيًّا مدَّعيًا سلامة الوطن والأمن العام وتنفيذ القوانين بحزم، أو حتَّى وإن نصَّب نفسه واعظا ومرشدا بما أنّه في دائرة الاستثناءات؛ ولذا سيظلُّ مطاردا بالقوّة حتَّى يعود إلى ما يُرسِّخُ تلك القواعد التي تنظم علاقات الأفراد والجماعات والمجتمعات الإنسانيَّة عن إرادة.

ولذا فكلّما اشتدت المطاردة واشتدّت التأزّمات وهُدّد الآخرون بالموت من قِبل من هم في دائرة الاستثناءات أصبح الموت عندهم مطلبا مع توافر الرَّغبة؛ ولهذا يفقد الشّرطي سلاحه والواعظ حُجّته التي بها يلاحق الآخرين ويصبح هو الضحيّة بلا ثمن.

وعليه: فالموت الذي هو سلب الحياة، يتحوّل إلى قيمة عالية تنال الاعتراف والتقدير والاعتبار عندما يكون عملًا يرجو الإصلاح بتحرير الوطن، أو صدّ خطر يحاك ضدّه أو ضدّ الشّرف والدّين والقيم الحميدة والفضائل الخيِّرة.

إنّ المتهيّئين لأداء الأفعال بإرادة هم الذين يمتلكون زمام أمرهم فيستطيعون اتخاذ القرار المناسب من وجهة نظرهم التي قد لا تكون سليمة ومناسبة لأداء الفعل أو الإقدام عليه؛ فيدفعون الثَّمن مضاعفا حتَّى يكتشفوا ما يجب ليتخذوا إليه سبيلا، ويكتشفوا ما لا يجب وينتهوا عنه إرادة دون تردّد، وإن تردّدوا تزداد التأزُّمات تأزُّمًا، ممّا يرتِّب على هذه التأزُّمات أفعالا في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع تملؤها المفاجآت التي في كثيرٍ من الأحيان تكون نتائجها مؤلمة.

ولأنَّ الإرادة لا تقف عند حدّ اتخاذ القرار؛ فهي تمتدّ لتنفيذه، وإلى الأسلوب المناسب لذلك، والطريقة التي تُتَّبع إجرائيًّا وسلوكيًّا حياله؛ ولذا فالإرادة دائمًا سابقة على الفعل وبها يُنفَّذ، أي: لو لم تسبق الفعل قد لا يُنفّذ أو يُنفّذ بأثر سالبٍ؛ ولهذا فالإرادة قوّة موجبة لا ينبغي الإغفال عنها، وعن أهميّتها، وعمّا يترتّب على أوجه استخداماتها المتعدّدة سلمًا وحربًا وتطرُّفًا.

ولأنَّ التنفيذ فعل؛ فقد يكون تنفيذه بإرادة، وقد يكون بالإجبار والإكراه، ولكلٍّ ردّة فعلٍ موجبة وسالبة ولكلٍّ ثمنه، ولأنَّ ثمن الإكراه سالب؛ فيجب الانتهاء عنه حتَّى في الدّينِ المنزَّل من عند الله تعالى، حيث لا إكراه في

الدين؛ ولهذا بالإرادة ينبغي أن يُقيِّم الأنا والآخر ما يفعلون وإلّا سيتعرَّضون إلى التقويم الذي لا يكون إلّا حيث ما يكون الاعوجاج.

التقييم مراجعة دقيقة للحالة والمعطيات التي قد تكون مناسبة لزمانٍ، وقد لا تكون ذاتها مناسبة لزمانٍ آخر، ومن يتّقِ الحقَّ يجد الحقَّ له مُخرِجا، ومن يقبل أن يُقيّمَ ما وصل إليه يتمكَّن من بلوغ ما هو أعظم، ومن لا يقبل سيكون الزّمان كفيلا بترويضه كما روَّض كثيرا من الطّغاة.

وعليه: لا قيمة لممارسة الحقوق بدون إرادة، ولا قيمة ولا أهميَّة لأداء الواجبات ما لم تكن عن إرادة، ولا قيمة وأهميَّة لحمْل المسؤوليات ما لم تكن هي الأخرى عن إرادة، أي: لا قيمة ولا اعتبار ولا تقدير ولا اعتراف لأيّ شيء بالإكراه، والإجبار، والإرغام بغير حقّ.

مُدعِمات الإرادة:

الإرادة قرار قابل للتحقّق، والمحفِّزات القيمية تدعمها تجاه تنفيذ الفعل متى ما كان التهيّؤ حلقة من حلقاتها ومن هذه المدعمات:

سلامة القصد:

القصد هو مدى سلامة النيّة الدّافعة لإظهار فعل الإرادة قولًا وعملًا وسلوكًا؛ فإن لم تكن المقاصد واضحة قد توصف الإرادة بما لا يتطابق مع الفعل الظّاهر إرادةً؛ ولهذا ينبغي سلامة القصد حتَّى تتجسّد الإرادة فيما يتمّ الإقدام عليه من أفعال مستهدفة الإنجاز.

وضوح القيمة:

الإرادة قيمة عندما تكون محرّرة من القيد، وهي تسبق أيِّ فعل ينال التأييد والاعتراف والتقدير العام، ومن هنا فإنَّ وضوح القيمة يحفّز الإنسان على

اليقظة والاندفاع بمسؤوليّة تامّة قرارًا وتنفيذا مع القبول بما هو مترتّب على تحرير الإرادة.

وضوح الهدف:

وضوح الهدف في ذهن الإنسان يحفّزه على تحقيقه وفقًا لِما يجب، أمَّا غموضه فلا يجعله إلّا متخبّطا بين إقدام وإحجام، وهنا توجب الضّرورة وضوح الهدف أوّلا في عقل الإنسان الذي يمتلك معطيات اتخاذ القرار، ثمّ بعد ذلك يتم الإقدام على تحقيق الهدف في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع.

سلامة الغاية:

ولأنَّ الأهداف يتمّ تحقّقها؛ فالغايات البعيدة يتمّ بلوغها، ذلك لأنَّ الغايات هي المقصد البعيد المترتّب على تحقيق أهداف وإنجاز أغراض، ممّا يجعل الغايات مكمن الحلّ الذي يأمله الإنسان عن إرادة وقصد.

معرفة الصلاحيَّات:

الصلاحيَّات هي مجال الامتداد في دائرة المسموح به للمسؤول الذي عندما يفعل يكون مسؤولا مُقدَّرًا، وعلى الخصوص عندما تكون الصلاحيَّات شرعيَّة مستمدّة من الفضائل الخيِّرة والقيم الحميدة، ومن يودّ أن يكون مسؤولا يجب أن يكون واعيًّا قبل أن يفعل وإلّا سيكون في دائرة الاستثناء ظالما، ممّا يستوجب رفض مظالمه ومواجهته عن إرادة من أجل الإصلاح، وإلّا الرّحيل.

. معرفة الاختصاصات:

الاختصاصات هي مجال الامتداد في دائرة المسموح به؛ فعندما يلتزم المسؤول بالحركة داخل مجال الامتداد الموضوعي يعدّ متّزنا ومعتدلا في الحركة الموجبة، وعندما يخرج عن ذلك يقع في دائرة المحاسبة والمساءلة؛ إذ تعدّ أفعاله

سالبة أو منحرفة أو متطرِّفة، ولكي تؤدّى المسؤوليَّة بإرادة في دائرة الإيجابيّة ينبغي أن تتماثل الصلاحيَّات مع الاختصاصات، ومن يعمل بغير اختصاص لا يستغرب إن واجهه قَصَاص شديد في الوقت غير المتوقَّع.

التبيُّن عن وعي:

التبيُّن عن وعي نشاط ذهني فكري للعقل يدلّ على وجود علاقة بين الأنا والموضوع، وبه يتمكَّن الإنسان من المعرفة والدّراية التّامة، كما أنّه يُمكِّن من التمييز والمقارنة وحُسن الاختيار بين الأفعال الموجبة والأخرى السّالبة، ومن لم يُميّز بين هذا وذاك لا يظنّ أنَّ الآخرين لا يميّزون، وعندما يبلغون التمييز الحقّ لن يتأخروا عن الإقدام على الإصلاح وقبول دفع الثّمن الذي لا يُخيفهم في شيء يقبلونه بإرادة حتَّى ولو كان ثمنه فقدان حياة.

بلوغ الإدراك:

الإدراك غاية الشّيء والإحاطة به هو كما هو، فمن بلغ الشّيء أدركه معرفة وحسّا، ومن بلغ ذلك وجب عليه حُسن التصرُّف فيما أدرك، ولا ينسى أنَّ غيره إن أدرك أنَّه أدرك ولم يتدارك الأمر إعمارا وإصلاحا أو تربية وإرشادا وحفظا من الفساد والإفساد، سيجد نفسه بداية ملوما، ووسطا مهملا، وفي النهاية يُحكم عليه بأنّه منحرف يستوجب التقويم بكلّ الوسائل إلى أن يشهد الحقّ أو أن يكون الحقّ شاهدا عليه.

ولهذا فمن يقبل التقييم لفكره وحاله وظرفه يتمكَّن من فهم الحقيقة وتفهَّم ما يحيط به من ملابسات وتأزّمات، وكذلك يتمكّن من التقويم الذي به يتمّ التصحيح وتغيير الأحوال إلى ما هو أفيد وأنفع للجميع دون استثناء لأحدٍ على حساب آخر.

فالتقييم مراجعة دقيقة للحالة والمعطيات التي قد تكون مناسبة لزمنٍ وقد لا تكون ذاتها مناسبة لزمنٍ آخر، ومن يتّقِ الحقّ يتمكّن من معرفة الحلّ ويمكنه الإقدام عليه إرادة، ومن يقبل أن يُقيّمَ ما وصل إليه يتمكّن من بلوغ ما هو أعظم.

وعليه:

الإرادة على المستوى الإنساني ذات علاقة بمراد (مطلبٍ أو هدفٍ أو غايةٍ أو مأمولٍ)، وهي لا تكون إلّا في دائرة الممكن، أمّا إرادة المطلق جلّ جلاله؛ فلا حدود لها؛ كونه خالقها، وهو المهيمن، وأمره لا يكون إلّا نافذًا.

ولأنّ الإرادة على المستوى البشري هي قيد البحث؛ فلا شيء يكون مرضيًا إلّا من خلالها، وبالتالي أيّ تجاوزٍ لها يعد عائقًا أمام نفوذها، ولأنّها كذلك؛ فلا تهيؤ بدونها، ولا استعداد بدونها، ولا تأهّب بدونها، ولا تطرّف بدونها. أي: لا إمكانيّة لممارسة الحرية بدونها.

إذن: الإرادة يمكن أن تكون:

. إرادة مطلقة، وهذه إرادة الله تعالى: {اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ}38، وقال تعالى: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}39.

. إرادة اتباع، وهي المأمور بها من عند الله؛ لتكون في مرضاته طاعة، والقيام بها قياما بفرائض: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}40.

---

[38] البقرة 253.

[39] البقرة 117.

[40] الحشر 7.

. إرادة اختيار، وبها الإنسان قد تميّز تدبّر وتفكّر وتذكّر: {مِنْكُم مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُم مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ}41، وقال: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاس أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}42.

. إرادة دستورية وقانونية، تعطي صلاحيات واختصاصات مقيدة لمن يتولى منصبا مسؤولا في إدارة دولة، أو شركة، أو مؤسّسة وما يشابهها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ}43. هذه الآية الكريمة تستوجب ألا يغفل الإنسان الإرادة عن طاعات ثلاث:

. طاعة الله.

. طاعة الرّسول.

. طاعة أولي الأمر من النَّاس (منكم)، وهم الذين يتمّ اختيارهم أرادة تامّة؛ ليكونوا أولي أمر، فتكون طاعتهم هي طاعة الأمر الذي أقرّه النَّاس، ثمّ انتخبوا أو اختاروا له من يتولى إدارته، فتكون طاعته مرتبطة بالتزامه بالأمر الذي هو من عند النَّاس، أي: من الأمر الذي كلفوه به وكلفوه إليه، ليكون مسؤولا؛ ولهذا فلن تكون له طاعة إذا خرج عن الأمر الذي هو من عند النَّاس.

وهنا وجب التمييز بين أولي الأمر وهم الوالدين أو من يتولى الأمر بعدهما من الإخوة، وأولي الأمر منك وهم الذين يتمّ انتخابهم بإرادة.

وعليه:

. قوِّ إرادتك.

---

41 آل عمران 152.

42 هود 118، 119.

43 النساء 59.

. امتلك إرادتك؛ لتتمكّن من الإقدام.

. امتلك إرادتك؛ تزدد قوّة.

. امتلك إرادتك؛ تتمكّن من الاستيعاب.

. حفّز على ممارسة الحرّية؛ حتى يتمّ التمسّك بالإرادة.

. استثمر الإمكانات المتاحة عن إرادة حتى يقوى رأس المال الاجتماعي.

. استثمر الطّاقات البشرية عن إرادة تمتلك قلوب النَّاس.

ولأنَّ الفرد قوّة، والجماعة أقوى، والمجتمع أكثر قوّة؛ لذا فمن يريد أن يكون قويًّا فعليه:

1 . أن يقوّي الإرادة.

2 . أن يصمّم عن وعي على ما يجب بلا تتردّد.

3 . أن يبادر إرادة وتهيؤا واستعدادًا و تأهّبا للإقدام على إنجاز الفعل.

4 . أن يخطط علميّا؛ فالتخطيط العلمي يبعد عن العشوائية.

5 . أن يتحدّى الصّعاب؛ فتحديها يرسّخ قيمة الإرادة.

6 . أن ينتزع الخوف من نفسه؛ فانتزاعه يحرّر الإرادة.

7 . أن يتفاعل مع الجماعة على كلّ موجب حتى تترسّخ الإرادة.

8 . الإرادة تمكّن من المشاركة متى ما تهيأ واستعدّ وتأهّب النَّاس إليها.

9 . التطلّع مع المتطلعين لكلّ مفيد نافع يفتح آفاق التقدّم أمام الارتقاء الإرادي.

التهيّؤ

التهيّؤ التفات حيوي يجعل الإنسان في حالة يقظة، وصحوة تبحث عن منفذ يتمّ من خلاله تغيير الأحوال إلى ما يمكن أن يكون غاية أو أملًا، واليقظة هي انتباه بعد غفلة، تمكّن من تنفيذ الفعل حتى وإن كان تطرُّفًا.

ولأنّ التهيّؤ هو الخطوة الأولى التي تلفت الإنسان إلى نفسه متى ما غفل أو جهل، فهو متى ما كان يقظة في النفس والعقل دفع إلى إنجاز ما كان هدفًا، وتحقيق ما كان غرضًا، وبلوغ ما كان غاية، والفوز بما هو مأمول في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع، ولكن كلّ هذه لا تتمّ إلّا بعد عُدّة تُعدّ واستعدادٍ يُهيأ، وتأهّبٍ يؤخذ في الحسبان.

ولأنَّ التهيّؤ يقظة بعد غفلة؛ فهو لا يكون إلّا من أجل حاجة تشبع رغبة وتُحفّز على ما يجب من وجهة نظر المتهيئ، مع أنَّ ما يجب من وجهة نظر المتهيئ قد لا يكون هو ما يجب قيمًا وفضائل، كأن يتهيأ الإنسان إلى ارتكب فعل تطرُّفٍ في غير مرضاة الله.

وعليه:

ـ هيئ نفسك لما يجب؛ حتى لا تقودك الشهوة إلى الإقدام على ما لا يجب.

ـ التفت إلى نفسك، واعمل على ما يحقّق لها الطمأنينة.

ـ فكّر؛ حتى يولّد لك عقلك فكرة تخرجك من التأزّم.

ـ فكّر فيما تفكّر فيه حتى تتبيّن.

ـ هيئ نفسك للعمل فهو المنقذ من الحاجة.

ـ هيئ نفسك لمواجهة الصّعب تنجز ما كنت تأمل.

ـ هيئ نفسك لغير المتوقَّع تجد المتوقَّع بين يديك ميسّرًا.

ومن هنا؛ فالتهيّؤ ما هو إلا تجاذب بين المتوافقات والمتباينات في آن واحد، ممّا يجعل المتوافقات في أشدِّ حالات التلازم، والمتباينات في أقصى درجات الافتراق، وما بين التلازم والافتراق تصبح القوى الكامنة في حالة انتباه تجاه المرغوب فيه ممّا يجعل التهيّؤ بإرادة مرحلة متكاملة قبل الاستعداد والتأهُّب لأداء الفعل الذي كان مأمولا.

ولأن التهيّؤ قبلي؛ فهو الذي يسبق صورة الشيء قبل أن يصبح شيئًا مفعولًا، ولو لم يكن الشيء متهيئًا للظّهور ما كان ذلك الشيء ماثلا أمام المشاهدة والملاحظة؛ فالتهيّؤ هو المؤسّس للهيئة التي سيكون الشيء مصوَّرا عليها بالتمام، وكلُّ فعل لا يكون فعلا إلّا بعد أن يتهيأ ذلك الفعل في ذهن الذي سيفعله وعقله، فإذا أراد أحد أن يُظهر مشكلة بين النَّاس لا بدَّ أن يُهيئها للفعل، ومع ذلك لن تكون مشكلة إلّا إذا تهيأ لها فاعل بإرادة مع وافر الاستعداد ثمّ التأهّب لأجل الإقدام على أداء فعلها بسلوك على أرض الواقع، فالإرهاب لو لم تتهيأ معطياته وظروفه وأفعاله في ذهن فاعليه ليكون بين النَّاس مفعولا ما كان له وجود بينهم، وبعد أن وُجِدَ الإرهاب ظاهرة مهيأة لأن تتحقّق بالقوّة أصبح الأثر الإرهابي ذا وطأة على أنفس المرتهبين ممّا جعل أفعالهم تميل إلى التوازن والاعتدال بدلًا من ميلها انحيازًا بغير حقّ.

ولأنَّ التهيّؤ دائمًا يسبق إعداد العُدّة والفعل والسُّلوك والعمل؛ لذا فإنَّ صور المصنوعات لا تتحقّق على أرض الواقع إلّا بعد أن يكون لها هيئة في أذهان المبدعين لها وعقولهم؛ ولهذا، لا يمكن أن يصنع الإنسان شيئًا إلّا بعد أن تتهيأ له صورته متكاملة، فالسّكّين على سبيل المثال: لو لم تتهيأ صورته في عقل من صوَّره بعد تهيّؤ، ما كان السكّين على الصّورة التي هو عليها دليلا شاهدا

بين أيدينا؛ فقد تهيأ في عقل صانعه من حيث كونه صلبًا ومتينًا وحادّ من أحد الطّرفين، أو حادّا من طرفيه، وله مقبض يُمسك به من أجل وظيفة تؤدّى، أو سلوكٍ يمارس، أو فعلٍ يُفعل، وهكذا كلّ مصنوع لا يمكن أن يُصنع إلّا بعد تهيّؤه في ذهن العقل البشري، وكلّ فعل لا يُفعل إلّا بعد تهيّؤه في العقول، ولذلك فإنَّ أفعال الإرهاب لا يمكن أن تسبق تهيّؤه؛ فهي لو لم تكن قد تهيأت من قَبل في العقل البشري ما كانت أفعالا متحقِّقة على أرض الواقع، وهكذا هو حال الفكرة فبعد أن تنضج في عقل المفكّر أو المتدبّر يتمّ من بعدها رسم الخطط المنفّذة ممّا يجعل المتهيئ في حالة انتظار للقيام بالعمل أو أداء الفعل بعد استعداد وتأهُّب لفعله.

ولسائلٍ أن يسأل:

كيف يتهيّأ الإنسان لإظهار الأثر الإرهابي في أنفس الأعداء؟

مع أنَّ الإرهاب لم يكن مادّي الصّورة حيث لا شكل ولا مظهر له سوى الأثر السّلبي الذي يمسّ النّفس الإنسانيّة، فإنَّ أثره لا يكون سائدًا في النّفس البشرية إلّا بعد الإعداد له إعدادا ماديًّا، أي: إعدادًا لِما يُظهِره وليس إعدادًا لإظهاره؛ ولهذا فالإرهاب تُظهره العُدّة المرهبة للنفس المخيفة التي تعتقد أنّه لا مخيف لها، فتتفاجأ بأنَّ هناك من يُرهبها عتادا وعُدّةً وتأهبًا واستعدادًا.

إذن: يتهيّأ الإنسان لإظهار الأثر الإرهابي بالقوّة العقليّة التي بها يستطيع أن يُدرك أنَّ الخوف سيظل سائدًا بين قوي وضعيف إلى أن يمتلك من كان ضعيفا القوّة المرهبة للذين يعتقدون أنّهم يُخيفون ولا يخافون، وبامتلاكه القوّة عُدّة وعتادا واستعدادًا واستيعابا مع وافر التدريب والمهارة يصبح ما وصل الإنسان إليه من قوّة مرهبة قادرًا على إعادة التوازن بين الأنا والآخر دون سيادة للمظالم.

ومن هنا كان أمل البعض اكتساب القوّة القاهرة للإرهاب بغاية استتباب الأمن وإعادة التوازن، وهذا الأمر يستوجب إيقاظ القوّة العقليَّة وتهيئها ولفتها للمخاطر بهدف تجنّبها وتفادي أضرارها.

والتهيّؤ للفعل لا مكان فيه للتردُّد في نفس المتهيئ لأداء الفعل، ولا خوف في نفسه ممّا يجعل الإرادة مولِّد القوّة الدّافعة لتنفيذ الفعل في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع؛ فدائرة الممكن هي دائرة تيسير الفعل أو تعسيره؛ ولذلك فمن يتوقّع أنَّ أداء الفعل أمرُ ميسَّر قد تواجهه صعاب تحول بينه وبين تنفيذه بنجاح، وكذلك إذا كان هناك أحد من البشر يرى أنّ فعلا ما لا يمكن أن يُفعل، ولكن أقدم آخر على فعله بنجاح، يوصف هذا النجاح بأنّه نجاح غير متوقّع فعله، ولكن لو لم يكن ممكنا ما فُعل؛ ولهذا الأفعال في دائرة الممكن قابلة لأن تُفعل ولو تعسَّرت على البعض، ومن هنا تولد الخوارق من الخوارق.

فالتهيّؤ كونه إيقاظًا عقليًّا؛ فهو يسبق القول والفعل والسُّلوك والعمل الذي بدونه لن يكون العمل أو الفعل إلّا وظيفة لا تؤدّى إلا بمقابل ولا تُقدَّر إلّا به، ممّا يجعل للإرادة مكانة تجعل التهيّؤ إيقاظًا هو المحدِث للفعل والمحقِّق للرّضا وإن كان على حساب الآخرين وما يحقّق لهم من طمأنينة، وفي مثل هذه الحالة وإن وُصِفَ الإرهاب من قِبَل الآخرين بما لا يتطابق مع مفهومه كما جاء في الكتاب الحكيم، فيظل هو المحقّق للتفاخر من قبل المقدِمين عليه إرادة.

ولأنّ الإرهاب فعل مقلق فَلِمَ لا يلتفت العقل الإنساني يقظة إلى ما يُمكّن من تفاديه بسلام؟ ولم لا يتهيأ الجميع للسّلام الذي يجمع شمل المتفرقين والمتقاتلين؟

قد يرى البعض أنّ هذا القول لا يزيد على كونه أمنية، ولكن ألا يكون في دائرة المتوقَّع وغير المتوقَّع أنَّ كلّ شيء ممكن؟ فالمعطيات التي جعلت العقل يتهيأ للفعل الإرهابي، ألا تجعله يتهيأ يقظة إلى الحياد عنه أو القضاء عليه؟

إنّ التهيّؤ يقظة يلفت الإنسان إلى أهميَّة خلقه في أحسن تقويم، ومن ثمّ يلفته إلى المحافظة على حسن تقويمه بما يتشرّبه من قيم حميدة وفضائل خيّرة تمكّنه من تقبّل الآخر (هو كما هو)، كما تمكّنه من احترامه وتقديره واعتباره واستيعابه؛ وذلك بهدف غرس الثّقة المتبادلة، وبغاية تغيير الحاضر تجويدا، ومن ثمّ العمل على صناعة المستقبل المأمول.

التهيّؤ للرّفض:

الرَّفض هو ذلك الامتناع مع تحدٍ للمرفوض، وهذا الأمر لا يكون رفضًا إلّا بعد تهيؤ تُنسف فيه جسور التردّد والخوف، والتهيّؤ للرّفض هناك من لا ينظر إليه إلّا من الزّاوية السلبيّة، وهناك من ينظر إليه موجبًا، أمّا نحن فنراه قيمة تستوجب التقدير حتَّى تنال الاعتراف بعد حوار ينبغي ألا تكون نتائجه تقود إلى المواجهة والصّدام والتطرُّف؛ فالرَّفض إن قاد إلى حوار موضوعي لا يؤدّي إلّا إلى التقبُّل الممكِّن من القبول بما هو مشترك وفقًا لحقوق يجب أن تمارس عن إرادة، وواجبات ينبغي أن تؤدّى بحريّة، ومسؤوليّات يجب أن يتمّ حمْلها، وتحمُّل ما يترتّب عليها من أعباء جِسام.

فالتهيّؤ للرّفض هو تهيؤ لاتخاذ قرار مترتّب على ما يمكن الإجابة عليه: (نعم، أو لا)، ومن يرفض قبول الإجابة المترتّبة على ذلك السؤال بشقي الإجابة المتوقَّعة وغير المتوقّعة، يكون قد اتخذ قرارًا مسبقًا بالرَّفض، ممّا يجعل رفضه في غير مكانه الموضوعي؛ ذلك لأنَّ السّؤال موضوعيًّا يفتح فسحة أمام الاختيار لأحدٍ أمرين (نعم، أو لا) دون وجوب تكميم، فإنْ كان قرار التكميم حاضرًا؛ فلا مجال ولا فسحة للإجابة بـ(لا)، حتى وإنْ كانت الشفافيّة والدّيمقراطيَّة هما الحاضرتان؛ فلا يمكن أن يجد التكميم محلا ليحلّ فيه بين الأنا والآخر، وهما على حرّيّة الاختيار بين (نعم ولا).

وهنا تكون دلالة التهيّؤ للرّفض في مواجهة دلالة القبول؛ فالإنسان الحرّ يمتلك الفسحة المستوعبة للرّفض بالتّمام كما هي مستوعبة للقبول، وإلى هذا الحدّ لا مكان للاختلافات، فالاختلافات تظهر عندما يصبح الرَّفض بين موجبٍ وسالبٍ، والقبول كذلك يتطابق معه على التساوي الحرّ.

ومع أنَّ اللغويين قد عرّفوا الرَّفض بأنَّه الترك"44، فإنَّنا لا نتّفق معهم من حيث المفهوم؛ ذلك لأنَّ الرَّفض من حيث المفهوم هو عدم القبول، أمَّا الترك فهو فعل لا يكون إلّا مترتّبًا على قبولٍ سابقٍ، أي: لو لم يكن هناك قبول سابق ما كان من بعده فعل التّرك متحقِّقًا؛ فالترك تخلٍّ عمَّا يحمله القول الصادر من وعيد أو إصرار على الفعل، أو إنَّه تكفير عن الفعل الذي فُعل، أو العمل الذي ارتكب، أو السُّلوك الذي تمّ.

وعليه: عندما يتهيأ الإنسان للرّفض فقد تهيأ لترك ما لم يكن مرغوبًا فيه، وهو المدحور تجنّبًا أو تحرُّزًا أو حذرًا وخوفًا من التعرّض لِمَا لا يحمد عقباه؛ ولذا فالرَّفض لكلِّ ما هو معيب هو قيمة حميدة مرضية للإنسان الذي لا يرى في الحياة إلّا قيمة ترسّخ قيمة الإنسان دون أن تمسّ كرامته بسوء.

والتهيّؤ للرَّفض هو الذي يجعل الرّافض لا يقبل المساومة في الحقّ؛ فهو الذي يأبى الطّاعة لغير الله وما أمر به جلّ جلاله؛ ولهذا فما دون ذلك ليس له بدٌّ إلّا أن يرفضه جملة وتفصيلا دون تردّد ولا جبن.

ولذا؛ فالتهيّؤ للرّفض قد يكون على الإيجابيّة، وقد يكون على السّلبيّة، فإن كان رفضًا للتطرُّف والإفساد في الأرض كان موجبًا، وإن كان رفضًا للحقِّ كان رفضًا سالبًا.

[44] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، ج 3، ص 1078.

ولهذا فالتهيّؤ للرّفض يدل على التهيّؤ للامتناع وعدم القبول، والرّافض الحقّ هو الممتنع عن الإقدام على ما لا يجب، وهو الذي لا يقبل المساومة في الحقّ وإحقاقه، يتمسّك بالفضائل ويحترم القيم ويتّبع أحسنها، أمّا الرّافض للحقِ فهو الرَّافض لما يجب أن يتَّبع ويطاع، وعلى هذه القاعدة المنطقيَّة كان سليمان عليه الصَّلاة والسّلام متهيأ لرفض العرض المقدّم له من ملكة سبأ؛ فرفض: {قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ}[45].

إذن التهيّؤ للرّفض يظهر أسلوب وموقف منطقي عندما يوافق العقل في محاكاة حقائق الأشياء، فلا يمكن أن يكون الرَّفض موقفا لمجرّد المخالفة، ولكنّه في الوقت نفسه هو موقف حقٍّ مخالف للآخر عندما يكون الآخر مخالفا لمنطق العقل.

إنّ التهيّؤ للرّفض بهذا المفهوم يهيئ المتهئ لاتخاذ المواقف التي يعتقد أنّها واجبة الأداء[46].

التهيّؤ للتطرّف:

التطرّف: اتخاذ موقف من قضية ما والابتعاد هناك عن المشاركة فيها، سواء أكان هذا التطرّف وفقًا لتهيؤ سالب أم لتهيؤ موجب؛ فإن كان التهيّؤ بغاية الإيجابيّة كان التطرّف موجبًا، وإن كان التهيّؤ بغاية السّلبية يكون التطرّف سلبيًّا. وخير مثال لأفعال التطرّف هو أوّلها وهو ما جري بين ابني آدم عليه الصّلاة والسّلام اللذين تهيأ كلّ منهما لفعل يخالف الآخر بالتمام؛ فكانت النتيجة أنْ قتل أحدهما الآخر تطرُّفًا بغير حقّ. ووصفنا هذا الفعل بالمتطرّف؛

[45] النمل 36، 37.

[46] عقيل حسين عقيل، الرفض استشعار حريّة، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م، ص 9 . 11.

لأنّه خرج عن قواعد الحوار الذي يؤسّس على دحض الحجّة بالحجّة في المواجهة بين الحقِّ والباطل.

إنَّ التهيّؤ للخروج عن منطق الحوار هو بحدِّ ذاته فكرة متطرّفة تدفع من يعتنقها إلى الابتعاد عن الآخر، وتنأى به عن الـ(نحن) التي يجب أن يكون عليها مع وافر الحقّ والعدل والاتزان، ومن هنا تنشأ فكرة التخلُّص من الآخر في استقصائه وإنهائه؛ رغبة من الأنا في سيادة الفكرة التي تؤمن بها وفق رؤيتها التي تمثّل الأنا المركزيَّة.

فالتهيّؤ للفكر المتطرّف كان ولا يزال سببًا في الكثير من المشاكل والقلاقل والفتن التي تزعزع الصّرح الاجتماعي وتهدم أركان أمنه، وتنزع عنه وحدته المتماسكة، بحيث تجعله يعيش في جو من عدم الاستقرار والاضطراب المستمرّ.

وممّا يجب معرفته أنّ لدى كثير من أفراد المجتمع الإنساني قناعات بأنّ إزالة ظاهرة اجتماعية ستؤدّي حتما إلى إيجاد ظاهرة أخرى قد تكون في دائرة المتوقَّع أكثر تطرُّفًا وقد تكون أكثر تسامحا، وكلّ حسب ما تهيأ له المتهيئون لهذا الفعل أو ذاك. غير أن عامل الزّمن الذي يظهر النتائج هو الكفيل الوحيد في إصدار الحكم والتقييم للظاهرة الجديدة التي تحلّ محلَّ غيرها، في حين أن التغيير الذي يحصل نتيجة استخدام التطرّف سلوكًا والاعتماد على وسائله قد يفضي إلى نتائج إيجابية أو سلبية، وهناك من العنف ما يكون مبرّرًا؛ لتبقى الأحوال على ما هي عليه دون تغيّر أو تغيير.

ومن الأُمور التي تجعل التطرّف يشتدُّ ويتنوّع؛ أن يُرفض الآخر ويغيَّب، وهذا التغييب هو أعظم من مقاومته متطرِّفًا. وهنا يكون المغَيِّبُ أكثر تهيؤا للتطرّف من المغَيَّب إن لم يكن مساويه في التشدُّد.

إنَّ رفض مشاركة الآخر وتغييبه بأسباب التطرّف لا يلغيه من الوجود، ولكن قد يهيئه ليكون على رأس هرم التطرّف بعد أن كان على مستوى من مستوياته دون التشدد؛ ولذا فمن يستهدف الآخرين بالتغييب والإقصاء سيجد نفسه أكثر النَّاس على إثبات وجودهم طرفا من أطراف المعادلة.

ولأنّ الأمر لا يكون إلّا كذلك فينبغي أن يُؤسّس مركز يتوسّط المركزين ويقوم على شعرة تعادل كتفي الميزان دون طلب تنازلات عن حقوق واجبة الممارسة، ممّا يجعل المركز مؤسّسا على الموضوعيَّة لا على التنازلات.

أمّا التنازلات إنْ أحدثت لقاء، فإنّ هذا اللقاء سيكون بعده الافتراق المملوء بالتطرّف نتيجة التنازلات بأسباب الحاجة والظّروف المتغيرة في دائرة الممكن؛ ذلك لأنّ الأنا والآخر قد يتّفقان على تقديم التنازلات تحت إملاءات ظروف معينة، ولأسباب الضّرورة، وبتوفّر معطيات جديدة فيها تتحسَّن الأحوال وتصبح تلك التنازلات في مهبّ الرّيح؛ وذلك بأسباب التهيّؤ للمواجهة التي بلغت القمّة تطرُّفًا، ومازالت قمّة بعد أن تهيّأت لها الظّروف المناسبة لإثبات الذّات بوسائل متطرّفة.

ولذلك؛ فإنَّ تقديم التنازلات بلا تهيؤ يسبقها لا تصمد، وفي هذه الحالة لا يكون تقديم التنازلات إلّا لكسب الوقت والتكتيك حتى يتمّ اغتنام الفرصة في الوقت غير المتوقَّع من الخصوم، ومن جملة ما يعنيه تقديم التنازلات بلا تهيؤ يعني: لا يمكن أن يتمّ تقبّل الغير (هو كما هو). ولأجل الحلّ، ينبغي أن تخضع الحالات للبحث والدراسة لتعرف عللها ومسبباتها ومن هناك يبدأ العلاج أوّلا بأوّل دون تسفيهٍ ولا تقليل شأن مع الاعتراف بأنّ الحقوق ينبغي أن تمارس والواجبات يجب أن تؤدّى والمسؤوليات ينبغي أن تُحمل ويتمّ تحمّل ما يترتّب عليها من أعباء جِسام. ومع ذلك فإن لم يتهيأ الأنا والآخر لتقبّل بعضهما

طرفين على كفّتي الاعتدال فالحلّ قد لا يجد مكانا ليحلّ فيه؛ ولهذا فلا حلّ ومن بعده المعافاة والشفاء إلّا من بعد التهيّؤ الموضوعي.

ومن أجل أنْ لا يكون للتطرّف دائرة يمتدّ فيها أفراد وجماعات ومؤسّسات ودولة ورأس دولة، علينا ألا نستهين بالآخر أو نلغيه أو نغيّبه أو نقصيه من شيء ينبغي أن يكون له أو يكون شريكا فيه، فإنْ حدث ذلك فلا استغراب أن يتهيأ المقصودون بذلك للتطرّف وأن يقدموا على أفعاله عنفا وتشدّدا.

التهيّؤ في المواجهة:

ولأنّ التهيّؤ حيويَّة تتمدّد من السّكون إلى الحركة؛ فهي ستكون حيويَّة ذات أثرٍ موجب أو سالب على المتهيئ ومحيطه الاجتماعي، وستكون في المقابل لها ردّات الفعل بين قبولٍ ورفض.

ولأنَّ لكلِّ فعل ردّة فعل فكما يتمَّ التهيّؤ لأداء الأفعال، فكذلك يتمَّ التهيّؤ يقظة لمواجهتها بأفعالٍ مضادة لها، وكما تُرسم الخطط لتنفيذ الفعل كذلك تُرسم الخطط لمقاومة الفاعلين له، فالذين يتهيّأون لارتكاب أفعال الإرهاب بإرادة في معظم الأحيان يُقْدِمُون على تنفيذها دون تردّد، والذين يقاومون أفعال المرهِبين بإرادة همّ الآخرون يقدمون على مقاومتهم ومقاتلتهم بكل قوّة، أمَّا أولئك الموظفون الذين تُصدر لهم أوامر تنفيذ الإرهاب أو أوامر مقاومته فلن يكونوا فاعلين بقدر ما تكون أيديهم على الزّناد مرتعشة في حالة ما إذا كُتبت الحرب عليهم أو تمّ إعلان المواجهة بين الأنا والآخر؛ ممّا يجعل أفعال المنفِّذين للإرهاب تبوء بالفشل كما تبوء به أفعال المقاومين له.

ولذلك؛ فمن تهيّأ واستعدَّ لفعل وأقدم عليه ليس بالأمر الهين أن يتهيّأ يقظة لِما يُغيِّره عن الاستمرار فيه إلّا إذا فكَّر وتذكَّر وقَبِلَ إرادة أنَّ المعلومة في

دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع لا تُصحّح إلا بالمعلومة الحاملة للحُجَّة، أي: دائمًا عندما يتوافر حُسن النيّة تكون المعلومة الصّائبة وحدها هي القادرة على تصحيح المعلومة الخاطئة وقهرها حجّة، ولكن إذا لم تتوافر النوايا الحسنة فستظل المعلومات دائمًا تحت أثر التزوير الذي به ينتشر الانحراف عن الفضائل الخيرة والقيم الحميدة.

إنّ الوقوف على حقيقة التهيّؤ وتهيُّؤاته التي يقوم عليها يتوقّف على معرفة المصادر المغذّية له، والفَلك الذي يدور فيه، فمدار فلكه يكمن بين العقل والقلب والرّوح والنفس، ومصادر تغذيته هي الأفكار والعواطف والانفعالات والغرائز بصرف النّظر عن سالبها وموجبها؛ ولهذا يجب أن ينتبه الإنسان إلى الآتي:

ـ مراجعة القيم؛ لتثبيت المفيد والمرضي، وتصحيح المشوّه منها.

ـ مراجعة المناهج والمقررات التعليميَّة، وجعلها مواكبة لحركة التغيير والتطوّر، وأن تكون ملبيّة لحاجات المتعلمين إلى المعرفة.

ـ أن تكون المقررات التعليميَّة مستفزّة لعقول المتعلمين حتى تشدّهم إليها وتقودهم إلى ما يجب.

ـ أن تكون عقول المعلّمين مستنيرة بالمعرفة الواعية والمتجدّدة، ومتفهّمة لمراحل النمو وما ينبغي أن ينتبه إليه.

وكلما توافرت الأفكار والحُجج تجاه القضيَّة الخارجيَّة مثار الانتباه والاهتمام، كانت استجابة التهيّؤ للحدث أسرع، وكلما تضاءلت الأفكار أو انعدمت، كانت عملية التهيّؤ متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي يُودّ الوقوف عليه.

فالتهيّؤ لا يكون إلّا بمعطيات خَلقيّة وخُلقيّة، ومزيج من الوعي والمعلومات والأفكار، وما لها من علاقة وطيدة مع العواطف والأحاسيس، فالتهيّؤ في نفس العاقل هو حالة من انعكاس الإدراك على الشّعور الدّاخلي من قضية خارجيَّة، والإنسان يمتلك مزيجا من القوى العقليَّة والجسمانية والرّوحية وهي في آنٍ واحدٍ تُعِدُّ حالته في لحظة التهيّؤ المطلق قبل الاستعداد لأيِّ فعل من خلال تناسق قوى العقل والجسد والرّوح؛ لتكون متهيئة على البدء لأنْ تستعدّ للفعل متى شاءت وأينما شاءت في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقّع.

وتُعد لحظة التهيّؤ يقظة من خلال العلاقة القائمة بين العقل والعواطف؛ إذ إنّ التهيّؤ لدى الإنسان يكمن في المساحة الحرّة بين العقل والعاطفة؛ وذلك عندما تستثار الغريزة بدافع من العاطفة، وهنا يكون الإنسان في وضع التهيّؤ. والذي يحجب التهيّؤ عن الاستعداد وصولا إلى الفعل هي الإرادة التي تتحكّم به لحين اتخاذ القرار؛ ولهذا فلا تهيؤ بلا إرادة، ولا إرادة فاعلة بدون تهيؤ.

والتهيّؤ مع أنّه نفسي وعقلي، فإنّ أصحابه الذين تهيّأوا إلى ما تهيأوا إليه هم في حاجة إلى توجيه وإرشاد من الذين لهم في ميادين المعرفة والتجربة والخبرة باع كبير؛ ولهذا فعلى من يتهيّأ لما يشاء ألا يغفل عن استشارة المؤهلين للمشورة قدوة أو معرفة أو خبرة وتجربة.

وللتهيؤ مصادر منها:

- الفضائل الخيّرة.

- القيم الحميدة.

- المقررات الناجحة.

- الحواضن الاجتماعيَّة الواعية.

ـ وسائل الإعلام المرشّدة.

ـ مراكز البحوث المتقدّمة.

ـ الأندية الرّياضية المتطلّعة.

ـ مراكز التأهيل والتدريب المعدّة تقنية.

ـ المستفزَّات بأنواعها منها ما يثير أفعال التعاون والمشاركة والعطاء، ومنها ما يثير أفعال التطرُّف بأنواعه.

ـ الأفكار المتفتّحة والتي يمكن استمدادها استنارة، ومن ثمّ تُكتسب وتمكّن من ذاكرة العقل؛ إذ إنَّ العقل هو الميزان المعتدل بين سلسلة الأفكار السّالبة والموجبة التي تتأثّر بالحاجات وأساليب إشباعها، كما أنَّ الإرادة هي سلسلة الممكِّنات من اتخاذ القرار الذي به يتمّ الاستعداد والإقدام على تأدية الأفعال المماثلة في السّلب والإيجاب.

إنَّ الأفكار التي تغذي العواطف، وتستفزّ المشاعر، وتُوَجِّه الأحاسيس، هي التي تدفع الإنسان فكريّا ثمّ تدفعه سلوكيًّا ليكون على ما يكون عليه من تهيؤ وإرهاب؛ لذلك فمتهيئات اليقظة كامنة في العواطف بتعدّد الأفكار؛ فعندما يكون العقل في أوج نشاطه يسيطر على عواطفه ويجعلها في حالة اعتدال متوازن فلا تؤثّر سلبيّا عليه، وأمَّا إذا اشتدّت العاطفة فإنَّها تستدعي معظم الأفكار الخاصّة بالحدث بمؤثِّرات خارجيَّة عن طريق الإدراك الذي ينعكس شعورًا داخليّا يؤجّج العاطفة بحيث تصبح أكثر نشاطا من العقل.

فنشاط العواطف يُضعف من نشاط العقل قدرا يناسب قوّة العواطف، وكذلك العقل يُضعف من نشاط العواطف درجة تناسب قوّته ونشاطه كلّما تهيّأ لمواجهتها يقظة من الضمير الذي يُقدِّر الأنا والآخر دون تحيُّز؛ ولذا عندما يُصرف النّظر عن الفكرة المنشِّطة للعاطفة تتلاشى في العقل، وتهدأ العاطفة

فيزول التأثير على الغريزة التي تدفع التهيّؤ للظهور إلى حين ظهور المؤثّر الخارجي مرّة أخرى، أو استدعاء الفكرة من الحافظة عن طريق الذّاكرة.

ولهذا فالتهيّؤ للقول أو الفعل يسبق اتخاذ القرار الذي بدوره الطبيعي لا يُتَّخذ إلّا بإرادة؛ فالتهيّؤ للقول يؤدّي إلى الاستعداد لأن يقال بإرادة، والتهيّؤ للفعل يؤدّي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد تأهّب.

ولسائل أن يسأل:

هل يمكن للإنسان أن يُقدِم على تحقيق مُنجز غير متوقّع دون أن يتهيأ له؟

تحقيق أو إنجاز غير المتوقَّع ليس بالأمر الهين؛ فهو لا يمكن أن يتحقّق هكذا ضربة عشواء، بل يتحقّق بحسن التدبّر الذي لو لم يكن صاحبه متهيّئا له ما كان متحقّقا أو منجزا؛ فغير المتوقَّع لو لم يتهيأ له وتُحدّد له الأهداف وترسم الخطط من أجله ما كان فعلا منجزا بين الأيدي.

فالتهيّؤ قيمة حميدة، يجعل الإنسان على حالة من التطلُّع لما يجب قبل أن يحين وقت وجوبه، وهو يقظة مسبقة بالفعل المتوقَّع قبل وقوعه.

فالتهيّؤ يعكس إدراك الإنسان لِما هو ممكن وفقًا للواقع الذي سيكون عليه؛ ولهذا يكون الإنسان منتظرا الزّمن الذي سيأتي؛ ليقدم على الفعل في أثناء وجوب أدائه وفقًا للخطة المرسومة والمعتمدة دون تأخير، ومن هنا نجد المتحفِّزين والمتدافعين في حالة حركة مع حركة سُنن الحياة، وهم يحقّقون المنجزات جهودًا تبذل.

ولهذا فمصادر التهيّؤ بالنّسبة إلى الإنسان، هي: الأفكار المكتسبة والممكِّنة من ذاكرة العقل؛ إذ إنَّ العقل هو الميزان المعتدل بين سلسلة الأفكار السّالبة والموجبة، التي تتأثّر بالحاجات وأساليب إشباعها، كما أنَّ الإرادة هي

سلسلة الممكِّنات من اتخاذ القرار الذي به يتمّ الاستعداد والإقدام على تأدية الأفعال المماثلة في السّلب والإيجاب.

ومن ثمّ ينبغي للإنسان أن يتهيأ لما يجب، حتى لا تحدث له المفاجئات المؤلمة؛ فتصبح أحواله تتبدّل من حالة المبادرة إلى حالة البحث عن منقذ. وبالتالي ينبغي لإنسان أن يبحث عن أملٍ له يشغله اهتمامًا وتفكيرًا؛ حتى تلد له الفكرة فكرة تلد حلًّا.

مكوِّنات التهيّؤ:

التهيّؤ كونه قيمة عقليَّة ونفسيَّة؛ فهو الممكّن من المعرفة المقصودة، والمحفّز على إحداث النُّقلة إلى ما يمكن أن يؤدّى أو يفعل أو ينجز أو يتمّ الفوز به، ولكن كلّ ذلك لا يتحقّق لو لم تكن للتهيؤ مكونات قابلة للاستفزاز بما هو مشاهد ومجرّد، ومن هذه المكوّنات:

تهيّؤ مادّي عقلي:

مع أنّ العقل هو مصدر التهيّؤ، فإنّه ذاته في حاجة لأن تهيأ، أي: إنّ العقل بطبعه يمكّن من التهيّؤ كما هو حال الكائنات غير العاقلة، ولكن القضايا الكبيرة تستوجب أن يلتفت العقل إلى ملكاته مراجعة وتقييما؛ حتى تستقيم ملكاته لإنتاج الفكرة التي لم تكن من قبل في دائرة العقل متوقّعة، ومن هنا وجب التفكير في غير المتوقَّع مثلما يتمّ التفكير في المتوقَّع؛ فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، خُلق مقوّما على الهيئة والصّورة: {الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ}47، أي: خلقك على المقدرة لأن تفعل ما تشاء مخيَّرًا في مشيئته تعالى، أي: في خَلقك كانت الصّورة التي أنت عليها

47 الانفطار 7، 8.

تمشي سويًّا والتي تستوجب حُسن الخُلق الذي به تنال المكانة والتقدير، والذي به تصنع القدوة عملًا يحتذى به.

إنَّ التهيّؤ المادّي العضوي هو تهيّؤ فطري، والمقصود به ما يتمتّع به الإنسان من أعضاء يستطيع أن يمارس بها أفعالا معيّنة، فنجد هذه الأعضاء مهيأة لذلك قبل مباشرة الفعل كالحواس جميعها؛ فالعين مهيّأة للنّظر والأذن مهيّأة للسّمع، والقدم مهيّأة للمشي، واليد مهيّأة لاستعمالات كثيرة، وكذلك العقل مهيّأ لتقبُّل العلوم والتمييز والاستنتاج والاستنباط والاستقراء والتدبُّر، وباجتماع إحدى ملكات العقل مع إحدى هذه الأعضاء، يتولّد تهيّؤ ثنائي جديد بين الأداة المادّيَّة والجانب الذّهني.

ومع أنّ العقل ليس ذلك المادّي كما هو حال الحواس الأخرى، فإنّه حاسّة، بل هو ملكة الحواس جميعها، فبدونه مفاتيح السّيطرة تُفقد من على كلّ الحواس، فلا القدمين تمشيان كيفما يجب، ولا العينين تبصران كما يجب، ولا السّمع والحركة والسّكون تكون كما هي من غير عقل سليم يضبطها توجيها وسيطرة؛ ولهذا جاء التهيّؤ العقلي خَلقا مميّزا للإنسان الذي خُلق في أحسن صورة؛ أي: إنَّ العقل لم يُخلق على الخُلق، بل الخُلق لا يكون إلّا مكتسبا؛ ومن هنا؛ فمن تهيأ عقلا لأنْ يتعلّم لا شكّ أنّه سيتعلّم، وإذا تهيأ عقلا لأنْ يعمل لا بدَّ وأن يعمل، وهكذا، فالإنسان مهيأ خَلقا ليكون المخلوق الأرقى، ولكن في بعض الأحيان الإنسان ينحدر إلى السُّفليَّة والدّونية طمعًا أو ضعفا وشهوة. ولو فكّر الإنسان في نفسه ولِمَ خلقه الله في أحسن صورة، وشاء له أن يكون خليفة في الأرض لأدرك أنّ رسالة صعبة ستكون عبئًا على ظهره، ولأنّها الرّسالة؛ فهي واجبة الأداء مع حسن التدبّر والتذكّر والتفكّر الذي يمكّن من حُسن المعرفة التي لا يتمّ استيعابها إلّا بالتهيّؤ.

وعليه: فعبر التَّاريخ والمنحنى التكراري للسّلوك والفعل البشري بين هبوط وصعود، فمع أنّ الإنسان خُلق ارتقاء (سويًّا) على صراط مستقيم، فإنّ سلوكه وفعله انحدرا إرادة عمّا خُلق عليه من ارتقاء واستقامة، فالإنسان لم يُخلق على الانحراف والحيوانية، بل هذه قابلة لأنّ تكون جزءًا من سلوكه إذا تهيّأ لها، وهذه لا تكون إلّا لمن تدبّر عقله وتهيئة نفسه، فلا يليق به أن يكون مثل ذلك الذي يمشي مكبّا: {أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سويًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[48]، ومع ذلك، انحدر دونية عمّا خُلق عليه من حسن قوام وتقويم، عندما خالف أمر ربّه الذي نهاه عن الأكل من تلك الشّجرة، ومن هنا، كانت النقطة الصّفرية التي بدأ منها رسم المنحنى التكراري للسّلوك الإنساني وفعله، ولم تكن النقطة الصفرية من دونية إلى علوٍ ورفعة، بل كانت من علوٍ إلى دونية، وهذه أوّل مخالفة (أوّل استثناء) والتي أعقبتها استثناءات وفقًا لما هيّأ الإنسان نفسه إليه دونية وانحدارا، فهو الذي خالف حُسن الخَلق الذي به تميّز عن غيره من تلك الزّواحف ومكبّة الأوجه، ذلك هو أمر الخالق؛ فلا يتبدّل، أمّا المتبدّل فهي الأخلاق التي هي بيد المخلوق، والتي إن تهيأ لها كانت صفة من صفاته الحسان، وإن تهيأ لما هو سفلي فليس له إلّا السُفليَّة والانحدار الذي لا يليق بمن خُلق على حُسن التقويم.

تهيّؤ مادّي نفسي:

التهيّؤ المادّي النفسي مكوّن معقّد بين الصّحوة والغفلة، وبين الحاجة ومشبعاتها، وبين المطلب والاستجابة، وبين المزاج والوعي، وبين المرونة والتصلّب، وبين المتهيئ والمأمول، وبين الصدق والتحايل، وبين الحقّ والواجب، والمشاركة والانطواء. وبين التخطيط والإقدام على العمل.

---

[48] الملك 22.

والتهيّؤ المادّي لا يكون إلّا ملموسًا على أرض الواقع وجودًا، وهو نتاج الفكرة المتبيّنة لأمرها، وما ينبغي أن يفعل من أجل النفس؛ فالنفس متى ما كانت مطمئنّة تحفّزت إلى التدبّر الممكّن من العمل المنتج نفعًا.

ومن ثمّ؛ فإنَّ اشتراك الأعضاء المادّيّة مع الجانب النفسي من انفعالات تدخل في تشكُّلات التهيّؤ، فعلى سبيل المثال: إذا شاهدت أفعى فسوف ينتابك شعور معين لا نستطيع أن نحكم عليه هو كما هو، بل هو على احتمالات منها:

- أن تكون خائفًا؛ فتفكّر في الفرار؛ فأنت في حالة تهيّؤ.
- أن تكون حذرًا؛ فأنت متهيّئٌ لتركها وشأنها.
- أن تكون مرتهبًا؛ فأنت مهيّأ لمواجهتها إمَّا للإمساك بها أو لقتلها.

ومع أنَّها ثلاثة احتمالات فإنَّ الاحتمال الأوّل لم يُعدّ من طبيعة ما يوصف به الثُّعبان؛ فالثّعبان لا يخيف، بل الثُعبان مُرهب، أي: إنَّ العاقل هو الذي يُخيف؛ لأنَّه عاقل قادر على التفكّر والتذكُّر والتحايل، ومع ذلك فهو قابل للحوار والجدل الذي يؤدّي إلى معرفة وإدراك قد يؤدّي إلى مراجعة أو حُسن تصرّف، أمّا الثّعبان فهو غير عاقل وبالتّالي القاعدة تنصّ على أنَّ (العاقل يخيف وغير العاقل يُرهب) أي: إنَّ الصّاروخ والقنبلة النووية وأيّ قنبلة أو سلاح فتّاك، وأيِّ حيوان مفترس أو سام هو مُرهب، أمّا العاقل فمجال التفاوض والتسامح حيّزه واسع، والمواقف تتغيّر وتتبدّل في مُعظم الأحيان من سيئ إلى أحسن إذا أحسن الإنسان تصرّفه وتفكيره.

فما حصل مع الإنسان الأوّل (آدم) الذي خُلق في أحسن تقويم، ولم يُخلق على الكمال، يدلّ على أنَّ الإنسان بين التسيير والتخيير (يصيب ويخطئ)، وبين هذا وذاك يستغفر؛ فيتاب عليه، ومن ثمّ؛ فمخالفة أبينا آدم هي

مخالفة تخييريّة ذات علاقة بالإرادة والرَّغبة والشّهوة، وهذه مكامن العلل والضّعف النّفسي التي تجرّ لما لا ينبغي (للمخالفة) كما تجرّ لما ينبغي (الطّاعة والاتباع)، ولذلك؛ فحسن التقويم لا يتغيّر، أمّا حُسن الأخلاق في دائرة الممكن فيتغيّر بين سُفليَّة وارتقاء، وكلّ حسب ما يهيئ الإنسان إليه إرادة.

وعليه:

- هيئ نفسك علمًا ومعرفة.
- هيئ نفسك بنيّة.
- هيئ نفسك تطلّعًا.
- هيئ نفسك مشاركًا.
- هيئ نفسك متفهّمًا.
- هيئ نفسك مخيّرًا.
- هيئ نفسك مستوعبًا.
- هيئ نفسك منتجًا.

تهيّؤ مادّي نفسي عقلي:

التهيّؤ كونه قيمة يمكن أن يكون بيد الإنسان تجاه نفسه وعقله، ويمكن أن يكون بيد الإنسان تجاه غيره؛ ولهذا كلّما هيأ الإنسان نفسه كلّما استغنى عن تهيئة الغير له، وهذه من موجبات التهيّؤ، ولكن إذا قصر الإنسان عن تهيئة نفسه تجاه الأشياء وتجاه الآخرين فيكون في حاجة لمد يدّ العون لتأخذه بما يمكن أن يهيئه لما يجب.

والتهيّؤ كونه مولود الفكرة والتفكير ومحاولة حُسن التدبّر لا يمكن أن يكون مستقلا بذاته، بل لا يكون على الدّلالة والمعنى إلّا إذا تجسّد في الشيء بعد أن ينضج فكرة تامّة، وهذا النّوع من التهيّؤ أعلى من التهيّؤين السابقين؛ حيث تشترك فيه الأداة المادّيّة والانفعال النّفسي الذي مصدره الشّعور، والجانب العقلي القائم على المعلومات وسلسلة الأفكار ذات العلاقة بموضوع التهيّؤ، فالذين يُخرجون من ديارهم بغير حقّ يتهيّأون ماديًّا ونفسيًّا وعقليًّا للذود عن ديارهم وكرامتهم؛ حتَّى يردُّوا اعتبارهم واعتبار من له علاقة بهم؛ فهم متهيّئون نفسيًّا لردّ الاعتبار، ومتهيّئون ماديّا بتقديم الأنفس والأموال التي بها تخاض الحروب، ومتهيّئون عقليّا برسم الخطط وفنون القتال وما يترتَّب على الحروب من نتائج في النّصر أو الهزيمة؛ ولذا تتداخل معطيات القوّة بين قوى النّفس وقوى المادّة وقوى العقل في صيرورة معرفيّة، تهيّؤ لِما يجب عندما لا يغفل الإنسان عن أهميَّة التحليل الموضوعي للصغيرة قبل الكبيرة، وإن لم يراعِ ذلك يجد نفسه أمام المواجهة التي لا تعرف الاستثناءات.

فالتهيّؤ المادّي والنفسي والعقلي هو حُسن تدبّر يستند على التخطيط ورسم السياسات تجنّبا للغفلة وما تتركه من أثرٍ سالبٍ؛ فبنو آدم عندما لا تكون لهم آمال، لا يعدّون إلّا أمواتا وهم على قيد الحياة، والذين يأملون الارتقاء ولا يعملون من أجله؛ فسيبقون على أملهم وكأنّهم بلا أمل، أمّا البعض الذي يأمل ويعمل ويفعل؛ فلا شكّ أنّه سيُسهم في إحداث النُّقلة ارتقاء، وفي المقابل هناك من يهدم وهو لا يعتقد أنّ الهدم سيقع على رأسه وكأنّه بلا رأس. ولذا؛ فلا ينبغي لنا إغفال أهميَّة التهيّؤ المادي والعقلي والنفسي إن أردنا سلامة ونجاحا وتقدما.

وعليه:

ـ إن تهيأت ينسحب الجُبن من نفسك.

. إن تهيأت تنسحب الغفلة من عقلك.

. إن تهيأت ينسحب الخمول من بدنك.

ومع ذلك لا يمكن أن يكون الارتقاء المتهيأ له ماديًّا ونفسيًّا وعقليًّا على حساب الغير، بل ينبغي أن يلتحم مع جهودهم المتهيئة لجمع الشمل وزيادة الإنتاج، أو ممارسة الحقوق، وأداء الواجبات، وحمْل المسؤوليات.

وعليه: فمن يهيئ نفسه لارتكاب ما يسيء للغير أو أن يأخذ بما نُهي عنه؛ فسيجد نفسه من النّادمين، كما ندم أبونا آدم بعد أن خسر ذلك الارتقاء بمعصية منه، ممّا جعله استغفارا يهيئ نفسه للارتقاء عمّا انحدر فيه من سُفليَّة؛ فغفر الله له وتاب عليه بغاية الارتقاء إلى تلك المقامات العظام التي أصبحت أملا بعد أن كانت حقيقة بين يديه.

ولأنّ بني آدم مهيّأون بين ارتقاء ودونية؛ فهم بينهما بين ما يرسّخ قيمة الإنسان رفعة ونهضة ومكانة، وما يؤدّي إلى التخلّف والفاقة وتقليل الشّأن.

ولذلك؛ فالعمل الصّالح ارتقاء يتهيأ الإنسان له ماديًّا ونفسيًّا وعقليًّا حتى يكون عملًا منتجًا ومتقنًا ومبدعًا ومرسّخًا لقيمة الإنسان، وفي المقابل التهيّؤ للعمل الفاسد والرَّغبة الفاسدة وأعمال التطرُّف، لا تكون إلّا على حساب القيم الحميدة، وعلى حساب مصالح الآخرين، ورغباتهم ومصائرهم وما يشبع حاجاتهم المتطوّرة والمتنوّعة، ومن ثمّ؛ فالعفّة والأمانة والنّزاهة وتحمّل أعباء المسؤوليَّة ارتقاء، ستظل قيما في مواجهة تلك القيم المؤدّية بأصحابها إلى السُّفليَّة والدّونية التي تتمركز على الأنا بأسباب ما يتهيأ له شخصانيًّا.

الارتقاء لا يمكن أن يبلغه بنو آدم إذا تهيأوا ماديّا ونفسيًّا وعقليًّا مع الرَّغبة عدلًا وعملًا وعفوا وصفحا، وكذلك الانحدار لا يمكن أن يبلغوه إذا تهيّأوا للظلم والتشدّد والتطرّف، ولذا؛ في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقَّع؛ فمن شاء

الارتقاء تهيأ له وعمل من أجله ارتقاء، ومن شاء الانحدار تهيأ له وعمل من أجله سُفليَّة49.

فالإنسان عندما يتهيأ للنّهوض ينهض ويرتقي إلى ما يؤدّي به إلى رتق الأرض بالسّماء، وعندما يتهيّأ إلى الانحدار يهوي سُفليَّة في القاع، أي: عندما يرتقي يجد نفسه وكأنّه يحتوي الإنسانيَّة في نفسه، ولكن عندما ينحدر يصبح عقله أشبه بعقل الحيوان: {فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ}50.

أي: عندما ينحدر الإنسان ممّا هو عليه من عقل مدبّر، لا شكّ أنّه يقترب إلى عقل القرد الذي هو في دونية إذا ما قورن بعقل من خلقه الله في أحسن تقويم؛ فمثل أولئك المنحدرين قيما مثل الحيوان الذي لا يتذكّر فيتّعظ، ولا يتدبّر فيخطط، ولا يفكّر فيرتقي إلى ما يجب أن يكون عليه رفعة، ولهذا؛ فلا يليق بالعقل الإنساني أن يتشبّه سلوكه بالعقل القردي، الذي متى ما انحدر إليه الإنسان أصبح لا فرق بينه وبين من هو في دونيّة.

تهيّؤ مادّي نفسي عقلي روحي:

عندما يكون التهيّؤ في الاتجاه الموجب تصبح الرّوح والمادة والعقل والنفس قوّة موحّدة في اتجاه البناء والإعمار والاستخلاف في الأرض، وفي المقابل عندما تفارق النفس العقل، أو أن يفارق العقل النفس فلا إمكانية للتهيؤ تجاه ما يجب، بل حياة الإنسان تصبح في حاجة للعناية والرّعاية؛ ولهذا فالتهيّؤ التّام الموجب هو الذي يمكّن من بناء الأنا الموجبة والذّات المتفاعلة والنفس المطمئنة.

---

49 عقيل حسين عقيل، من معجزات الكون (الخلق ـ النشوء ـ الارتقاء، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016 ص 243.

50 الأعراف 166.

إنّها المعادلة الرّباعيّة التي تهيئ ما يجب أن يهيأ، كما أنّها تهيئ من يمكن أن يتهيأ لفعله أو عمله، إنَّه أقوى مستويات التهيّؤ لدى الإنسان حيث وجود التهيّؤ الرُّوحي القائم على يقينيّات الإيمان الكامنة في القلب، فضلا عن عناصر التهيّؤ الأخرى المادّيَّة والنفسيَّة والعقليَّة، ولأنَّه روحي؛ فمكمنه القلب الذي يدرك اليقينيَّات إذا تطهَّر من الغِل، والحقد والكره والظلم والحسد، وكلِّ ما هو ذميم الخلق.

وعليه:

فالتهيّؤ للارتقاء مؤسّس على الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة، ارتفاعًا عن كلِّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الانحدار والسُّفليَّة، وذلك من أجل بلوغ ما يُمكّن من إحداث النُّقلة الممكّنة من بلوغ الجنّة عيشا رغدًا؛ ومن هنا وجب التهيّؤ للعمل المحقّق للعيش النّعيم الذي فيه الوفرة تغذي الرّوح، وتطمئن النّفس، وتخاطب العقل، وترضي القلب، وتشبع البدن، وتزيد الذّوق رفعة وارتقاء.

إنَّ التهيّؤ مرحلة مخاض، فيه الحيرة تلعب دورًا رئيسًا في إيجاد مخرج منقذ؛ فهي التي تملأ الفكر وتشغله قلقًا إلى أن يستبصر أملا يستوجب عملا وجهدا يُبذل في سبيل بلوغه، وهي المخاض الذي ينذر بولادة ما يسرّ العقل والنّفس، وما يسرّ الغير ارتقاء، ولذلك؛ فالبحوث العلميَّة ارتقاء تسبقها الحيرة المؤدّية إلى ولادة الجديد المحفّز على حيرة جديدة من بعدها حيرات تُمكّن من إضافة ما هو أفيد وأنفع.

معيارية التهيّؤ:

معيارية التهيّؤ تتعلّق بجودته؛ فإن كان تهيؤا بغاية خيّرة كانت معاييره قيمًا وفضائل، وإن كانت على غير ذلك فقد تؤدّي بصاحبها إلى ما يؤلم؛ فالمعايير هي تلك الثوابت التي على ضوئها يتمّ تقييم الأشياء قبولا أو رفضًا،

وهي التي لا تكون أحكامها مزاجية ولا شخصانيَّة، بل هي الأحكام الموضوعيَّة ذات الاعتدال المتوازن حيث لا ميول عن الحقيقة وما يؤدّي إلى إظهارها بين النَّاس بلا انحياز ولا مظالم.

وهي التي تمتدّ على السُلَّم القيمي بين ما يقبله ويستحسنه ويُفضِّله العقل الإنساني، ويَقْدِمُ على فعله، وما ينتهي عنه، ويرفضه ويُحرِّمه ويقاومه، ويُجرِّم أصحابه دون تردّد، إنَّها معادلة بين طرفين (مَنْ يقبل ومَنْ يرفض) وبين هاتين الكفَّتين يسعى الإنسان لأن يكون مركزا للتّوازن والاعتدال الذي لا يؤسّس إلَّا على مُظْهِرات الحقيقة (هي كما هي)؛ فمن يتهيأ لها عن بيّنة يمتدّ إلى ما يمكّن من بلوغ المأمول من ورائها، ومن لم يتمكن عن بيّنة تصبح تهيؤاته مجرد تهيؤات. والتهيّؤات هنا تشير إلى ما يبدو للبعض ولا يبدو للغير، أو ما يبدو للبعض وهو لا يزيد على كونه تهيؤا في حدّ ذاته.

ولهذا فمعيارية التهيّؤ تتّضح من خلال ما يؤدّيه تجاه المستهدف أو المأمول، فإن مكّن التهيّؤ أصحابه من بلوغ الغايات ومن بعدها نيل المأمولات، فإن ذلك لا يكون إلّا نتاج جودة معاييره.

ولأنَّ عقل الإنسان معياري؛ فهو قادر على إجراء المقارنات والوصول إلى نتائج تمكّنه من التمييز بين الحلال والحرام، وتُهيّئه لأن يختار بإرادة، حلالا أم حراما، أو يتَّبع باطلا أم صوابا؛ فالقيم التي تهيّئ الإنسان لأن يقْدِمَ أو يحْجِمَ عن تأدية الأفعال، هي تلك القيم التي تسمح للعقل أن يجري مقارنات، ويصدر أحكاما قد تجعله في المواجهة مع من لا يُقدِّر حقّه في اتخاذ ما يشاؤه من قرارات؛ فيكون الصّدام بين من يؤيّد ومن يعارض، ومن هنا تتولّد الأفكار التي تستدعي تصرّفا متوازنا، أو تصرّفا لا توازن فيه كلّ حسب استنتاجاته ومقاييسه التي اعتمدها لتقييم ذلك المقبول أو المرفوض، الذي تصل فيه الإرادة إلى قرار، إمّا بالسّماح لهذا التهيّؤ بالخروج لوضع الاستعداد، ومن ثمّ مباشرة الفعل، وإمَّا

كبح جماح العاطفة الذي يؤدّي إلى التهدئة وعودة الاتزان ويتمّ العدول عن القرار بسبب الاستنتاج، وبهذا يزول التهيّؤ المتكوّن لدى الأنا أو الآخر لفعل قد أريد به الآتي:

. إنجاز هدف.

. تحقيق غرض.

. بلوغ غاية.

. نيل مأمول.

إذن: التهيّؤ لدى الإنسان يعتمد على سلسلة العلاقات المترابطة بين أشياء مادّيَّة وقضايا عقليَّة وانفعالات عاطفيَّة ومسائل روحيّة، وبتلاقح بعض منها مع بعضها الآخر، يتولّد نوع معين من التهيّؤ المعياري في اتجاه قابل للخروج إلى مرحلة الاستعداد لممارسة الفعل؛ ولذا لا يمكن أن يكون أحاديّ المصدر، ومن خلال تداخل ما يستفزّ العقل والنّفس والرّوح والبدن ينتج التهيّؤ كمستجيب للمستفز أو المقلق أو المحيّر؛ ليبحث عن باعث يشبع حاجة، بواسطة مكوناته الآتية:

. مادّيَّة: حركة وامتدادًا ومشاهدةً.

. عقليَّة: من سلسلة الأفكار الممكِّنة من التفكُّر والتذكُّر والتدبُّر.

. نفسية: من انفعالات العواطف وضغوطات الأحاسيس والمشاعر.

. روحية: من يقينيّات الإيمان.

صور التهيّؤ:

للتهيؤ صورتان رئيستان، هما:

– **التهيّؤ القبلي**: وهو الذي لم يسبق لأحدٍ أن تهيأ به، إنّه تهيّؤ الإبداع، إبداع شيء لم يسبق وجوده، فاكتشف بأسباب الحاجة بعد تَمكُّن، وغوص، وبحث، وتقصٍّ مُعمَّق.

ولأنَّ التهيّؤ دائمًا يسبق العمليات الفكرية؛ فهو المحفّز على إبداع الجديد، ومن هنا يظهر التنافس بين المتنافسين في أخذ السّبق؛ ليكون الإبداع حقّ لمن سبق غيره إبداعا.

إنَّ التهيّؤ القبلي يسبق الصّورة، أي: إنّه المؤسّس لها؛ فالصورة أو الشّكل الذي نحن عليه كان متهيّئا لدى الخالق قبل أن نخلق، وهكذا كلُّ ما خلق كان التهيّؤ سابقا له؛ ولأنَّ الأمر كذلك؛ فكلٌّ متهيّئ بالأمر كن، يكون صورة بإصدار أمر الكينونة التي يكون عليها متهيّئا.

ولأنّ العقل هو مركز التهيّؤ، والتهيّؤ يحفّز على التدبّر، فهنا تظهر العلاقة بين من فكّر حتى تهيأت له صورة المتهيئ مع أنّها مازالت مختفية في الذّهن، كونها لم تر الشّمس بعد، ومن يتهيأ عقله إلى استقبالها هيئة كما ظهرت في ذهن صاحبها وعقله الذي كان له السّبق في كشفها معرفة؛ لينقلها من الهيئة الذّهنية إلى الصّورة والشّكّل المشاهد والملاحظ مع كشف قوانينها العلميَّة والعمليَّة.

فنحن بني آدم خُلقنا لنفكّر حتى نتبيّن؛ فإن تبيّنا فهمنا وعرفنا وارتقت عقولنا لمعرفة المزيد حتى وإن كان مجرّدا، ومع أنّنا لا نخلق، فإنّنا نستطيع أن نصنع من الشيء المخلوق أشياء تُخلق، فمتى ما تهيأت الأشياء في عقولنا إبداعا، أبدعناها شكلا أو صورة؛ ولهذا دائمًا التهيّؤ يسبق الأشياء وجودا، فنحن لا نخلق (لا نصنع) شيئًا إلّا بعد أن تهيّأت صورته لنا قبل أن يكون صورة ماثلة

وظاهرة للعيان. ولهذا فالتهيّؤ سابق على القول والفعل، وبدونه لا يكون القول ولا الفعل، وبذلك محدث التهيّؤ هو محدث الفعل والنُّقلة.

. **التهيّؤ البعدي:** هو ذلك التهيّؤ الذي يلاحق المخلوق مشاهدة ويلاحق المنتج إبداعا، إنّه تهيّؤ استدعائي، أي: إنَّ المعرفة قد سبق تلقّيها، وبالتّالي يمكن أن يتمّ استدعاؤها، فتستدعى سواء أكانت معلومة، أم صورة، أم شكلا من الأشكال التي وجدت الأشياء عليها مختلفة، أي: يُمكن أن تكون الأشياء السَّابقة في الذاكرة؛ فتستدعى بما يجعلها دليلا شاهدا بين النَّاس الذين من حقّهم أن يخضعوها للاختبار والقياس والمنطق الذي يقبلها حجّة إن كانت لها مصادق، وفي المقابل يواجهها بحجج إن كانت على غير مصادق تثبتها سابقة علمية (إضافة جديدة).

ومن هنا؛ فالبحث في مفهوم التهيّؤ لا يُعدّ من علم ما وراء الطبيعة وإن كان يدخل فيه شيء من ذلك، فإنّه بحث في التجريد وإن كانت مرتكزاته واقعية، ومادام تجريديا؛ فإنّه يحتلّ المكانة الوسطى بين الواقعي والميتافيزيقي.

ولذا؛ فإنَّ حدود معرفة التهيّؤ، تتوقّف على مستوى ملكات العقل، وبما أنَّ الملكات العقليَّة متفاوتة من شخص لآخر من حيث القدرات، ومتباينة من حيث الأفكار والمعلومات، التي تعدُّ أساس البحث في مفهوم التهيّؤ؛ لذلك يكون الاختلاف في التصوّرات لدى النّاظرين فيه وفق ما يحمل هذا النّاظر أو ذاك من أفكار تنجلي له تصورات التهيّؤ في نفس المتهيئ، لمن يريد أن يقف على التهيّؤ، وهذا لا يغيّر من نفس التهيّؤ في نفسه شيئًا، بمعنى أنَّ تصورك لحقيقة ما، لا يغيّر من حقيقة هيئتها شيئًا، وإن تغيّر منها ما تغيّر فلا تكون تلك الحقيقة هي الحقيقة.

ففي قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}51، يظهر موسى عليه الصَّلاة والسّلام متهيّئا لتلقي الأمر من ربّه، ومتهيّئا للطريقة التي يتمّ بها كشف الجريمة؛ لذلك كان جوابه: (أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) في حين أن قومه الذين لم يصلوا إلى مرحلة التهيّؤ بهذه الطريقة في إحياء الموتى (قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا) ثمّ بعد ذلك طلبوا توضيحا يبيّن لهم معلومة تؤهلهم للتهيّؤ، قال تعالى: {قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ}52؛ فلمّا لم يصلوا إلى تلك المرحلة استزادوا: {قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا}53؛ فلم يزل يزدهم إلى أن وصلوا إلى حالة التهيّؤ، أمّا تهيّؤ موسى عليه الصَّلاة والسّلام، فهو ثابت على حقيقته، قبل تهيّؤ قومه، وبعد تهيّوئهم.

إنَّ الوقوف على حقيقة التهيّؤ وهيئته التي يقوم عليها، تتوقّف على معرفة المصادر المغذّية له والفلك الذي يدور فيه؛ فمدار فلكه يكمن بين العقل والقلب والرُّوح والنّفس، ومصادر تغذيته هي الأفكار والعواطف والانفعالات والغرائز بصرف النّظر عن سلبها وإيجابها.

ومن ثمّ؛ فكلّما توافرت الأفكار والحجج تجاه القضيَّة الخارجيَّة، كانت استجابة التهيّؤ للحدث أسرع، وإذا تضاءلت الأفكار أو انعدمت، كانت عملية التهيّؤ متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي نقف عليه من خلال قوله تعالى: {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى}54، لقد

---

[51] البقرة 67

[52] البقرة 68

[53] البقرة 69

[54] طه 17-21

كان التهيّؤ من موسى عليه الصّلاة والسّلام للإجابة عن منافع العصا وفوائدها! إلَّا أنَّ تحولها المفاجئ إلى أفعى، دفع عاطفة الخوف للسّيطرة على العقل، عند ذلك تسمح الإرادة بالوصول إلى غريزة الفرار، غير أنَّ قوله تعالى: (خُذْهَا وَلَا تَخَفْ)؛ ولّد تهيّؤا آخر لتحوّل الأفعى إلى عصا مرّة أخرى، فهذه العصا ليست كبقية العصيّ، وإنّما قد هيّأها الله تعالى لموسى عليه الصّلاة والسّلام؛ لإظهار المعجزات من آيات الله تعالى، ومن جانب آخر هو تهيئة لموسى؛ لأنَّ هذه العصا سوف يكون لها شأن كبير بما هي مهيّأة له، ذلك أنَّ الموقف مع سحرة فرعون يحتاج إلى هذا النّوع من التهيّؤ، قال تعالى: {قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى}[55]، لقد كان موسى، مهيّأ للحدث وإن كان لا يعلم ماهيّته قبل حدوثه؛ فعندما خيروه بَيْن أن يبدأ فيلقي عصاه، أو أن يكونوا البادئين، طلب منهم أن يكونوا أوّل من يلقي الحبال والعصي وفي هذا دليل على التهيّؤ لهم، وهو لم يحسّ الخوف من العصي والحبال التي انقلبت إلى ثعابين، ولكن من احتمال أن يتلبس السّحر على النَّاس بالمعجزة؛ فألقى موسى عصاه؛ فإذا بها تنقلب بقدرة الله حيّة كبيرة مخيفة؛ لأنّها مهيّأة لهذا الانقلاب، وهو أيضا مهيّأ لتحوّلات العصا، وليس كالمرّة الأولى(خُذْهَا وَلَا تَخَفْ) وإنّما الآن أصبح لديه تهيّؤ كامل، وابتلعت كلَّ ما أعدّوه؛ فلمّا رأى السّحرة تلك المعجزة بادروا إلى السّجود موقنين بصدق موسى عليه الصّلاة والسّلام، وهذا ما هيأهم الله إليه، وهكذا بالتهيّؤ تحدث الأشياء أو تُصنع.

---

[55] طه 65- 70

ولم تكن العصا مهيّأة لأن تنقلب أفعى فقط، وإنّما كان لها تهيّؤات مختلفة أوجدها بها المهيئ عزَّ وجلَّ حيث قال: {وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}[56]؛ فأيُّ عصا تضرب حجرا حتَّى ينفجر منه اثنتا عشرة عينا لو لم تكن مهيّأة لهذا الأمر؛ ذلك أنَّ قوم موسى أشرفوا على الهلاك من العطش وهم في صحراء سيناء، ولما لم يجدوا ماء وشكوا ذلك إلى موسى، أمرَه الله أن يضرب الحجر بعصاه؛ فانفجر لهم الماء.

وأعظم من هذا هو تهيّؤ هذه العصا لفلق البحر وفرقه حتَّى ينجو بقومه عندما أتبعهم فرعون وجنوده، حيث قال تعالى: {فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمعانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ}[57]، فعندما ضرب البحر بعصاه، انفلق البحر إلى اثني عشر طريقا بعدد طوائف بني إسرائيل، وكان كلّ طريق من هذه الطرق حاجزا من الماء كالجبل العظيم الثابت الذي لا يطغي واحد منها على الآخر؛ فهذا تهيّؤ عصا موسى عليه الصَّلاة والسّلام.

وعليه: التهيّؤ هو مزيج من الوعي والمعلومات والأفكار وأشياء فطرية، وما لها من علاقة وطيدة مع العواطف والأحاسيس؛ فالتهيّؤ في نفس العاقل هو حالة من انعكاس الإدراك على الشّعور الدّاخلي (الوجدان) من قضية خارجيَّة، فالإنسان يمتلك مزيجا من القوى العقليَّة والجسمانية والرّوحية في آنٍ واحدٍ، وهي كذلك في ذات الوقت حالاته في لحظة التهيّؤ المطلق قبل الاستعداد لأيّ فعل،

[56] البقرة 60

[57] الشعراء 61- 63

من خلال التوتّر المتناسق لقوى العقل والجسد والرُّوح معًا، فتكون على هيئة قادرة على بدء الاستعداد متى شاءت وأين شاءت.

كما يكمن التهيّؤ لدى الإنسان في العواطف التي لها صلة وثيقة بالغرائز؛ فالعاطفة هي التي تنشط الغريزة، وتجعل الإنسان في وضع التهيّؤ، أمّا تجاوز التهيّؤ إلى الاستعداد وخروج الاستعداد إلى الفعل فهذا أمر تتحكّم به الإرادة نتيجة الاستنتاج.

ونستطيع إن نحدِّد لحظة التهيّؤ من خلال العلاقة القائمة بين العقل والعواطف؛ إذ إنَّ التهيّؤ لدى الإنسان يكمن في المساحة الحرّة بين العقل والعاطفة، وذلك عندما تستثار الغريزة بدفع من العاطفة، وهنا يكون الإنسان في وضع التهيّؤ، والذي يحجب التهيّؤ عن الاستعداد وصولا إلى الفعل هو الإرادة التي تتحكّم به لحين اتخاذ القرار الذي يسعى به إلى عملية التنفيذ والعمل.

وأمّا مصدر التهيّؤ بالنّسبة إلى العاقل؛ فهو الأفكار المكتسبة المكوّنة للعقل؛ إذ إنّ العقل هو الاتزان في سلسلة الأفكار السّالبة والموجبة، كما أنّ الإرادة هي سلسلة الأفعال المماثلة سلبًا وإيجابًا؛ فالإرادة هي التي تجعل من الإنسان راغبا أو رافضا وبلا ضغوط.

ولذلك فالأفكار هي التي تغذي العواطف، وإذا تكاثرت الأفكار في قضية ما، اشتدّت العاطفة ودفعت الغريزة إلى ممارسة نشاطها، وممارسة نشاط الغريزة بدفع من العاطفة انطلاقًا من الفكرة يؤدّي إلى التهيّؤ من أجل ما يمكن أن يفعل.

لذلك نقول: المتهيّئات كامنة في العواطف بتعدُّد الأفكار؛ فعندما يكون العقل في أوجّ نشاطه يسيطر على عواطفه ويجعلها في حالة سبات بحيث لا

نشعر بوجودها، وأمّا إذا اشتدّت العواطف فإنّها تستدعي معظم أفكار عقلها الخاصّة بالحدث بمؤثّرات خارجيَّة عن طرق الإدراك الذي ينعكس شعورًا داخليّا يؤجّج العاطفة بحيث تصبح أكثر نشاطا من العقل.

فنشاط العواطف يُضعف من نشاط العقل قدرا يناسب قوّة العواطف، وكذلك العقل يُضعف من نشاط العواطف درجة تناسب قوّته ونشاطه، وعند صرف النّظر عن الفكرة المنشِّطة للعاطفة تتلاشى في العقل وتهدأ العاطفة فيزول التأثير على الغريزة التي دفعت التهيّؤ للظّهور إلى حين ظهور المؤثّر الخارجي مرّة أخرى أو استدعاء الفكرة من الحافظة عن طريق الذاكرة.

إنّ السبب في قوّة العقل وسيطرته على عواطفه هو ذوبانها فيه، وذلك عندما يمتصّ قوى تلك العواطف الفكرية، كما أنَّ سيطرة العواطف على العقل وتغلّبها عليه، هو ذوبانه فيها بامتصاصها أغلب أفكاره المقيِّدة للإرادة، ولحظة الصّراع الناتجة عن الأفكار بين العقل من جهة والغريزة بدفع من العاطفة من جهة ثانية إنّما هي لحظة التهيّؤ الذي يواجه حاجز الإرادة التي هي مرحلة بعد التهيّؤ؛ فلا تهيؤ إلَّا بإرادة، ولا إرادة إلَّا بتهيّؤ، ولكن يظلُّ لكلِّ مصطلح خصوصية في المعنى والدّلالة حتَّى وإن اشترك مع غيره أو اتّحد؛ فالإرادة قرار والتهيّؤ تحفُّز للقول أو الفعل الذي بشأنه يتّخذ القرار.

ولتقريب مفاهيم اختلاف التهيّؤ من إنسان لآخر، ومن مجتمع لآخر، نقول: إنَّ هذا الأمر قائم على اختلاف المؤثّرات من القيم والأخلاق والعادات والتقاليد والقوانين الشرعيَّة والوضعيّة، وما ينعكس في النّفس الإنسانيَّة من مؤثّرات البيئة سواء أكانت الطبيعيَّة أم الاجتماعيَّة، بحيث يظهر أثر هذه المؤثّرات على الجوانب النفسيَّة والعقليَّة في تشكل التهيّؤ لدى الأفراد في مجتمع معين، أو التباين بين مجتمعين نتيجة تلك المؤثّرات.

ولتوضيح التباين بين مجتمعين في تشكُّل التهيّؤ نقول مثلا: إنَّ مصطلح الإرهاب غير مفهومه، فما يسوّق اصطلاحًا للإرهاب لا علاقة له في اللغة العربية والدّين الإسلامي من قريب ولا من بعيد بالمفهوم الدلالي للإرهاب، وهنا تكمن مشكلة تستوجب التصحيح والتصويب أو على الأقل التنبيه إليها، ولفت الانتباه حتى لا يؤخذ أحد بذنب أحدٍ.

في اللغة العربيّة والدّين الإسلامي الإرهاب فعل مترتّب على إعداد العدّة المضادّة للعدّة والمتماثلة معها في القوّة، والأخذ به واجب طاعة لأمر الله الذي لا يُقر ظلما.

أمّا لدى أهل الغرب، فإنَّ الإرهاب هو فعل مخيف للآمنين، والقانون يُجرمُ مرتكبيه، وهو ما يرتبط بالفعل المضاد لاستقرار الأمن واحترام حرّيات الآخرين، وهذا الأمر لا يقرّه الدّين الإسلامي؛ حيث لا إكراه في الدّين: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}58.

إذن: المدى بين اللغة العربيّة والدّين الإسلامي، واللغات الغربية مدى جعل الهوة متّسعة دلالة ومعنى؛ ولهذا فالمصطلح الذي يُقرّه أهل الغرب للإرهاب لا علاقة له به، وفي اعتقادنا كلا الطّرفين على حقّ، من حيث إنَّ:

ـ لغة العرب: لا تُقر الإرهاب وفقًا للمصطلح الذي تُقرّه اللغة الغربيّة؛ ولهذا لم يأخذ العرب بمصطلح الإرهاب كما يراه أهل الغرب، وفي مقابل ذلك لم يأخذ أهل الغرب بمصطلح الإرهاب الذي تُقرّه اللغة العربيّة والدّين الإسلامي؛ ولهذا وجب الالتقاء لصوغ المصطلح الحلّ.

---

[58] البقرة 256.

أركان التهيّؤ:

للتهيّؤ أركان وهي:

أوّلًا – مهيّئ: وهو الذي يقوم بتهيئة الأشياء للقيام بما أراد لها أن تقوم به، أو لما أراد أن يفعل هو بها؛ فالله سبحانه وتعالى هو المهيّئ المطلق لكلِّ ما في الكون من مخلوقات من أجل ما أراد أن يكون كما أراد هو؛ فالملائكة مهيّأة لأن تكون على طاعة الله وتقوم بكلّ ما أمرها به من توزيع أرزاق وحفظةٍ وكتبةٍ وحملة عرش وغيرها من الأعمال التي يريدها عزَّ وجلَّ منها، والتي هي من الطبيعة التي هيّئت عليها، وليست مهيّأة للمعاصي وعدم الطّاعة، قال تعالى: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ}59.

– المهَيَّأ: وهو من يقع عليه فعل التهيّؤ من المهيّئ من أجل فعل الفعل، أو الغرض الذي يُراد منه.

– مهيّأ له: وهو الذي حصل من أجله التهيّؤ؛ فالخليفة مهيّأ لأن يصلح الأرض ويعمّرها بعبادة الله وطاعته، واجتناب نواهيه وهكذا، وهي مهيّأة كذلك لأن تستجيب لكلِّ رغباته، وتكون مستقرّا له ومستقرّة كذلك، فلا تثور عليه إلّا عندما يريد منها المهيّئ المطلق ذلك.

– مهيّأ به: وهو ما يتمّ به تهييء الشيء لاستقبال المهيّأ له أو للقيام بالشيء المهيّأ له، ومنه على سبيل المثال:

– المهيّئ المطلق الله تعالى.

– المهيأ بالإضافة (الإنسان).

---

59 الانفطار 10، 11.

– والمهيّأ له هو استخلاف الإنسان في الأرض.

– والمهيّأ به هو ما منحه الله من عقلٍ وقدرةٍ وإرادةٍ وخلقٍ في أحسن تقويم، وهذا يعني بالضّرورة أن يكون الإنسان في أحسن تهيّؤ للمهمّة التي أُنيطت به، مع العلم أنَّ الإنسان مهيّأ لأن يفعل الطّاعات، ومهيّأ أيضًا لأن يفعل المعاصي؛ فكما هو مهيّأ أن يحيي نفسا فهو مهيّأ أيضا لأن يقتل نفسا، ولكن من يقتل النّفس بغير حقّ لا يمكن أن يكون مهيّئا لأن يكون من الخلفاء الذين عناهم الله بقوله: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}[60]، أمَّا الخليفة فهو مهيّأ من الدّاخل بأن يقاوم وسوسة الشيطان وغضب النّفس فلا يقتل النّفس بغير حقّ ويعمل دائمًا على التّسامح دون هوان، والمغفرة دون مذلة، والصفح دون ضعف.

وعليه:

. تهيئ لما يجب والأمل لا يفارقك.

. انزع الخوف من نفسك بالخوف ذاته؛ فالخوف يمكّنك من أخذ الحيطة والحذر ويجنبّك الوقوع فيه.

. ميّز بين الخوف الذي لا يكون إلّا موجبًا، والجبن الذي لا يكون إلّا سالبًا.

. استشعر ما يحقّق لك الرّضا وللغير، فالاستشعار به يهيئك لما يجب تجاهه.

. التهيّؤ صحوة عقليّة؛ فنبّه النَّاس والفت انتباههم إليه عبرة وموعظة لعلّهم يستنهضون ممّا هم فيه من قنوط ويأس إلى ما يبعث الأمل في أنفسهم؛

---

[60] البقرة 30.

ذلك لأنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم: {لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}[61].

. التهيّؤ يقظة من الغفلة المميتة للعقل والنّفس إلى ما يحقّق النقلة ويصنع المستقبل.

. ثق؛ فإنْ تهيأت لأمل وفيه النَّاس يتنافسون، فقد لا تفوز به إن لم تكن متهيّئا لتهيئتهم حتى تتجاوزها إلى الأمل، وكأنّك في الميدان لوحدك.

. الأمل يقظة يلفت الإنسان لنفسه وما يأمل؛ فالتفت لنفسك حتى يتولّد لك من التهيّؤ تهيؤا يمكنك من إضافة الجديد.

. اعمل على يقظة النَّاس لما يجب أن يتوجّهوا إليه تهيؤا وصحوة.

[61] الرعد 11.

الاستعداد Readiness:

الاستعداد دائمًا يسبق تنفيذ الفعل والقيام بالعمل المستهدف به، وهو القائم الرَّئيس لتحقيق النجاح، والتفات لما يجب فيؤخذ على التمام حيطةً وحذرًا، إنَّه قابليّة عقليَّة ونفسيَّة وبدنيَّة للأداء مع وفرة الإمكانات اللازمة للقيام بما يجب، وهو لا يكون إلّا عن إرادة وبعد تهيؤ، إنَّه الهيئة والجاهزيَّة مع وافر التقبّل والرَّغبة تجاه المستَعد من أجله.

والاستعداد مرحلة تأتي بعد إرادة وتهيؤ، وهو تجميع للقوّة الممكِّنة من تنفيذ الفعل مع أخذ الحيطة من الوقوع في الفشل أو الغفلة، ولا يكون إلّا من أجل أهداف يُراد لها أن تتحقّق بما أُسِّست عليه من تهيّؤ وإرادة، إنَّه استمداد للقوّة المعنويَّة والمادّيَّة، مع اختيار الأجود والأفضل لأداء الفعل ومراعاة الظّرف الزّماني والمكاني والتوقيت المناسب.

ولهذا؛ فالاستعداد يكون لأداء الفعل أو الواجب أو قبول الأمر الواقع، أو قبول تحدّيه بالمرّة، وهو المرحلة التي يتمّ فيها إعداد العُدَّة وحصر الإمكانات بعد دراسة وافية وخطة مُحكمة لتنفيذ الفعل، والاستعداد لم يكن العُدَّة ولا الإعداد، بل هو الجهد المبذول تخطيطًا وتجهيزًا من أجل توفير ما يستلزم للتنفيذ أو لخوض معركة قبل أن تشتعل نيرانها وتشبّ؛ ممّا يجعل العُدّة والإعداد جزءًا من الاستعداد وليسا متطابقين معه في الدّلالة والمعنى.

فالعُدّة هي استحضار وسائل القوّة المادّيَّة بأدواتها التي تُمكِّن من أداء الفعل، وهي مجموعة الوسائل التي يستعين بها الإنسان ليتوجّه إلى ما يُمكن أن يحدث في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع؛ ولذا فما يعدّه الإنسان لحوادث

الدّهر من مال وسلاح لمواجهة ما يهدّده يجلب له نفعًا أو يدفع عنه ضررًا يسمى العُدّة.

أمَّا الإعداد؛ فهو الذي يُمكِّن من ممارسة الفعل بنجاح ويمنح المستعدّ الكفاية، وهو تدريب عملي على استخدام ما يمتلكه المستعدّ من عُدَّة تعينه على جلب نفع أو دفع ضرر.

والعلاقة وثيقة بين الاستعداد والفعل، فلا يقدِم على الفعل الناجح إلا المستعدّ بإعدادٍ جيدٍ.

وعلى كلٍّ فالاستعداد يستوجب اجتماع النيّة وتمام القصد في أداء الفعل مع تحمُّل نتائجه سلبًا وإيجابًا، وهذا يجعل (الاستعداد) من الرّسوخ في القلب بمكان، فإذا امتلك المرء أدوات الاستعداد أقدم على فعل يُنجز عنده، وقد يكون غير متوقّع الإنجاز عند غيره؛ فالفشل مفردة منزوعة من قلب من تهيّأ للنجاح بإرادة.

ولهذا؛ فالاستعداد أخذ الحيطة والحذر واستحضار القوّة العقليَّة والفكريَّة والنفسيَّة والمادّيَّة التي تؤدّي إلى الإقدام على تنفيذ الفعل دون تردّد بعد اتخاذ الإرادة قرارها، فالأفراح والأحزان والحرب والسّلام والأعياد والمناسبات كلّها مواقف ومناسبات يتمّ الاستعداد لها باستمداد القوّة المادّيَّة والمعنويَّة التي يستطيع الإنسان من خلالها أن يسيطر على تلك المواقف، ويُسخِّرها وفقًا لإرادته كما يشاء ويرغب أو كما يفضّل ويستحسن.

أنواع الاستعداد:

. استعداد ذهني.

. استعداد بدني.

. استعداد نفسي.

1 . الاستعداد الذهني:

الانتباه لا يكون إلا بعد فطنة واستعداد وإلّا سيجد الإنسان نفسه غافلّا وسارحًا وهو لا يدري عمًّا هو غافل وفيما هو سارح الذّهن، والاستعداد الذهني هو المؤسّس للقناعات التي لا تكون إلّا مع الإرادة أو بها، ولا يتمّ هذا الاستعداد إلّا بالانتباه والفطنة والوعي بمعطيات الأمور في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع؛ ولهذا يحتوي الاستعداد الذّهني على الإلمام الفكري والثقافي وفقًا للمدركات العقليَّة، ممّا جعل العقل البشري يختزن معلومات شتى من العقائد والعلوم والفنون والمهارات والبيئة والحياة العامّة، وكلّ ما له علاقة بحياة الإنسان، وما يتعلّق بهذه الحياة، وبخاصّة أنَّ الجانب الفكري هو عماد الأمور في جميع المسائل التي تصبّ في مصلحة الإنسان أفرادًا وجماعات.

إنَّ القضايا المكوِّنة لمخزون الوعي الجمعي لمجتمع معين إن تمّ تناسيها عند البعض فإنّ البعض ستظل عنده مركَّزة ومتمركزة في الوعي الشخصي على مستوى الأفراد في ذلك المجتمع، وهذا الوعي هو سلسلة من الأفكار، وهذه الأفكار تُسخَّر استعدادًا لما ترغب الإرادة وتفضّل القيام به من عملٍ في مواجهة حدث أو موقف أو ظاهرة أو مجموعة قضايا.

إنّ الاستعداد الذّهني لا يُكتسب لحظة الحاجة إليه، وإنّما هو ذلك الموجّه من قِبل الملكات العقليَّة، ينمو ويتطوّر من التجارب والعلوم والمعارف

والمشاهدات والخبرات والتّاريخ الذي به تترسَّخ الهويّة التي بها تتوحّد الأمّة حتى يصبح كلّ فردٍ فيها وكأنّه أمّة بكاملها.

وهذا ما يُعبَّر عنه بسلسلة الأفكار التي أصبحت خاضعة للإرادة التي تخرجها إلى الاستعداد، بحيث يكون التركيز الذّهني منصبّ على استحضار الأفكار والمعلومات ذات العلاقة في المواقف أو الأحداث التي تخدم الإرادة في قضية ما.

إنّ الاستعداد لأجل حلّ أي قضية هو دائمًا موجود في الفكر الإنساني قبل استدعاء تلك الحلّول، ولكن الذي يستدعيه ويستحضره طلب أو موقف خارجي؛ ولذا لا توجد قضية منطقيَّة غير قابلة للحلّ؛ فالاستعداد لحلّ أيّ قضية أو مواجهتها أو الحصول على الأسباب المؤدّية إلى نتائج إيجابية فيها، متوفّر دائمًا في العقل الإنساني المدرك للحقيقة هي كما هي إن أراد حلا لا ظلم فيه.

ومن هنا؛ فالاستعداد الذّهني، لا يكون إلّا وعيًا بما يجب؛ إذ لا غفلة، وهو يقظة بالمطلب والحاجة مع معرفة القصد من مشبعاتها، وهو الانتباه لما يمكن أن يكون متوقّعا وما يمكن أن يكون مفاجئًا، فحساباته دقيقة وأهدافه واضحة، ومأمولاته نصب الأعين.

2. الاستعداد النفسي:

الاستعداد النفسي لا يكون إلّا بعد طمأنينة بما بذل من جهد في سبيل توفير ما يلزم الرّحلة أو المسيرة التي كان الاستعداد النفسي تجاهها حاضرا. وبالتالي يصبح الخوف منزوعا من النفس بأسباب اتخاذ إجراءات ناجحة تجنّب الوقوع في المحظور أو المخيف.

ومع أنَّ الاستعداد الذهني ضرورة فإنّه لم يكن كلّ شيء في معطيات الاستعداد؛ فالاستعداد النفسي والمعنوي من أكبر الضّرورات والمعطيات قبل الإقدام على الفعل؛ ولهذا الهزائم في الحروب والمواجهات تلحق أوّل من تلحق المنهزمين نفسيًّا ومعنويًّا؛ فمهما توافرت للجيوش من عتاد وعدّة لن يحققوا النصر المنتظر ما لم يكن المقاتلون على درجة عالية من الاستعداد النفسي والمعنوي الذي لا يبلغ أشدّه إلّا عن إرادة ووعي بالمسؤوليّات الجسام الواجب حمْلها إذا اشتدّت شدّة.

ومع أنّ الاستعداد النّفسي غير الاستعداد الذّهني فإنّهما يتداخلان كما تتداخل متغيرات القضيَّة الواحدة التي تؤثِّر متغيراتها على بعضها البعض؛ فالإنسان العاقل هو الذي يتأثّر نفسيًّا سلبًا وإيجابًا، ومن يحسن التفكير يحسن التدبُّر، ومن يحسن التدبُّر يدرك الحقّ ويلتزم بمعطياته، ويدرك الباطل ويخشاه ويجتنبه ويبتعد عنه دون خوف ولا تردّد، بل قد يصاحبه الخوف إن لم يجتنبه ويخشاه، وعنه يبتعد. ولذلك يكون الاستعداد النفسي والمعنوي رافدا مهمّا للاستعداد الذّهني. إنَّه المحفِّز من حيث اجتماع قوى النفس استعدادًا لمواجهة الحدث.

إنَّ هذا الاستعداد لا يمكن أن يكون له صورة في الخارج؛ لأنّه لا يُستمدّ من الأشياء الحسية الواقعية وإنْ كانت مؤثّرة فيه، وليس له صورة في الدّاخل؛ ولهذا فالعقل لا يستطيع أن يرسم له صورة متخيَّلة، علمًا بأنَّنا نستطيع أن نقف على هذا الشعور عندما ينعكس تأثيره على صفات المستعدّ؛ فالغضب والحذر والابتسامة والخجل والتعرُّق والعزم والحزم والهمَّة والخوف، إنّما هي انعكاسات قوى النفس المعنوية على الجانب العضوي استعدادًا للحدث، فهذا الاستعداد إنّما هو صورة مجرَّدة، فالإنسان يُدرك أثر الانفعال من تلك الصّورة على المستعدّ،

وهو يدرك شعورًا لا يستطيع أن يصفه أو يعبِّر عنه إلّا بانعكاسات الانفعال المولِّدة للاستعداد.

ولهذا فالقوى النفسيَّة الكامنة في الإنسان تُستنهض استعدادًا للحدث عن طريق تداعي أفكار معيَّنة في موضوع محدَّد أو مشاهدة بصريّة، ممّا يجعل بعض الغُدد تفرز عصارات مختلفة تجعل الإنسان على غير اتزان ولا توازن.

إنَّ سيلان الدّموع فرحًا أو حزنًا وحسب الموقف ودرجة تأثيره سلبًا أم إيجابًا هو نتاج تأثُّرات النفس الداخليَّة، وإن أثّر ذلك تأثرًا خارجيًّا كما حال احمرار الوجه أو اصفراره عندما يلمَّ بالإنسان خوف أو مرض وكذلك في حالة الخشية والاحتشام، وما تتركه من أثرٍ في اللسان وما يلمَّ به من تلعثم عند الحديث، وارتعاش اليدين عند الحركة والسّكون وغيرها كثير؛ فكلّ هذه الظواهر بأسباب الاستثارة الداخليَّة والفزع لا تتحقّق عند من تهيّأ واستعدّ عن إرادة وقصد وإيمان ووعي بأهميَّة القضيَّة التي لها تهيّأ واستعدَّ بإرادة؛ ولذا فالمرتعشةُ أيديهم والطّامعون والضّعفاء لا يصنعون التَّاريخ ولا يسهمون في صناعته، الواثقون وحدهم هم القادرون على صناعته، وأينما يحلّون تكون لهم الأمجاد؛ فمن يطلب الموت تُكتب له الحياة، ومن يطلب الحياة عليه بقبول المفاجأة في الوقت غير المتوقَّع.

3. **الاستعداد البدني:**

لا شكّ أنّ الإنسان وحدة واحدة (ذهنًا ونفسًا وبدنًا) وما البحث المتجزئ إلّا لتبيان المزيد المعرفي مع فرز المفاهيم وفكّ ما قد يجعل اللبس في عقول البعض؛ ولهذا الاستعداد البدني هو جزء متداخل مع الاستعداد الذّهني والنفسي ولا يكون مكملا لهما، فالاستعداد البدني إعداد لياقة وتمارين تيسر الحركة والسّكون.

ومهما استعدَّ الإنسان معنويًّا (ذهنيًّا ونفسيًّا) لن يحقِّق النّصر المؤزّر إلّا بإضافة الاستعداد البدني وإعداد العُدّة إلى ذلك الاستعداد المعنوي؛ ولذا ينبغي للإنسان ألا يغفل عن أهميَّة المران والتمرّن والتدريب والتأهيل واكتساب الخبرة والتعلّم؛ حتى يكتسب لياقة ومهارة وفنّا بها يتمكّن من خوض المعركة إن كُتبت عليه كرها، أو إنجاز العمل المتميّز إن أراد دخول المنافسة الحرّة، أو القبول بالتحدّي فيما هو مرغوب ومفضّل.

لذلك فالعقل والفكر الذي يسعى لتوافر أدوات الاستعداد المادّيَّة مع تقدير الإنسان قيمة عالية هو الفكر الذي يدفع النَّاس إلى الإنتاج والعمل، دون أن يتركهم يجترُّونَ الكلمات التي لا تسمن ولا تُغني من جوع؛ فالفكر المنتج هو الفكر المبدع الذي من خلاله يتهيّأ الأفراد بإرادة إلى العمل الذي يُحدث النُّقلة من الواقع الذي هم فيه إلى ما هو أفضل وأجود وأعظم؛ ولهذا جاءت الأديان السّماوية عقيدةً وعملًا متلازمين (معنويا وماديا).

وعليه: مهما كانت الأفكار النّظريَّة إن لم تتجسّد في أفعال وسلوكيّات وانعكست في مهارات وخبرات ومران وفنّ وحركة وصورة، فهي لن تُحقّق للإنسان غاياته في الحياة ولا يمكن أن تصنع له مستقبلًا، ولا يمكن لها أن تمكّنه من نيل المأمول.

ولذلك فالاستعداد البدني ضرورة لمن أراد أن يكون مرابطا على ظهور الخيل أو مرابطًا على معدات التقنية الحديثة المتطوِّرة التي تُرهب الأعداء وتواجه عُدَّتهم إن كُتبت المواجهة، وهكذا حال الفرق الرّياضيَّة في الدّول المنافسة؛ فهي إن لم تتمرّن وتتدّرب بأساليب حديثة، لن تنجز ما تأمله أمام من استعد لمواجهتها تحدّيًا. وهذا لا يعني أنّ الاستعداد الرّياضي مقصورٌ على التدريب والتمرينات، بل الاستعداد الرّياضي يجمع وحدة الإنسان (ذهنا ونفسا وبدنا)؛

ذلك لأنّ أيّ وهن في واحدة منها يؤثر في الأخرى؛ فكلها مهمة وكلّها متساوية ولا بدَّ أن يشملها الاستعداد إلى جانب معرفة أساليب المنافسين.

الاستعداد تنوّع:

التنوّع يوفّر الاختيارات من المتعدّد وفقًا للقدرة والحاجة ومتطلباتها ومشبعاتها؛ ولذلك العُدّة المتنوّعة هي التي تُحدث التماثل مع الظّروف والحاجات والقدرات والخبرات، ممّا يجعل الاختيارات متوفرّة حسب الطلب وهذه من محفِّزات المرابطين على المرابطة والمقاتلين على خوض المعارك في حالة ما كُتبت عليهم كرهًا.

الاستعداد كلمة جامعة لا مانعة في بوتقتها تنصهر معطيات القوّة ووسائلها الممكِّنة من التأهُّب ومن بعده تنفيذ الفعل؛ ولذلك فالاستعداد جُهد يُبذل بعد تهيّؤ من أجل حصر وسائل القوّة وتجميعها وتحشيدها ومراجعتها وتقييمها وفقًا لدائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع، فبالاستعداد الذّهني يتمّ الاستقصاء والتفحُّص، وبالقراءة الوافرة يتمّ الوعي، وبالتفكُّر فيما يجب يُتّخذ القرار، وبالتذكُّر لما كان تُستمدّ العبر ويتمّ الاتعاظ، وبالتدبُّر في الأمر قيد الانشغال الذّهني يُصنع المستقبل بعد الإقدام على الفعل المناسب لصناعته.

وبالاستعداد النّفسي تتجلَّى النّفس وتستنير بالحقائق من خلال وضوح الأهداف والأغراض والغايات، حتى يتمّ القبول وتطمئن النفس بما سيترتّب على الموضوع من كسب أو خسارة.

أمَّا الاستعداد البدني فبه يتحقّق التمرُّن على الحركة المناسبة لأداء الفعل عند الإقدام على أدائه، كتمرُّن الرّياضيين على ممارسة التمارين المناسبة لكلِّ رياضة من الرياضات المتعدّدة والمتنوّعة وتمرُّن المجنَّدين لأداء المهام القتالية أو المتطوعين لأدائها، إنّه الاستعداد الذي به تُصقل الشخصيَّة بنية ومظهرًا، وهذا

النّوع من الاستعداد يتشكَّل مع حركات الجّسم وهيئاته؛ ليكون الجّسم متهيّئًا ومستعدًّا للفعل، ومنتظرًا الزّمن المناسب للتنفيذ.

وللاستعداد نماذج وصور متعدّدة ومتنوّعة نأخذ منها على سبيل المثال: استعداد المنحرفين لفعل السّرقة، ولتوضيح ذلك اقتبس قصّة صغيرة من كتابنا: (سيادة البشر) بعنوان: (سُرِقت الليمونة مع أنَّها لازالت في الشّجرة).

قرّرت مجموعة من اللصوص سرقة الليمونة من الشّجرة، كلّ وفق الفرصة التي تُمكّنه من النّجاة بها.

فالأول: قرَّرَ السّرقة ونفَّذَ قراره، وقُبِضَ عليه متلبِّسا في حالة سرقة وجُرِّمَ وفق القانون.

والثاني: قرَّر السّرقة، ولكنَّه لم ينفِّذ قراره، وبالتَّالي لم يُتَّهم بالسّرقة، ولكن بما أنَّه قرَّر سرقة الليمونة وهو عاقل، ألا يُعدُّ بالنّسبة إلى المدركات العقليَّة سارقًا؟

مضمون القصّة هنا تأثّر بالزّمن وحدوث المتغيرات؛ فالسّارق قرَّر السّرقة والوقت كان منتصف النّهار تقريبًا، وفي قراره أنّه سيسرق الليمونة عندما يأتي الليل، وعندما جاء المساء علم بأنَّ السّارق الأوّل قد قُبض عليه في أثناء قيامه بسرقة الليمونة المستهدفة، وبالتّالي الليمونة التي يودّ سرقتها قد سُرِقت، ممّا جعله لا يُنفِّذ قراره؛ إنَّه في هذه الحالة ووفق المدركات العقليَّة مثله مثل السّارق الذي قُبض عليه، مع أنّه لم يُتّهم بالسّرقة؛ لعدم قيامه بها. ولا فرق في هذه الحالة بين السّارق الأوّل والثاني، إلّا أنّ الأوّل قد نفَّذ قراره ولم ينجُ، والثاني لم تُتَحْ له فرصة التنفيذ فنجا من القبض، وقد يعتقد البعض أنّه خالٍ من عيوب السّرقة، ولكن لو لم ينفِّذ الأوّل قراره في ذلك اليوم، يجوز أن يكون الثاني هو السّارق الذي قُبض عليه.

أمّا الثّالث: فهو الذي قرَّر سرقة الليمونة من شجرة الجيران، وفق خطة تتضمّن بدائل استعدادًا لتنفيذ عملية السّرقة:

الخطوة الأولى: يقوم بسرقة الليمونة عندما يكون جيرانه خارج المنزل، وهذه تتطلّب منه مراقبة الجيران عند خروجهم من المنزل.

والبديل الاستعدادي الثاني: إذا لم يخرج الجيران جميعهم من المنزل قرَّر أن يكوِّن علاقة مع الحارس والكلب الذي قد يعيقه في أثناء تنفيذه قرار السّرقة.

والبديل الثالث: أن يقتل الحارس والكلب.

كلّ هذه العمليَّة الحسابيَّة عمليَّة عقليَّة، وغير عفويّة؛ لأنَّها وفق خطة وإصرار؛ فهي الاستعداد لدخول المخاطرة، وبعقل مدبّر، وما التنفيذ إلّا خطوة من خطوات الخطة؛ ولهذا لم تكن المشكلة في فعل السّرقة، بل المشكلة في العقل الذي قرَّر السّرقة، ووضع لها خطّة؛ استعدادًا لفعلها.

وعليه: إن أردنا علاجا لمشكلة السّرقة فينبغي أن يكون المستهدف بالعلاج هو العقل، ولأنَّه العقل فينبغي مراعاة علاجه معلومة بمعلومة وحُجَّة بحجَّة.

والرّابع: قرَّر سرقة الليمونة، لكنَّه تراجع نتيجة خوفه من أن يُقبض عليه لصّا. في هذه الحالة لا يختلف عن سابقيه، إنَّه سارق، ولكن الخوف حال بينه وبين ارتكاب فعل السّرقة.

لم تمنعه الأخلاق، ولا القيم ولا الأعراف، ولا الدّين، بل شيء آخر أنتج الخوف. إنَّه العقل المدبِّر الذي يقرِّر، ويخطّط، ويغيِّر قراراته وخططه وفق المواقف، والظروف، والمتغيّرات.

وعليه: تعدّ الليمونة في كلّ الحالات مسروقة، وسُرِقت من الجميع منذ أن اتخذ كلٌّ منهم قرار سرقتها، وما التنفيذ إلا خطوة لاحقة لذلك.

ومن المهم بعد هذا كلّه الوقوف أمام تساؤلات هي:

- هل يمكن تخطّي الاستعداد في أداء الفعل؟

- وهل ينجح الفعل بدون الاستعداد؟

- وما مؤشر وجود الاستعداد؟

أقول:

لا نجاح إلّا بتهيّؤ وإرادة وإعداد، ولا فشل بالمطلق إلّا بالقفز على مرحلة من هذه المراحلِ، أمَّا الفشل النسبي فهو الذي يقوَّم بتأهّبٍ جديد وإرادة واستعداد جديدين؛ لتكون العودة مؤسّسة على درسٍ مفيد يتمكَّن من خلاله النَّاس من إعادة النظر في نفس الأنا والآخر المقيَّم والمشكوك فيه سواء أكان الآخر موضوعًا أم قضيَّةً أم كان هدفًا بشريًّا أم ماديًّا، ولكلٍّ حسبانه في دائرة الموضوعيَّة والممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع؛ فالذين سرقوا الليمونة سواء عن نيّةٍ أم بفعلٍ هُمْ في حاجة لمن يتولى حالاتهم بالإصلاح معلومة بمعلومة وحُجَّة بحُجَّة، إلى أن يتبيَّنوا الحقّ من الباطل؛ حتى يُرشدوا إلى اتباع ما يجب أن يُتبع، وإن لم يتمّ ذلك فالأمر سيعود على المجتمع في دائرة التأزُّمات والشدائد.

ولذا؛ ينبغي ألَّا يغفل المجتمع عن أهميَّة الإصلاح وفقًا لقاعدتي:

. (المعلومة الصّائبة تصحّح المعلومة الخاطئة وإن كان أصحابها متطرِّفين).

. (الحُجَّة بالحُجَّة تجعل النَّاس في مركزٍ يتّسع والوطن ملكٌ للجميع).

وعندما تؤسّس العلاقات بين الأنا والآخر على هاتين القاعدتين يتمّ التفاهم، ويصبح التفهُّم قيمة رائجة بالتقدير والتقبُّل والاستيعاب دون أنّ يرتهب أحد من أحدٍ.

لذا؛ فالاستعداد عندما يؤسَّس على المعلومة الصّائبة والحُجَّة الوافية يصبح النَّاس متأهّبين لأن يَقدِموا على ما يشاؤون من أجل أن يصنعوا مستقبلًا يجد الجميع فيه أنفسهم مركزًا، أمَّا إذا كان التخطيط للمستقبل من أجل أن يكون النَّاس تُبَّعًا؛ فالانتكاسة لا محالة هي مفسدة لِما تمَّ التخطيط له ويصبح الزّمن كفيلًا بترويض من لم يروّض بعد وإن ولَّد الزّمن مخيفين ومُرهبين متأهّبين لتنفيذ الفعل المتطرّف62.

62 عقيل حسين عقيل، الإرهاب بين قادحيه ومادحيه، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 86 . 99.

إعداد العُدّة

إعداد العدّة هو ارتباط ما يبذل من جهد مع العدّة التي لا يتم توفّرها إلّا به، فالعدّة وسيلة عامّة، ولكن عندما تكون معدّة استعدادًا؛ فهي لا تكون إلّا مصنّفة ومختبرة ومجرّبة تأكّدًا من صلاحيتها ومدى تناسبها مع العمل المستهدف حتى وإن كان تطرُّفًا؛ فالإعداد جهد يبذل بعد تهيئة لأدائه رغبة وإرادة، وهو المهيّأ للمادّة المراد إعدادها وتوفّرها وعرضها منتظمة ومصنّفة وفقًا للنّوع والجنس والجودة والفاعليّة والعطاء المؤثّر إيجابيا على أرض الواقع؛ ولذا فالإعداد للملاءمة المناسبة للمطلب والحاجة من أجل تحقيق الأهداف المرجوّة وبلوغ الغايات المأمولة.

إذن: فإعداد العُدّة، هو ما يُبذل من جهد فكري وعقلي وتدبُّر من أجل العمل على توفير المال والعتاد والوسائل الممكِّنة من أداء الفعل وحصر البشر القادرين على تحمُّل الأعباء وفقًا للقدرة والاستطاعة، ثمّ تدريبهم وتعليمهم وتأهيلهم؛ لاستيعاب العُدّة المتنوّعة والمتجدّدة والمتطوّرة.

فالعُدّة هي تلك الوسائل المتطوّرة عبر الزّمن، التي يُعتمد عليها ماديًّا في إدارة القتال أو الحرب، وهي التي تولّد في أنفُس الأعداء الرّهب، وبها ينال التقدّم وتخاض المعارك ويتحقّق النّصر، وكلّما كانت عالية التقنية وعالية الجودة كانت فعّالة في الميدان، وذات أثرٍ بالغ الأهميَّة في الخصم وفي الإعمار والبناء والإصلاح؛ ولذا فكلّما أُعدت وتمّ إظهارها استعراضا أمام العدو أرهبته وحقّقت الهيبة لمالكيها ومستخدميها، والمرابطين بها على جبهات المواجهة وحدود البلاد.

وهنا فالإعداد ليس التهيئة، بل الإعداد سلوكي فعلي مادّي، أمّا التهيّؤ فليس بمادّي، الإعداد ترتيب متكامل لِما يجب إظهاره أو الإقدام عليه،

فالإعِداد يحتوي على الترتيب والتنظيم والتجهيز، قال تعالى: {فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ}[63].

ولأنَّه إعداد؛ فهو يحتوي على التنظيم، والتدريب، والتمرُّن على استخدامات العُدّة والتمرّس عليها بما يُمكّن المقاتلين في ميادين المعارك القتاليّة من حُسن الأداء، مع النيل من الخصم وإجباره على الاستسلام أو التفاوض الذي يمكِّن كلّ صاحب حقّ من حقّه، ويعيد الحقوق المسلوبة لأصحابها بالقوّة.

إذن: هناك تلازم علائقي بين إعداد العُدّة، وبين التمرّن والتدريب عليها، ومن يغفل عن ذلك، عندما تُكتب الحرب عليه سيفاجأ بأنَّ العُدّة فاقدة للمقدرة على حسم الصّراع؛ فالصّراع والقتال لا تحسمه العُدّة وإن تطوّرت، بل يحسمه من يدير العُدّة بجدارة، وتفوّق يُمكِّن من الفوز، ويُحقِّق النّصر، ويُرهب الأعداء؛ ولذلك فالتمرّن والمراس ضرورة لإدارة المعارك بتفنّن ومهارات عالية.

إنَّ درجة الاستعداد المترتِّبة على الإرادة والتهيّؤ تقوى بقوّتهما وتضعف بضعفهما، فإنْ قويت حقّقت نصرا، وإن ضعفت أدّت إلى هزيمة على المستوى الفردي أو الجماعي، مع أنَّ نتائجها على المستوى الفردي والجماعي قد ترتبط بأمرٍ خاصّ، ولكن على المستوى المجتمعي نتائجها تكون من أجل الجميع وبها تتحقّق الآمال ويُصنع المستقبل المشترك الذي به تصان حدود الوطن وتُرسَّخ الهوية العامّة للأمّة.

ولو أخذنا على سبيل المثال إعداد العدّة إرهابًا: سنجد اختلافا في مفهوم الإرهاب، ممّا يجعل إعداد العدّة من أجله محرّما ومجرّما من قبل بعض الثقافات التي لم تُقدّم مفهوم الإرهاب كما جاء في الدّين الإسلامي، الذي لا

[63] يوسف 70.

يقرّ إرهابًا كما فسّره أهل الغرب، ولتوضيح ذلك أحلل تفسيرًا قوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ}64.

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ) جاءت أمرًا من الله تعالى للعباد؛ ولذا فإنَّ إعداد العُدّة لمواجهة من يشكّل خطرًا على الذين آمنوا غايتها تحقيق السّلام الذي به تطمئن الأنفس، وتصان البلاد وأعراض العباد؛ فقوله: (وَأَعِدُّوا) هي: أمرُ مطلق مع وجوب السّرعة في الأخذ به وتنفيذه؛ ولذلك فالأخذ به طاعة لله تعالى الذي أمر عباده بإعداد العُدَّة التي تُرهب الأعداء الذين يشكّلون خطرًا على حياة النَّاس وممتلكاتهم وعلاقاتهم وفضائلهم الخيّرة وقيمهم الحميدة اجتماعيًّا وإنسانيّا.

وقوله: (مَا اسْتَطَعْتُمْ) أي: يجب أن يُعدّ ما يُمكن أن يُعدُّ من عُدّة وفق الاستطاعة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقَّع؛ ولهذا يجب العمل بكلِّ جهد وبكلِّ الوسائل الممكِّنة من امتلاك القوّة وتوفّرها والتدرُّب عليها والمران من أجل إدارتها؛ حتى تتيسّر استخدامًا إذا ما كُتبت الحرب أو أُوقدت نار الاقتتال.

ومع أنَّ الاستطاعة محدودة فإنَّ ورودها في هذه الآية الكريمة جاء وكأنَّها بلا حدود (مَا اسْتَطَعْتُمْ) أي: إلى النّهاية التي لا تنتهي بعصرٍ من العصور، بل النّهاية التي تتجدّد في كلِّ عصر إلى النّهاية.

وقوله: (مِنْ قُوَّةٍ) مع أنَّ (مِن) بعضيّة فإنَّ ورودها هنا جاء للتنوّع أي: تنوّع القوَّة الواجب تنوّعها وإعدادها لإرهاب العدو؛ ولهذا جاءت الاستطاعة غير محدّدة، وكذلك القوّة غير محدّدة: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) أيَّة قوَّة.

64 الأنفال 60.

وعليه: فإنَّ تنوّع الصّناعات الحربيّة وتطوّرها وتحسين جودتها والتدريب عليها ضرورة لإرهاب الذين يُخِيفون العباد تهديدًا ووعيدًا وظلمًا وعدوانًا بغير حقّ.

إنَّ معظم شعوب العالم الضّعيف تمَّ احتلال أراضيهم وتمَّ تقتيل الملايين منهم وتهجيرهم بغير حقّ، ومع ذلك استشهد أكثرهم في سبيل الحرّية وتحرير الأوطان، فهؤلاء الذين عانوا ويلات العذاب أنفسهم ممتلئة خوفًا ورعبًا من أولئك الذين سبق لهم أن احتلوا بلدانهم وقتّلوا من قتلوا من أجدادهم وآبائهم، وشرَّدوا من شرّدوا من إخوتهم، وهتكوا أعراضهم، وشوهوا ثقافاتهم، ودنسوا معتقداتهم؛ فكيف لهم ألا يعدُّوا العدّة التي تحميهم من تكرار الاحتلال والاقتتال والاستعمار مرّة ثالثة وإلى النّهاية!

لذا فالعالم الإسلامي هو أكثر من دفع الثّمن، ومازال معرّضًا لأن يدفع الثّمن أضعافًا مضاعفة، ولا يمكن أن يقف احتلال الأوطان واستعمار الأمم والشّعوب ما لم تمتلك الأمم والشّعوب أدوات القوّة المتنوّعة والمتطوّرة التي بها تتمكّن من أنْ تُرهب من كان سببًا في تخويفها وتجويعها واحتلال أراضيها.

وقوله: (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) جاءت (رباط الخيل) وكأنَّها لم تكن من ضمن القوّة التي نزلت في قوله: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)، في هذا الأمر نقول:

الله تعالى لم يقل: (ومن الخيل).

بل قال:

(وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ).

ولذا فالخيل في حدِّ ذاتها هي قوّة من مجموع القوى المتعدِّدة التي يحتويها قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ).

أمّا الرّباط؛ فهو الذي به يطوّق من يريد قيده أو محاصرته، ولأنَّ الخيل لوحدها لا تستطيع أداء هذه المهمّة؛ فنسب الأمر لمن يستطيع أن يفعل ذلك، وهم الفرسان الذين يمتطون الخيل وهم معدّون ومستعدّون لخوض المعركة إن كُتبت عليهم كرهًا.

وعليه: (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) هذه كلمات ثلاثة مسبوقة بحرف عطف (و) الذي به مُيّزَ الرّباط عن القوّة، أي: إنَّ الرّباط هو الذي لا يتمّ إلّا بخطة وقرار وتدبّر وكيفيّة مناسبة، بها يتمّ استعراض القوَّة المحمولة على ظهور الفرسان الذين هم مرابطون على ظهور الخيل المرابط بها على الحدود، وهؤلاء الفرسان هم (المعدّون والمدرَّبون والمتأهبون للإقدام متى ما صدر أمر التقدّم إليهم).

وعليه: (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) لا تعني كلّ القوّة، بل تدلّ على القوّة المعدَّة والمستعدّة للاستخدام وهي الأمر الواقع أمام المشاهدة العينيَّة والملاحظة العقليَّة والمعرفيّة التي بها يُدرك ويُميّز ما يُرهِب ممّا لا يُرهِب.

إنَّ إعداد العُدّة المستطاعة يجب ألا يفهم منه بشكل خاطيء أو منحرف دعوة إلى رفع العتب وإبعاد اللوم، كما فُهم الإرهاب من البعض على أنّه الاعتداء لنشر الخوف والرّعب دون النّظر إلى حقيقة مفهوم الإرهاب، فيسوق حجّة أخرى بفهم خاطئ أيضًا، كمن فهم قوله تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}[65] على أنّه دعوة للاستكانة والتواكل، فالله تعالى دعا إلى التوكّل، ولم يدعُ إلى التواكل، وعلى هذا يجب أن يَسَع النفس ما وسع الأنفس الأخرى في بذل أقصى طاقة في إعداد العدّة المستطاعة باستنفاد الجهود والطرق والوسائل والأدوات، ومن هنا يكون إعداد العدّة لمنع العدوان بما تحقّقه العدّة والاستعداد من إرهاب، والذي يأخذ بالأسباب فقد وصل إلى الاستطاعة، فإن لم يستطع أن يعدّ العدّة الكاملة التي توازي الآخر بعد الأخذ بجميع الأسباب،

[65] البقرة 286.

فقد أدرك رفع التكليف بما بذل من جهد دخل ضمن الاستطاعة التي تتكفّلها النفس، وإن كانت هذه العدّة الإرهابيَّة بما يرضي طموح الاستعداد، فهي من أجل دفع العدوان ومنعه، لا من أجل المبادأة والمبادرة بالعدوان.

وعليه أتساءل:

هل العدّة هي التي ترهب أم الإعداد؟

إنّ العدّة تُعدّ من قِبل الإنسان، وإن كانت العدّة والإعداد يجب أن يكونا متلازمين ليصل المجتمع إلى المرحلة الإرهابيَّة، فإنّ العدّة وإن توفّرت فإنّها تبقى في حيّز الموجودات المادّيَّة، ذلك أنّ العدّة مادّيَّة بأيّ شكل كان، فلو كان هناك أكداس من الحديد بشكله المعروف كمادّة أوّليَّة، فإنّها لا تدخل الرّهبة على أحد مهما تعاظمت، كمن يمتلك أموالًا طائلة يلهو بها في صالات القمار، فمن أين تأتي الرّهبة لهذا المال!

ولذا؛ فإنّ إعداد الحديد والمال والمياه والأرض والإنسان، هو الذي يمنحه الجانب الإرهابي؛ وذلك عندما تحوّل المادّة بإعدادها إلى استخداماتها بقرار عقلي نابع عن فكر، ولا نقصد الأسلحة فقط، وإن كانت جزءًا من الصّناعة والزّراعة والتّنمية والخدمات التي لا تصل إلى مقاصدها الإرهابيَّة إلاّ عن طريق التعليم والتدريب والتنظيم والتأهيل؛ ولذا (فأعدّوا) تبدأ من التهيّؤ مرورًا بالإعداد والاستعداد والتأهّب، وكلّ ذلك مرتبط بالإنسان الذي ليس له غنى عن العدّة المحقّقة للغاية، والممكّنة من نيل المأمول أو الفوز به.

وعليه:

لا عيب في إعداد العدَّة، بل العيب في استخدامها تطرُّفًا ظلمًا وعدوانًا، ومع ذلك يا ليت الحياة بين الأمم والشعوب مطمئنة آمنة بلا عدّة، ولكن من حيث الأمر الواقع فهذه لا تزيد عن كونها أمنية، وبخاصّة في عصرنا هذا الذي

أصبح فيه الإرهاب رعبًا، والتطرُّف رعبًا، وفيه أيضًا ازدادت الشكوك والظنون في كلِّ ما من شأنه أن يسخّر لتنفيذ مآرب المتطرفين حتى وإن كان عطرًا فواحًا.

ومع ذلك لا بدَّ من إعداد العُدَّة التي ترهب المتطرَّفين والظّلمة، والتي تمكّن من القضاء على الفكر المتطرّف ومنابعه ووسائله وتكشف أصحابه قبل أن يقدموا على تنفيذ أفعال التطرُّف المرعبة.

ومن ثمَّ؛ فالإعداد دعوة أخلاقيَّة في تحقيق الإنصاف الذي يؤمّن التوازن بين الأفراد أو المجتمعات، ومن ثَمّ يكون الإعداد في هذه الجوانب دافعًا للصّحوة التي تحقّق المفاجأة في دائرة الممكن غير المتوقَّع؛ ولذا فإنّ (أعدّوا) تشمل الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع، ولما كانت العدّة من الأشياء المادّيَّة؛ فنادرًا ما تحقّق المفاجآت؛ لأنّها ضمن مجال الإحصاء والعَدّ، لأنّها أشياء حسيّة ومدركات مادّيَّة يمكن لأيّ أحد أن يقف عليها من خلال المعلومات، سواء أكانت هذه المعلومات عن طريق رصد الاستيراد والتصدير والتنمية والخدمات، أم أنّها معلومات يتمّ الحصول عليها بطرق متعدّدة من أجل ممارسة الحريَّة بأسلوب ديمقراطي مع وافر الشفافيَّة.

وعن طريق هذه المعلومات يمكن إحصاء العدّة المادّيَّة المعدّة من المتطرفين والتعامل معها بأساليب تؤدّي إلى إبطال مفعولها أو منع مفاجأتها، أمّا الجانب الآخر من (أعدّوا) الذي يتّسع مجاله في الجانب العقلي ليشمل الفكر والمهارة والتدريب والتخطيط الذي يخرج عن الحيّز المادّي ويكمن بين العقل والشّعور وردّة الفعل، الأمر الذي يجعله ممكنًا غير متوقّع بما يحقّق من مفاجآت، وهذا الجانب من الصّعب إحصاؤه أو الوقوف على حيثياته الكامنة في الفكر، بحيث لا تظهر نتائجه إلّا بعد تحقيق المفاجأة، وهو أعلى أنواع الإعداد.

ولذا فالإعداد الجيد على المستوى الفكري والنّفسي هو الذي يحقّق مفاجأة العدّة المعدّة، ومن جانب آخر إذا كانت العدّة شموليّة لا تقتصر على السّلاح ورباط الخيل، وأخذت البعد الحقيقي للاستطاعة (ما استطعتم) ليس بمعنى التكليف التواكلي، وإنّما التكليف التوكّلي، فسيدخل في الاستطاعة الخزين الاستراتيجي من الطعام والشّراب والسّلاح ومقوّمات الاستمرار ليس على المواجهة فحسب، وإنَّما الاستمرار على إدامة الزخم في التحكّم بدورة عجلة الحياة ضمن الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع؛ لأنّ الماء والغذاء من أهم مكونات الاستطاعة ويتبع ذلك اللباس والمسكن والخدمات ووسائل الاتصال والمواقع البديلة والتمويه وحفر الخنادق والأنفاق؛ كي يصبح من السّهل تحقيق المفاجأة، وبالتالي التمكّن من تحقيق الأهداف.

فهذا الإعداد مرهب للعدو، ولا يعني الاعتداء عليه بحال من الأحوال، بل يجعله في موضع حدوده التي لا يستطيع معها أن يقوم بالاعتداء أو يمارس العدوان؛ فامتلاك العدّة بالإعداد ومن ضمنها السّلاح والعتاد الحربي توهن المتطرّف قبل أن ينفِّذ اعتداءه، وتدعوه لإعادة حساباته وتكبح جماحه؛ فيكون هذا النّوع من الإرهاب داعيًا إلى السّلم ومانعًا للقتل والتدمير، والدّعوة إلى إعداد العدّة التي وردت إرهابًا للعدو في مواضع كثيرة من الذكر الحكيم، فهي تختصّ بمنع حدوث العدوان، وهي ضرورة تقتضيها الحياة؛ لاختلاف الأديان والقيم والأعراف والمعتقدات، وكذلك اختلاف البيئة والجغرافيا والموارد الطبيعيَّة والتفاوت بين الغنى والفقر، ونقص الحاجات والسّعي إلى إشباعها، كلّ ذلك يؤدّي إلى نشوء صراعات تدفع بعض المقتدرين إلى مباشرة العدوان ليستولوا على ما ليس لهم به حقّ؛ ولهذا يجب ألا يختلف اثنان على مشروعية العدّة والإعداد رهبةً لا عدوانًا؛ فذلك هو موضع اتفاق لجميع البشر؛ فمن حقّ كلّ

شعب أن يمتلك القوّة ليدفع عن نفسه الخطر إن هو تعرّض للخطر أو التهديد؛ ولذلك فالدّفاع عن النّفس يقتضي إعداد العدّة.

وهنا يتّضح الإرهاب بمفهومه الرّدعي، وأنّه لا علاقة له بالعدوان إلّا من خلال منع وقوعه.

أمَّا تفسير ما يحصل الآن في العالم من تفجير وترويع للآمنين وسفك للدّماء باسم الإسلام أو ما يُرمى به ومن ثمّ وصفه بالإرهاب، فهو تصرُّف إمّا صادر عن إنسان أساء فهم الإسلام ونصوصه ممّا ينبئ عن وجهة نظر قاصرة وفكر ضحل، وإمّا أنّه يكون نتاجًا لفكر يتستَّر بالإسلام، وإمّا بدفع من جهات لها مصلحة في هذه الأعمال والتصرّفات؛ ولذا وجب التمييز بين المنهج وأخطاء المنتسبين إليه، وبين المنهج والممارسات التي تقع باسمه، فهذا ليس من الإعداد في شيء.

وعليه: فإنّ إعداد العُدّة لا يكون إلّا لإرهاب العدو، ومنعه من العدوان، ويشمل ذلك استثمار الأرض وزراعتها وتقديم الخدمات والنّهوض بالصّناعة، لا أن تمدّ الأيدي للآخرين وإن كان استيرادا بمقابل سابق الدّفع، ليأكلوا من إنتاجهم ويلبسوا من مصانعهم، ويتطفّلوا على موائدهم، على الرّغم من وجود القوّة المادّيَّة، والأرض المهيأة والعقل المستقبل للفكرة التي تتبنى الإعداد وتنهض به، بحيث تُمكِّن الأفراد من أن يكونوا قادة بدلًا من كونهم عالة، وأن يكونوا صنّاعًا للحضارة وليسوا قرّاءً عنها، وما دام الأمر كان ممكنا لغيرك، فبالضرورة لن يكون مستحيلًا عليك، ذلك أنّ الذين يرون استحالة اللحاق بقافلة الحضارة، لحجم المشقة وبُعد المسافة وعمق الفجوة، قد تركوا إعداد العدّة وغفلوا عن أهميتها لصون السَّلام، وتحقيق الحياة الآمنة.

إعداد العُدّة بين خائف ومخيف:

المخيف هو الذي يمتلك مقاليد القوَّة وأدواتها، والخائف هو الذي يَفتقد مقاليد القوَّة وأدواتها؛ فالذي يمتلك أدوات القوّة المتنوّعة والمتطوّرة ويجتهد في تطويرها إضافة وتنوّعًا سيظل دائمًا مخيفًا لمن لم يمتلكها أو من لم يواكب حركة تطوّرها، والذي لم يسع لذلك سيظل خائفًا حتى يبلغ امتلاكها ويواكب حركة تطويرها وتطوُّرها.

ولسائلٍ أن يسأل:

كيف لإعداد العُدَّة أن يُرهب المخيفين، ويقضي على الخوف؟

نقول:

بما أنَّ المخِيف هو من سبق بإعداد العُدّة المخيفة استخدامًا؛ فهو بدون شكّ هو من غرس الخوف في نفوس من لم يعدّوها، ودفعوا الثّمن غاليًا بأسباب عدم تملُّكها؛ لذا فإنَّ الخائف بأسباب ضعفه عندما يمتلك مُعدّات القوّة ويستعدَّ بها ويتأهب، يتحرّر من الخوف، ويصبح مرهبًا لمن كان مخيفًا له، وإذا ما تحقّق ذلك، تصبح نفسه مطمئنة آمنة حيث لا مكان للخوف فيها بعد إعداد العُدّة، وامتلاك القوّة الماديّة والمعنويَّة، والتمرّن على إدارتها متى ما وجب ذلك دون مظالم.

إذن: بإعداد العدّة المتكافئة مع الذي كان متفرّدًا بامتلاكها تتعادل كفتا الميزان، ويُلغى من القاموس الحربي الخوف الذي فيه غالب ومغلوب على أمره، ليحلَّ محلّه الإرهاب الذي لا عدوان فيه ولا مظالم، بل هو مجرّد إعداد عدّة في مقابل عُدّة كانت لوحدها السَّائدة في الميدان.

وعليه: يصبح المخيف لا يُخيف، ويصبح الخائفُ غير خائفٍ، ممّا يجعل كلّا منهما قادرًا على تقديم التنازلات تجاه الآخر بلا خوف؛ ذلك بما للعدّة من قوّة مُرهبة تؤدّي إلى تحقيق الآتي:

. نيل الاعتراف:

بعد أن يمتلك الضّعيف مقاليد القوّة وأدواتها يصبح نائلًا للاعتراف من قِبل الذي لم يكن من قَبل معترفًا به وبحقوقه وحريّته وحدود وطنه ودينه.

. نيل التقدير:

بعد أن كان الضّعيف غير مقدَّرٍ بأسباب ضعفه، أصبح مقدَّرًا بما يمتلكه من قوّة مُرهبة للذي لم يكن مقدِّرًا له، وأصبح يُحسب للعدّة التي تمَّ إعدادها من قِبله ألف حساب، فعلى سبيل المثال: بعدما امتلكت الهند السّلاح النّووي أصبحت باكستان خائفة ومرتعبة ممّا تمتلكه الجارة من أسلحة الدّمار الشّامل، وبعد أن عملت الباكستان ما استطاعت إلى أن استطاعت أن تمتلك هي الأخرى أسلحة نوويّة زاحت عن نفسها غمّة الخوف وتحرّرت منه، وأصبحت الهند مرتهبة ممّا امتلكته الجارة اللّدود من أسلحة الدّمار، وهنا أصبح إعداد العدّة وكأنَّه كلمة (قفّ) عندما تكون نافذة الفعل والتحقّق، قف عند حدِّك وإلّا ستكون الخسارة على الجميع متساوية على كفتي الميزان العدل؛ ولهذا لن تعتدي الهند على باكستان بما هو مخيف، ولن تعتدي باكستان على الهند بما هو مخيف، ويقف كلٌّ منهما عند الحدود مرتهبًا ممّا أعدّه الآخر من عُدّة دون مخافة منه، وتصبح اللغة السَّائدة بينهما: (ما تمتلكه نمتلكه) و(إن فعلتها سنفعل ما هو أعظم)؛ ولهذا (قف عند حدّك وقدّر الظّرف كما أنا واقف عنده ومقدِّر له، وإلّا..).

. نيل الاعتبار:

من يتبوأ مكانة رفيعة بما يمتلكه، ويعدّه من عُدّة (قوّة) ينل الاعتبار من قِبل الآخرين حتى وإن لم يكونوا من قَبل معتبرين له؛ ولذا فمن يعدّ نفسه بامتلاك مقاليد القوّة ينل الاعتبار من الآخرين، ومن لم يعدّ بذلك لا يعبأ على نيله.

. نيل الاحترام:

إنَّ الذي كان فاقدًا لمقاليد القوّة وأدواتها وإعداد العُدّة، وكان عصامي النضال حتى أصبح قويًّا، بدون شكّ سينال الاحترام.

وعليه: إعداد العدّة عمل إصلاحي كما تُصلح الأرض بعد إعدادها للزّراعة، وكما تُهيأ الأشياء إلى أشياء أعظم حتى تصبح صالحة لِما يجب أن تكون عليه، والإعداد تجهيز مادّي بما يجب وفقًا للإمكانات المتاحة والتي يجب أن تتاح وفقًا لدائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع.

وعليه: يترتّب على إعداد العدّة أمران:

الأمر الأوَّل: تخلّص الخائف من الخوف.

الأمر الثّاني: إحساس المخيف بالإرهاب.

ويترتّب على هذين الأمرين أمور منها:

. الاعتراف بالآخر.

. المصالحة مع الآخر.

. التفاوض مع الآخر.

. أخذ الحيطة والحذر من الآخر.

. التفاهم مع الآخر.

. التسامح مع الآخر.

التأهّبُ

التأهّب لا يكون إلّا بعد تهيّؤ، وإرادة، واستعداد، وهو مرحلة متقدّمة من أجل تنفيذ الفعل والإقدام عليه في الوقت المناسب، وهو السّاكن في كمون الحركة الظّاهرة للامتداد.

والتأهّب فطنة، هو: حسابات عقليَّة وبصريّة مع شدّة الملاحظة والتربّص بأيّ حركة، أو محاولة للتمدّد في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع من قِبل من أعدت له العدّة وتمّ التأهّب له مواجهة، فلتأهّب فطنة أمل يدفع إلى إنجاز ما يترك أثرًا يُمكِن قياسه، مع قبول دفع الثّمن من قبل المتأهّب كونه عن وعي يدرك ما تأهّب من أجله.

فالتأهُّب فطنة، ووعي، وإلمام بما يجب في الوقت الذي يجب أن يكون فيه، والمكان المخصّص له، مع مراعاة الظرف الموضوعي من أجل سلامة التنفيذ، وسلامة المنفّذ.

للتأهُّب مفهوم لفظي علائقي مكوّن من المجموع القيمي لكلٍّ من:

. الانتباه، لِما يجب.

. الدراية، كيف يجب.

. اليقظة، حول ما يجب.

. الفطنة، لأخذ ما يجب.

. التحفُّز، تجاه ما يجب.

. الإصرار، عزم على ما يجب.

ـ الرَّغبة، في ما يجب.

ـ الحِرص، على سلامة ما يجب.

ـ الوعي، بما يجب.

ـ التيقُّن، تمسّك بما يجب.

يُعدّ التأهُّب مرحلة ما قَبل الفعل (أيّ فعل)، وهو مرحلة ما بعد الاستعداد المؤسّس على التهيّؤ والإرادة، فالمتأهّب هو من بيده القرار والأمر لتنفيذ الفعل بكلِّ حرصٍ في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع، فعلى سبيل المثال: عندما تستوجب المواجهة مع الخصوم يصبح التأهّب هو الذي يستوجب مرابطةً تستدعي أن يضع المرابط إصْبَعه على الزّناد قبل أن تشتعل نار الحرب والاقتتال؛ وذلك بهدف ألا تشتعل؛ لأنَّ المتأهّب حريص على ألا يكون سببًا في إشعال نار الحرب بغير حقّ.

قال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ}[66]، تحرّض هذه الآية على التأهّب وفقًا للاستطاعة؛ ولهذا جاء قوله: (ومن رباط الخيل) أي: ما تستطيعوا أن تعدّوه من رباط الخيل فأعدُّوه، ولا ينبغي أن تستكثروا عدّتكم من رباط الخيل مهما كثرت، فبما أنَّكم تستطيعون إعداد أعدادٍ أكثر أعدّوا دون تردّد؛ وذلك لأجل تحقيق الهدف من إعداد العُدّة وهو إرهاب الأعداء المخيفين لكم عُدّة وتهديدًا ووعيدًا، تصريحًا وتلميحًا.

وعليه: فالرِّباط هو الملازمة والمداومة التي بها يلازم الفارس وسيلته ويداوم عليها متأهبًا لخوض المعركة إن كُتبت عليه، سواء أكانت الوسيلة خيلًا أم أنَّها آلات حديثة ومتطوّرة؛ ولذا فبالمرابطة تطوّق الحدود والحصون والقلاع

[66] الأنفال 60.

والمعسكرات وتهدّد بالاعتداء إن ظهر اعتداء منها، وإذا ما تمَّ التفاهم والتفهُّم بين الأنا والآخر تحقّق الأمن والسّلام وساد السّلام بين النَّاس أقارب على الحدود، وأباعد من وراء البحار والمحيطات.

أمّا قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا}67 آية كريمة تدلُّ على أهميَّة قبول المعاناة في سبيل تحقيق السّلام بين النَّاس؛ ولذلك أمر الله عباده بالصبر والمصابرة، أي: اصبروا على ما أنتم عليه حتَّى تعدّوا العدّة، وصابروا من أجل تحقيق فضائل خيّرة، ثمّ بعد ذلك تأهبوا بالمرابطة التي تُرهب أعداءكم.

فقوله: (وَرَابِطُوا) أي: تواجدوا متأهِّبين مرابطين بعزمٍ وحرصٍ على صون الحدود وأمن البلاد أرضًا وشعبًا من الذين يهدّدون ويتوعَّدون ويشكِّلون خطرًا عليكم في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع؛ ولذا لا ينبغي لكم أن تغفلوا عن تأهّبكم، واعملوا على إظهار قوّتكم متأهِّبين أمام مشاهدة عدوّكم وملاحظته لقواتكم التي أعددتموها لإرهابه لا للاعتداء عليه، مصداقًا لقوله تعالى: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}68.

الاعتداء بدون شكٍّ هو ظلم في غير طاعة الله الذي نهى عن الاعتداء على النَّاس بقوله: (وَلَا تَعْتَدُوا)، ولكن إن اعتدي عليكم فعليكم بالاعتداء على من اعتدى عليكم، وليكن اعتداء مماثلًا لِمَا اعتُدى به عليكم: {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ}69. سواءً أكان الاعتداء من فردٍ أم جماعة أم دولة.

---

67 آل عمران 200.

68 البقرة 190.

69 البقرة 194.

ولذا فإنَّ إظهار القوّة والمتأهِّبين بها على ظهور الخيل، أو الدبابات، والطائرات، والعربات والمعدَّات المتطوّرة ضرورة استعراضيّة أمام مشاهدات الأعداء والأصدقاء وملاحظاتهم؛ وذلك لأجل أن يُرهَب بها الأعداء؛ فيحسبوا حِساباتهم إن فكّروا في الاعتداءِ ظلمًا، وفي مقابل ذلك لأجل أن تطمئنَّ قلوب الذين أمنوا من الأصدقاء فتزداد إيمانًا مع إيمانهم.

وعليه: فإنَّ إعداد العدّة مع وافر الاستعداد والتأهّب استعراضًا بمقاليد القوّة يُرهب بدون شكّ كُلَّ من تسوّل له نفسه أن يعتدي ظلمًا.

إذن: (رابطوا) تحتوي في مضمونها ومفهومها ضرورة استمرار التأهُّب دون انفكاك عن المرابطة حتَّى ينتهي من أذهانكم كلّ ما يخيفكم من أعدائكم، ومن هنا ينبغي أن يكون التأهُّب على مستوى الدولة ومستوى العالم لأمرين:

الأمر الأوَّل: التأهب لإرهاب من تسوّل له نفسه اعتداءً على الأرض والعِرض.

الأمر الثاني: التأهَّب مواجهة الأعمال المتطرفة والمتطرّفين سواء أكانوا ذئابًا منفردة أم جماعات، وهذا الأمر يتطلَّب تعاون دولي به يتم التمكّن من تبادل المعلومات الميسرة لمقاومة أفعالهم والقضاء عليهم، وفي المقابل فإن جنحوا للسّلم فاجنحوا لها: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا}[70]، أي: وأنتم أقوياء، وأراضيكم غير محتلّة، ولا مهجّرون؛ فإن جنح المعتدون للسّلم فاجنحوا لها إرادة وتهيؤا واستعدادًا وإعداد عدّة وتأهّبوا بالقوّة، ومن لا يمتلك القوّة يجد نفسه غير مقدّرٍ ولا معتبر، وهو معرّض للقتل أمام المتوقَّع وغير المتوقَّع بين صدمة ورُعبة.

[70] الأنفال 61.

ومع أنَّ التأهّب يؤدّي إلى المرابطة، واستعراض القوّة التي تمّ إعدادها، والاستعداد بها، ولكن من حيث المفهوم هناك فرق دلالي بين إعداد القوَّة، وإعداد رباط الخيل، من حيث:

. قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) إنَّ القوّة قد يتمّ إعدادها، ولكنَّها قد لا تُحقّق إرهابًا للعدو إذا لم يعلم العدو بها ويشاهدها بأمِّ عينيه؛ فعندما تُخزّن الأسلحة والعتاد المتنوّع والمتعدّد ولا يتمّ إظهاره، قد يظنّ البعض أنّك لم تمتلك القوّة التي تُرهبه؛ فيعتدي عليك ظلمًا وطمعًا ويفاجئك بالقتال ويُجبرك على مقاتلته.

. أمّا قوله تعالى: (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) إظهار القوّة عُدّةً وعتادًا وفرسانًا وخيلًا وتنظيمًا وتأهُّبًا؛ ولهذا رباط الخيل هي التي لولاها لكان السّلاح مخفيًّا في المخازن، ولكن بها ظهر أمام الملأ لتؤدَّى به رسالة مفادها: (لقد أعددنا العُدّة، وامتلكنا القوَّة، ونحن الآن مستعدّون عن إرادة، ومتأهّبون لخوض المعركة؛ فخذوا حِذركم، وفكّروا قبل أن تقرّروا عن غير بيّنة، نحنُ نمتلك القوّة المتعاظمة، ولكنّنا لا نرغب قتالكم، ولا الاعتداء عليكم، ولقد أعذر من أنذر).

إذن: التأهُّب والمرابطة دليل إثبات أنَّ الأمر لم يعد هيِّنًا؛ فخذوا حذركم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ}[71] أي: تأهّبوا تيقّظًا، وانتبهوا، واحترزوا العدوَّ كي لا ينال منكم شيئًا، فإن غفلتم واسترخيتم وألقيتم سلاحكم فلا تستغربوا أن يغدُر بكم أو يتمّ الاعتداء عليكم ظلمًا؛ فخذوا حِذركم بكلِّ جديّة، فالأمر لم يعد هيّنًا، وإن أخذتموه مأخذ الجدّ فإنَّ الخصم أو العدوّ سيأخذه مأخذ الجدّ أيضًا، وإن أخذه مأخذ الجدِ جعل لكم اعتبارًا يدفعه إليكم جانحًا للسّلم الذي يستوجب الجنوح إليه وفقًا لقاعدة قبول التحدّي وقبول السّلام.

[71] النساء 71.

فالتأهّب يعدّ منبع أمل لمن استعدّ وأعدّ وتهيأ لأداء الفعل المحقّق للأمل الذي طال زمن انتظاره؛ فالتأهّب للفعل يُمكّن من الإنجاز والنجاح وبلوغ الغايات التي لا تبلغ عملا إلّا بحيويَّة الأمل.

فالنَّاس على مستوى المسؤوليَّة هم يستعدُّون في دائرة الممكن المتوقَّع حيال إنجاح مهمّة من مهامهم المكلَّفين بها أو المنوطة بهم، ولكنَّهم في كثير من الأحيان لا يستعدُّون لغير المتوقَّع ممّا يجعل المفاجآت تتكرّر أمامهم رغم الاستعداد والعُدّة والعتاد.

الاستعداد لا يكفي، ولا يمكن أن يكون ضامنًا ومحقِّقًا للفوز والانتصارات، بل التأهّب من بعده هو الذي يُمكِّن من ذلك، ومن يغفل عن التأهّب أهميَّة وضرورة لا يستغرب إن حدثت أو طرأت المفاجآت ولا داعي لأن يعتدي ظلمًا أو يتطرَّفَ في ردود أفعاله.

ولذا فالتأهُّب قرار في زمن الأخذ به يُعدّ ساري المفعول في جعل العُدّة تحت أمر المتأهّب غير منقوصة، بل مُفعّلة للاستخدام متى ما شائها أن تكون متلازمة الحركة والوظيفة مع حركته في أثناء المرابطة الميدانيّة، وبأسباب التأهّب الإرادي يصبح المتأهّب متحمّلًا للمسؤوليّة وما يترتّب عليها من أعباء جسام.

ولأنّ التأهّب سلوك ظاهر؛ فهو القابل للمشاهدة والملاحظة؛ ولهذا جاءت المرابطة أمرًا ظاهرًا فيها تتوحّد العُدّة والخيل والمرابطة بها؛ ليكون التأهّب الظاهر إنذارًا وتحذيرًا بالعُدّة والعتاد والإرادة والاستعداد والخيل والفرسان؛ وهذا الأمر في زمنه، أمّا اليوم فالقوّة متطوّرة ومتنوّعة ولكلّ عصر قوّته وفرسانه، وفي جميع الأزمان الغرض هو إرهاب العدوّ؛ كي لا يعتدي، وليقف عند حدّه، وفي حالة اعتدائه تكون المواجهة بالنّسبة إليه قاسية والخسارة في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع متماثلة؛ ممّا يجعل النّهاية بين الأطراف تفاوضًا، ومصالحة، وتفاهما بالقوّة.

وفي كلتا الحالتين يُعدُّ إعداد العدّة إرهابًا من أجل القضاء على الخوف وأسبابه المخيفة.

ويُفهم من قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قوّة وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْل تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) أنَّ (العدّة والخيل والمرابطة) معطيات مُرهبة، ولكنّها لا تخيف، بل الذي يُخيف هو (الإنسان) المتطرّف الذي يُفسد في الأرض ويسفك الدّماء فيها بغير حقّ تفجيرًا واختطافًا واغتصابًا وسلبًا ونهبًا.

ولذا فالمرابطة انتباه مع متابعة فطنة للمتطرّفين أفرادًا، وجماعات، ودولًا، والغاية من ورائها تحقيق الأمن والسّلام، والتخلّص من الخوف إلى الأبد، ومع ذلك فالنّصر لا تُحقّقه المعدّات الحربيّة مهما تطوّرت، بل النّصر عبر التّاريخ يحقّقه من يقرّر مع التنفيذ أنّ قبول الموت لا يكون إلّا من أجل تحقيق النصر أو الاستشهاد دونه؛ ولهذا فالتأهُّب استجماع القوّة لمواجهة المحيّر أو المستفزّ، أو من أجل إيجاد ما يشبع الحاجة ويطمئن النّفس.

فالتأهّب التفات إلى ما يجب، واهتمام بما يجب، مع أخذ الحيطة والحذر، بغاية النّجاح، وهو يدل على:

. قبول تنفيذ القرار مع معرفة تامّة بالمترتّب على تنفيذه.

. قبول تحدّي الصّعاب حتى وإن كان التأهّب انسحابًا.

. قبول المواجهة مع المؤلم.

. إصرار وعزيمة في دائرة الممكن.

. خوف من المخيف، ممّا يستوجب مواجهته بدلا من تجنّبه أو الابتعاد عنه.

ـ يقظة تامّة بما يجب والأخذ به، وبما لا يجب وتفاديه، وهنا قد يكون ما يجب من أجل تنفيذ الفعل السّالب، وقد يكون لتنفيذ الفعل الموجب ولكلّ حسبانه.

المتأهّب على الدّراية:

الإنسان عندما يتأهّب لفعل ما يكون قد ألمّ به إلمامًا تامًّا، أي: إنَّ المتأهب يدري بما عليه من واجبات وما له من حقوق؛ فلا يتأخّر عن أداء واجب، ولا عن ممارسة حقّ عندما يكون موجبًا؛ ولهذا فحالة التأهّب لا تبلغ إلّا عن إرادة ورغبة، ثمّ بعد تهيؤ واستعداد ودراية بأسرار المتأهب له وعلله؛ تفاديًا للوقوع في الفشل، أو الخسارة حتى وإن كان المقصد أنانيًّا.

ولا يمكن أن تُبلغ مرحلة التأهّب إلّا إذا توافرت المعلومات الكافية لأداء الفعل أو القيام بالواجب، أو لمواجهة ما يشكّل خطرًا؛ ولذلك يجب أن يكون الإنسان على الدّراية المعرفيّة في كلّ ما يتعلق بالموضوع المتأهّب من أجله، وإلّا سيفاجأ؛ فالتأهّب يستوجب دراية بالمتأهّب من أجله كي تُحمل المسؤوليَّة وما يترتّب عليها من أعباء.

وهنا، فالتأهّب يؤدّي إلى:

ـ التمكّن من الوقوف على أعتاب الفعل.

ـ التحفّز على الانقضاض متى ما جاءت ساعة الصّفر.

ـ التمكّن من المستهدف دون تردّد.

ولأنّ للمتأهّب دراية بالموضوع أو المشكل؛ فهو يعرف متى يتقدّم ومتى ينسحب، ومتى يفاوض، ومتى يقف على الحياد.

المتأهّبُ قَلِقٌ:

زمن الانتظار دائمًا مقلق للمتأهّبين والمتحفّزين إلى تحقيق الأشياء أو بلوغها، حتى وإن كان لإجراء مقابلة بهدف الحصول على فرصة عمل، أو حتى إن كان لسفرٍ وفي جيب المتأهّب للسّفر كرت الصّعود، أو حتى إن كان أمام سلّم الطّائرة، فما بالك إن كان المتأهّب ينتظر خوض معركة نصر أو خسارة (حياة أو موت)؟

وهنا أقول:

هناك فرق بين التأهّب الذي لا يطيق أصحابه زمن الانتظار، والتأهّب الذي يتجاوز القلق، شريطة أن يكون التأهب عن إرادة ورغبة وقناعة، ومع ذلك فلكلّ قاعدة استثناء؛ فالانتظار مقلق عندما يكون وقته على حساب الرَّغبة والحماس الذي يحفّز النّفس على قبول التحدّي، وقد يكون على حساب أداء الفعل، فالمتأهّب لا بدَّ وأن يكون قد نسف جسور العودة، طال الزّمن أم قصر، وإلّا سيكون التراجع متيسرًا إذا طال زمن الانتظار، فخذوا حذركم أيّها المخططون، وارسموا السّياسات، والعاملون على إحداث النُّقلة وصُنع المستقبل.

ولذلك؛ ينبغي أن يُعمَّق التأهّب في نفس المتأهّب الذي عليه أن يقبل ذوق المرّ وهو على ثقة أنّه لا حلوَ إلّا من بعده.

فالمتأهّب إيجابًا لا يدخل في قاموسه القلق، فإن كان قد دخل فلا يعدّ متأهِّبًا، أي: عليه بنسف جسور العودة؛ ولذا فالقلق يجب أن يواجه قبل أيّ رحلة، وقبل أيّ مواجهة، وقبل أيّ إقدام على الفعل أو العمل.

وعليه: القلقون لا يصنعون تاريخًا، ولا يسهمون في صناعة التقدّم، ولا يحقّقون نصرًا، ولا مقدرة لهم على دخول ميادين المنافسة الحرّة، عقولهم يملؤها القلق؛ فلا حيز للتفكير، يبدأون حديثًا ولا يتمّون حديثهم، ويبدأون عملًا ولا

يلتفتون إلى تجويده، يقلقهم زمن التعليم فلا يتمّون تعليمهم، ويقلقهم زمن التدريب فلا يتمون تدريبهم، فهؤلاء ومن على غرارهم لا يعدّون من المتأهبين في شيء.

فالتأهّب مرحلة متقدّمة من الثّقة في النّفس، والثّقة بالموضوع المتهيأ من أجله، مع وافر الرَّغبة والاشتياق للإقدام، وهنا نلاحظ الفارق بين قلق المتأهّب، وقلق من حُسب متأهبًا؛ فقلق المتأهّب يعكس الرَّغبة في دخول الميدان عملًا أو مواجهة، أمّا قلق غير المتأهّب فيعكس الرَّغبة في التخلّي والخيانة والانسحاب بدلًا من الإقدام ودخول الميدان، ولكن استثناء يجوز أن يكون للانسحاب تأهّب.

إذن: القلق حالة نفسية إن سيطرت على الإنسان؛ فلا توازن، وهو من أمر الحياة الاعتيادية ويواجه الجميع، ويصعب تحدّيه، ولكن المتأهّبين متى ما تحدّوا فهم قادرون.

إنَّ البقاء على حالة القلق من عدمه يترتّب على المراحل السَّابقة للتأهّب، وهنا إذا حدث القلق وأفسد صمود المتأهبين؛ فعلى الباحثين أو المسؤولين الذين أعدّوا الخطط ورسموا السياسات أن يقوموا بمراجعة تلك المراحل التي سبقت التأهب، وهي:

. **الإرادة:** هل هي السّبب في تحفيز الإنسان إلى المشاركة أم أنّ ضغوطًا كانت مختفية من ورائها، أم أنّ المشارك كان مجاملًا لرغبة الوالدين أو رغبة من تربطه بهم علاقات خاصّة؟ فإذا كان هناك شيء من هذا؛ فلا استغراب أن يخيّب القلق أمل المخططين وراسمي السياسات.

. **التهيّؤ:** كونه نفسيًّا عقليًّا بدنيًّا لا يكون إلّا عن فطنة ومعرفة بالمستهدف، مع إحساس بالأهميَّة النافعة لمن أصبح متهيئًا للقيام بما يجب،

وهنا؛ فإن كان الإنسان قد تجاوز هذه المحطات بحيويَّة الرَّغبة وقبول التحدّي مع وافر الإرادة والمقدرة، بلغ حالة التأهّب الذي لا عودة عنه بأيّ علّة من العلل، ممّا لا يجعل للقلق مؤثرًا سالبًا.

. **الاستعداد:** وهو الذي يمكّن من أخذ الحيطة والحذر بتوفير ما يمكن أن يُعد ويوفّر لإنجاز الفعل أو العمل.

التأهب استبصار:

التبصّر قيمة تظهر مدى الانتباه عن وعيٍ وإدراك وتبيّن لِما هو مُبصر فيه؛ ممّا يجعل المستبصر قادرًا على أن يميّز بين الشيء الدّقيق وما هو أدقّ منه؛ فالتبصُّر إلى جانب كونه قيمة حميدة، هو ضرورة إنسانيَّة من أجل التدبّر والتذكّر والتفكّر؛ كي يتمّ تحقيق الأهداف، وبلوغ الغايات، ونيل المأمول من بعدها.

والصّفة التي تستمدّ من التبصّر هي الاستبصار، ممّا يجعل صاحبها مستبصرًا في أمره وما يتعلّق به من أمر، وما يحاط به ويحوطه، وبما يتأمله عقلًا وإدراكًا، وما يستمدّه استقراءً واستنباطا: {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ}[72].

مضمون هذه الآيات الكريمة يتعلّق بسيدنا يونس كما يتعلّق بغيره من الأنبياء الكرام صلى الله عليهم وسلَّم، وهذه الآيات جاءت مفاهيمها دالة على أهميَّة الترقُّب مع الملاحظة والانتباه تأهّبًا من قِبل يونس لقومه: (وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) هذه الآية الكريمة تدل على تولي يونس عن قومه بعد أن ذهب مغاضبًا، ثمّ جاء قوله تعالى: (وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) دالًا على أهميَّة ملاحظة يونس ونظره لقومه في المرّة الثانية بعد أن آمنوا؛ ليلاحظ الفرق بين حالتهم

[72] الصافات 174 . 179.

الأولى قبل الإيمان، والحالة الثانية من بعد إيمانهم جميعًا دون استثناء، وفي كلتا الحالتين: لم تكن نظرة يونس لقومه متطابقة، وكذلك لم تكن نظرة قومه له متطابقة، ولأنّه الحقّ قال تعالى: {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[73].

وعليه: لقد كان يونس بصيرًا بحاله وحال قومه قبل إيمانهم وبعد إيمانهم، ولأنّه رسول مُرسل لقد كان طائعًا لأمر ربِّه الذي أمره بأن يبصرهم لأجل أن يعرف ويتعرَّف على ما يؤثّر فيهم سلبيًّا ليتفاداه، وما يؤثّر فيهم إيجابيًّا ليقدم عليه متأهِّبًا.

ولذا؛ فالبصير هو الله الذي يُدرك الأشياء المتجاوزة لحاسة البصر: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ}[74]، أمّا المبصر فهو الإنسان الذي يُدرك حقيقة وجودها بالمشاهدة العينيَّة، قال تعالى: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ}[75]؛ ولهذا المؤمن المستبصر في الأرض هو الذي لا يقف عند حدّ مشاهدة الإبل، بل يتعدّاها إلى معرفة الكيفيّة التي بها وعليها خلقت، حتى يبلغ مرحلة الإعجاز التي تجعله مؤمنًا بأنَّ من ورائها خالقًا عظيمًا يملك قوّة الخلق كلّه، ويؤمن إدراكًا أنّه الخالق الذي لا يُخلق جلّ جلاله.

وعليه:

ينبغي أن لا يقف تفكير الإنسان عند حدّ المشاهد، بل عليه أن يكون متهيئًا لمعرفة الكيفيَّة التي عليها المشاهد؛ لأنّ معرفة الكيفية تمكّن من المعرفة

---

[73] الصافات 181، 182.

[74] الأنعام 103.

[75] الغاشية، 17 . 22.

الواعية، وتقود إلى معرفة المجرّد، ومن ثمّ كشف القوانين ومعرفة المستحيل مستحيلًا والمعجز معجزًا، وهذه لا يُمكن أن تبلغ إلّا إذا كان عقل الإنسان وفكره متأهبًا لمزيد من المعارف والعلوم: {وَمِنهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِى العمى وَلَوْ كَانُواْ لاَ يُبْصِرُونَ}76 الضمير يعود للمخاطب وهو سيدنا محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام؛ فالكفرة يعرفون حُجّة محمّد رسول الله ويجحدون الحقيقة الآتي بها؛ ولذا فهم كالأعمى الذي فقد بصره فلا يرى شيئًا.

ومن ينظر إلى تاريخ الأمم السَّابقة يجد التَّاريخ مليئًا بالعبر والمواعظ، والحِكم، والدروس، والعواقب، قال تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}77، وقال تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ}78.

ولأنَّ الله قد أنعم على عباده بالبصر والبصيرة؛ فهو يراهم في أحسن صورة وتقويم وهمّ مستبصرون في آياته عزّ وجلّ، وهم كذلك متهيئون لمعرفة الكيفيَّة التي عليها المخلوقات، ومتهيئون لمعرفة العلل التي تكمن خلف الأفعال والأعمال والسُّلوكيَّات التي ترتكب سواء أكانت انحرافاً أم إصلاحًا.

وفيما يأمر بالبصر إليه والنظر فيه، كما أمر سيدنا يونس صلى الله عليه وسلَّم، وذلك ليكون نظر النّاظرين إلى ما يسرّ النّفس ويطمئن القلب، قال تعالى: {صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ}79، ومع أنّ النّظر إلى البقرة الصّفراء الفاقع هو نظر إلى المشاهد المحسوس فإنّ نّظر الكثيرين لا يرتقي إلى معرفة المجرّد، ولا يقود إلى معرفة القوانين التي يجب أن تكتشف تقدّمًا، ولا يقود

---

[76] يونس 43.

[77] الأنعام 11.

[78] النمل 69.

[79] البقرة 69.

إلى معرفة الأسباب الكامنة وراء المشاهد (أيّ مشاهد)؛ ولهذا وجب التأهّب فكرًا حتى تصبح الثقة في عقولنا محفّزة على معرفة المزيد من الأسرار الكامنة والمجرّدة، ولا ينبغي لنا أن نتوقّف عند حدّ المشاهد، بل المشاهد إن كنّا متأهبين يستفزّ فكرنا وعقولنا لما هو أعظم؛ ومن هنا وجب البحث تدبّرًا.

وعليه: فالإنسان المتأهّب بصرًا وبصيرة هو الذي يتمكّن من بلوغ الأشياء والتعرُّف عليها، وهو الذي يتبيَّن الأمر قبل الخوض فيه، إنّه الذي يتعلّم ويعلم ويعرف ويتعرَّف، ثمّ يَقدم ويفعل، فالمستبصر المتأهّب هو النّاظر إلى الأشياء بعين الحقّ، فلا ينكر شيئًا ولا يتعجّب من شيء؛ لأنّ الله بكلّ شيء عليم، وعلى كلّ شيء قدير.

ولأنَّ الإنسان المتأهّب هو المستبصر بالحقّ؛ فهو المطيع لأوامر البصير المطلق ونواهيه، وهو لا يركع ولا يسجد لسواه، يصوم ويزكي ويتصدّق ويحجّ تأهبًا لنيل المأمول جنّة.

ومع ذلك فالتأهّب سلوك وفعل يمكّن من الإقدام على العمل، فعلى سبيل المثال: يتأهّب الإنسان إلى الصَّلاة بعد تهيؤ واستعداد من خلال إقامة الصّلاة وقوفًا بين يدي الله، ممّا يجعل إقامتها فعلًا يؤدّي إلى عملٍ لا يمكن الدخول فيه إلّا بالتكبير (الله أكبر) وهنا بدأ العمل (الصّلاة عمل يُقام به) إقامة وركوعًا وسجودًا، وهذه أفعال تتمّ بعد تأهّب.

وعليه:

. تأهّب لممارسة حقوقك؛ فالحقوق تمارس.

. تأهّب لواجباتك؛ فالواجبات تؤدّى.

. تأهّب لمسؤولياتك؛ فالمسؤوليات تُحمل.

. تأهّب لأهدافك؛ فالأهداف تنجز.

. تأهّب إلى أغراضك؛ فالأغراض تتحقّق.

. تأهّب إلى غاياتك؛ فالغايات تُبلغ.

. تأهّب لمأمولاتك؛ فالمأمولات تُنال.

. تأهّب لإشباع حاجاتك؛ فالحاجات تُشبع.

. تأهّب مسرعًا؛ فالإسراع يمكّنك من خوض المنافسة، شريطة ألا تكون متسرّعًا.

. تأهّب شجاعة، ولا تتأهّب تهوّرًا.

إذن فمن هو المتأهّب إيجابًا؟

أقول:

هو الذي تيقّن أمره عن بيّنة، وعرف ما له وما عليه، وقبل بالتقدّم تجاه ما يجيب عن تساؤلاته وافتراضاته وما يشبع حاجاته أو يمكّنه من الفوز، ومن ثمّ فقد تهيأ إراديًّا وأعدّ العدّة لذلك ثمّ استعدّ لخوض المنافسة أو المعركة، أو لنيل ما يأمل والفوز به، فالتأهّب قوّة كما تدفع إلى التقدّم تدفع إلى التخلّف، وكلّ حسب أهدافه وأغراضه وغاياته وما يأمل.

ولذا؛ يجب أن يكون المتأهّب متأهِّبًا في ذاته ولا ينتظر من أحدٍ أن يؤهّبه، أمّا التأهيب من قِبل الغير فقد يعدّه البعض لا يزيد عن كونه أداء وظيفيًّا.

ولهذا فالمتأهّب إيجابيًّا هو من نسف جسور التوقّف عند الحدّ الذي تمّ بلوغه، كما نسف جسور العودة إلى الخلف، ممّا جعل أمامه خيارًا واحدًا، التقدّم الذي من بعده فرص التقدّم أعظم.

الفعل

الفعل أمر يتحقّق ويترك أثرًا (موجبًا أو سالبًا)، ولا يكون إلَّا عن أخذ قرار وتدبُّر، سواءِ في حالة إدراك الفاعل لأثر فعله وما يترتّب عليه، أم بعدم إدراكه لذلك، وكما يقال: (القانون لا يحمي المغفّلين) مما يجعل المترتّب على الفعل جريمة، وتطرُّفًا، وإفساد في الأرض، أو بناءً وإعمارًا وصلحًا وعفوًا.

ولهذا تتجسّد الأفعال عملًا وسلوكًا على أيدي الفاعلين لها، مما يجعل صفات الفعل ملتصقة بهم، كالتصاق السّرقة بالسَّارق، والتطرُّف بالمتطرِّف، والكذب بالكاذب، والجريمة بالمجرم، والاحترام بالمحترم، والصّدق بالصَّادق، والأمانة بالأمين، وهكذا.

ومع أنَّ للكلمة معنى فإنَّها لا تعني شيئًا إذا لم تصبح فعلًا مجسّدًا عملًا وسلوكًا، ومن هنا تتجسّد الكلمة المتطرِّفة بالفعل المؤلم عملًا متطرِّفًا ما يجعل التطرُّف صفة الفاعلين له.

ومع أنَّ التطرّف يُفعل، ويترك أثرًا مؤلمًا، ويجرِّمه القانون، ويعاقب مرتكبيه، فلا إمكانية للقضاء على التطرّف قانونًا أو عقابًا؛ ذلك لأنَّ التطرّف فكرًا والفكر لا يصحّح إلَّا بالفِكْر من خلال معرفة:

ــ العلّة التي أثارت العقل واستفزّت ملكاته.

ــ موقظات الإرادة التي لفتت الإنسان لعقله وحرّرته من الخوف، ومن قيود الفضائل، والقيم، والقوانين.

ــ مثيرات التهيؤ بعد أن أصبحت حيويَّةً، ولفتت الإنسان إلى نفسه وعلاقته بالغير من أجل أن يتخذ موقفًا به تواجه المستفزّات.

ـ دوافع الاستعداد التي قدّرت الفعل وخطورته، ثم مكّنت من تقدير الفعل وتحديد المستوجب لتنفيذه.

ـ كيفية إعداد العدّة واختيار أنسبها لتنفيذ الفعل.

ـ أساليب التأهُّب التي مكّنت من وضع الأهداف موضع الصيَّاد من الطريدة.

ـ المعطيات التي ألغت التردّد من نفس المتطرّفِ وجعلت الفعل منفَّذًا وفقًا للخطط الرَّئيسة أو البديلة.

وعليه: فالتطرُّف عندما يُنظر إليه مجردًا عن الذات والموضوع، ما هو إلا قضيّة فكريّة بداية ليس للسلوك أثر فيها، وإنما تتولّد القناعات العقليَّة من الفكرة، وهذه القناعات تنبع غالبًا من المتضادات الفكرية التي لا تجعل للآخر اعتبارًا في بعض الأحيان، ويضاف إلى ذلك مؤثرات خارجيَّة من المجتمع والبيئة تنمو مع نمو الإنسان حتى تصبح جزءًا من شخصيته التي من الصعوبة أن تنفك عنها، الأمر الذي يجعل الأنا على خلاف مع الآخر في أشياء منطقيَّة حتى تصبح له سلوكًا.

وعلى هذا فالسُّلوك لا يرجع إلى الذات، وإنما يترتّب على الأفكار التي تثيره وتحرّكه الدوافع وتحدد اتجاهه، فالفكرة المجرَّدة هي الأساس بداية في تحريك الدوافع، ومن ثَمَّ إثارة السُّلوك وتحديد اتجاه الأفراد وكيف يتصرَّفون.

إنَّ الدوافع عادة تنشأ عن أسباب داخليَّة ذاتيَّة وخارجيَّة، تؤدّي إلى سلوك الفرد وتصرّفه وفق ما يتصرف به معظم الأفراد في المجتمع الذي يعيش فيه، وبالكيفيّة التي يتصرَّفون بها؛ ومعظم الأفراد لديهم إحساس واضح بما يحدث ويؤدّي إلى دفعهم للقيام بفعل ما انطلاقًا من المركز، سواءً أكان المركز يتمثل في الأنا، أم أنّ آخرين يرونه في الآخر حسب ما اكتسبوا من معارف وخبرات،

ولذا؛ فللسُّلوك مثيرات تستحضر التهيّؤ والاستعداد والإرادة وتجعل الإنسان متأهِّبًا للإقدام على أداء الفعل مهما كانت النتائج المترتّبة عليه كلّ وفق اتجاهه الذي أُعِدَّ عليه أو تشرَّب معلوماته منه سواء أكانت تلك المعلومات خاطئة أم أنّها كانت صائبة.

وهنا فمثيرات السُّلوك هي من الأسباب التي تدفع الإنسان إلى الحركة قبل وقوع الفعل، وهذه المثيرات هي التي تستفزّ الإنسان بالتهيّؤ وتوجهه إرادة لاستمداد القوّة واستمداد وسائل إظهارها بغض النظر عن كونها شرعيَّة أم غير شرعيَّة، فكلٌّ حسب وجهته التي ارتضاها بإرادة.

فالإنسان المحترم تثيره الأفكار التي تولِّد عنده شعورًا اتجاه الآخرين كما تولّد ردود أفعال اتجاههم، مما يجعله بعد تهيّؤ واستعداد وتأهب قادرًا على أن يقدِمَ على فعل مؤيدٍ أو فعل معارضٍ لذلك الفكر وأصحابه.

إنَّ استجابة الإنسان لمثير ما في سلوكه، يتوقّف على مكتسباته من الأفكار والعادات والتجارب، ومن ثَمَّ طرق التصرف التي تعلّمها من قبل استنادًا إلى معرفته السَّابقة، مما يجعل تصرُّف بعض الأفراد غير مؤسّس على أهداف واضحة محدّدة، والبعض الآخر يتّصف بالتحديد الدقيق في موقف ما وفق أهداف واضحة محدّدة، وبعضٍ منهم يكون سلوكهم لأجل الدفاع عن الأنا بصرف النظر عن الحقِ والباطل أو الصواب والخطأ، وفي هذه الحالة تكون نظرة الفاعل لهذا السُّلوك نابعة من الأنا التي يعدّها تمثّل المركز.

أمّا اتجاه السُّلوك فيتمثل في العادات التي اكتسبها الفرد والمهارات التي يتمتَّع بها والقدرات التي يمتلكها، وكثيرًا ما نجد الدوافع هي التي تحدّد اتجاه السُّلوك، من نجاح وفشل ومن ثأرٍ وانتقام، ومنافسة، وصراع، وصدام، واقتتال، وإقصاء، وتغييب، وتسفيه، وتقليل شأن؛ فكلّ السالب منها إن حدث ترتّب التطرُّف عليه بأسباب موضوعية.

إذن: فالدوافع التي تعمل على توجيه السُّلوك متباينة لدى الأفراد، منها: الدوافع النفسيَّة، والغريزيَّة، والفكريَّة، وكلّها قادرة على تحديد سلوك الفرد وتوجيهه، مما جعل الدوافع متأثِّرة بالحاجات ومشبعاتها، وهذه الدوافع التي تؤثّر في السُّلوك وتؤطّره وتحدد اتجاهه، تتطوَّر وتتشعَّب من خلال الخبرات المتراكمة من التجارب والثقافة التي مصدرها الفكرة.

إنَّ الدوافع التي توجّه بالسُّلوك تتطوَّر وتتشعب سلبًا وإيجابًا بتبني أفكار جديدة والتخلّي عن أفكار أخرى أو محاولة الجمع بينها أحيانا، وهذا أمر يعمل على التأثير في الأفراد والتجمعات خلال مسيرة الحياة، ومع ذلك فإنّ السُّلوك لا يُمكّن من الوقوف على الأصول التي نبعت منها دوافعه على الرغم أنه ناتج عنها؛ وذلك لما يطرأ عليها من أفكار تُقرأ من وجوه متعددة وتخرج بمفاهيم متباينة للفكرة الواحدة؛ لذا نجد بعض الأفراد يتَّصفون برغباتهم القويّة في الانتماء الاجتماعي الذي قد ينشأ بسبب تأثير عوامل معينة في مجتمع معين، ومع ذلك نجد أفرادا آخرين يرفضون هذا الانتماء في المجتمع نفسه، فيترتّب عليه اختلاف في السُّلوك، وهنا تنشأ عللٌ تجعل أفراد البيئة الواحدة أو المجتمع الواحد لا يمكن أن يستقوا دوافعهم من مصدر واحد وإن اشتركوا في تجمع بشري وجغرافي، فالتجمع الجغرافي لا يُلغي تعدّد المصادر الفكرية متنوّعة الاتجاهات، مما يجعل الأحزاب السياسية والاتجاهات الفكرية في المجتمع الواحد تتعدّد.

وكثيرًا ما تتداخل أنواعٌ من الدوافع التي تُحفِّز السُّلوك وتتأثّر به، فقد تتمثّل الرَّغبة لدى بعض الأفراد في اكتساب خبرات جديدة نابعة من دوافع الاتزان والحرص، كما يكون الانطواء والخوف دافعا للاقتناع بالواقع لدى بعضٍ آخر، وعلى هذه الدوافع يتحدّد اتجاه السُّلوك؛ ونتيجة لذلك فإنَّ بعض النَّاس يتصرّفون وكأنّهم يبحثون عن الجديد بصورة مستمرة، بينما يبدو بعضهم وكأنّه قانع بالأشياء المألوفة لديه وقد لا يرتضي التغيير وإن كان نافعًا.

ومع ذلك فإنّ الفكر هو الأساس المؤثّر في السُّلوك مرونة أو تطرُّفًا وفقًا للوجهة التي يتوجَّه الإنسان إليها؛ لذا لا يمكن لأحد أن يرسم صورة للتطرُّف أو المتطرّف قبل الوقوف على تلك الأفكار التي أنتجت الدوافع المؤثّرة في السُّلوك وحدّدت اتجاهه في أقوال وأفعال أدّت إلى التطلّع من أجل تحقيق نتائج يمليها الفكر من بينها رفض التمركز على شخصٍ واحدٍ أو على رؤية واحدة لفردٍ أو جماعة معيّنة، بل يجب أن يتمّ نقل المركز وتبادله من الأنا إلى الآخر أو العكس كلّ بإرادة مع وافر الشفافية.

ومن يفترض نفسه نقطة التمركز في الاعتدال والتوازن ظانًا أنَّه يعبِّر عن الفضيلة والقيم السامية والأخلاق الرَّفيعة، فقد حدّد مواقع الآخرين ومواقفهم تبعا لذلك، وبالتالي فهو يعطي مبررا للآخر أن يفترض الفرضيَّة نفسها، ومن هنا تنشأ القضية المعيارية للتضاد الفكري؛ فالذي يُقرُّ سحق الآخر، وإلغاءه لمخالفة الرأي فقد ركب من التطرف مركبًا.

إنَّ الأفكار المتضادة عبر التَّاريخ التي نمت وقيّمت الآخر بميزان الأنا، أنتجت مسميات للتضاد الفكري من (مركزٍ، ويمين، ويسار، ووسط، ويمين الوسط، ويسار الوسط، وكذلك اليسار المتطرّف، واليمين المتطرِّف)، ولكلٍّ وجهة هو موليها.

ومن هنا إنْ نصّبت الأنا نفسها ممثلًا لقيم الفضيلة ومركز لها، فقد حدّدت موقع الآخر تبعًا لذلك وفقًا للمقياس الذي ارتضته لنفسها دون استشارة الآخر، وغالبا ما يكون هذا المقياس الشخصاني متعارضا مع الآخر وقيمه وفضائله بنسب متسلسلة تصل أحيانا حدّ التصادم.

إنَّ مثل هذه النظرة التي تدَّعي أنَّها قادرة على وضع الموازين، وتدَّعي أنَّها قسط، ومركز يجب على الآخرين الدوران من حولها تُعدُّ فاقدة مبرراتها؛ بما أنَّها قررت أن تعارض أفكار الغير لمجرد أنَّهم الغير، وهي بهذه النظرة قد وضعت

نفسها في المواجهة أمام فوهة المتطرَّفين الذين إن قرروا أصبح الموت مطلبا يتسارعون في نيله دون خوف وبلا تردُّد. ويصبح المتطرِّفون قادرين على اتباع أساليب التطرُّف المتنوّعة التي منها العنف الدموي.

الإقدام على الفعل:

عندما تتساوى كفَّتا الحياة والموت عند الإنسان فلا استغراب أن يصبح متطرِّفًا، أي: عندما يتلقّى الإنسان تعاليم وأفكار منحرفة ومتطرّفة وكأنَّها حقائق دامغة للباطل يرسّخها في نفسه، ومن ثمّ يتحفّز إلى العمل الممكّن من الفوز بما يظنُّه الجزاء الأوفى.

ومن هنا فإن توافر العزم والإصرار يصاحبه على الإقدام على تنفيذ الفعل مع ترقُّب شديد ورصد للحركة والسّكون مما يجعل الإصبع على الزِّناد استعدادًا للرمي في زمن الانقضاض.

ولذا؛ فالتأهّب يؤجج في النفس حرارة الانقضاض والاندفاع تجاه الهدف دون خوف ولا تردّد، مع شجاعةٍ وبلاءٍ وإصرار على الإنجاز في الوقت المحدد للتنفيذ؛ خوفًا من التأخير الذي فيه تعشش المفاجئات؛ ولذلك دائمًا لا للاستعجال ونعم للإسراع دون التسرُّع.

ومن ثمَّ في التأهُّب اشتياق الفاعل للحظة الانقضاض وتنفيذ الفعل؛ ولهذا فالفاعل عندما يكون متأهِّبًا تكون مشاعره وأحاسيسه مصهورة في بوتقة الفكر لفعلٍ قابلٍ لأن يُفعل، والشّكّ من ملكاته منتزع انتزاعًا.

فذلك الصحفي العراقي الذي رمى الرّئيس الأمريكي جورج بوش بنعليه في بغداد لو لم يكن متأهِّبًا للرمي ما رماه أمام أعين النَّاس على شاشات التلفاز وأمام حرَّاسه وحرَّاس حرَّاسه والمدجَّجين والصحفيين الذين هم في محيطه

يتساءلون مع الرّئيس الأمريكي عمَّا حدث في العراق وعمَّا يحدث من رمي الرّامي في المؤتمر الصحفي الموقَّر.

ولذا؛ من يتأهّب للشيء بعد تهيّؤ وإرادة واستعداد يستطيع أن يُنفِّد ما يشاء كيفما يشاء بحذاء أم بعكازٍ أو حتى بمسبحةٍ أو ساعة يد، دون أن ينتظر رأيًا أو توجيها من أحدٍ.

ولأنّ لكلّ فعل ردّة فعل فبدون شكّ سيكون للتأهّب تأهّب إن تمّت المعرفة، ولكن إن لم تتوفّر المعرفة فستكون المفاجآت سيدات الميدان والحاسمات للأمر.

فالأفراد بدون شكّ على مستوى المسؤوليَّة يستعدُّون في دائرة الممكن المتوقَّع حيال إنجاح مهمة من مهماتهم المكلَّفين بها أو المناطة بهم، ولكنهم في كثير من الأحيان لا يستعدُّون لغير المتوقَّع مما يجعل المفاجآت تتكرر أمامهم رغم الاستعداد والعدّة والعتاد.

وهنا فالاستعداد لا يكفي ولا يمكن أن يكون ضامنا ومحققا للنجاحات، بل التأهّب من بعده هو الذي يُمكِّن من ذلك، ومن يغفل عن التأهّب أهميَّة وضرورة لا يستغرب إن حدثت أو طرأت المفاجآت ولا داعي لأن يتطرَّفَ في ردود أفعاله.

الفعل تتويجًا:

الفعل تتويج للتهيّؤ والإرادة والاستعداد والتأهّب؛ فهو من غيرها لن يكون المؤثّر في صناعة المستقبل الأفضل، وهو الذي لا يتحقّق إلا من فاعل من أجل مفعول لأجله، والفعل حركة وسلوك وإنجاز، وعندما يتحقّق لن تنتهي الأمور بل يتوجَّه الفاعلون إلى بلوغ الغايات المأمولة؛ ولهذا فكثير من الأفعال تُفعل لإزاحة عوائق حائلة بين الذين لهم أمل وما يأملونه من غايات.

ولهذا يُعدّ الفعل خروج من دائرة السّكون إلى دائرة التنفيذ إنجازًا للأهداف أوّلًا بأوّل، من خلال تمدّد القوّة وحركتها الفكريّة والماديّة.

الحركة الفكريَّة:

التي تحدث عندما تمتدّ الأفكار من عقول حامليها وصدورهم إلى عقول وصدور أخرى، فتشغل حيّزًا عندهم نتيجة امتدادها إليهم، وتنتشر بين النَّاس حسب قوّة تأثيرها سلبًا وإيجابًا، وحسب قوّة الفكرة أو الحُجَّة التي تتضمّنها.

الحركة الماديَّة:

التي تمتدّ بقوّتها المحسوسة القابلة للملاحظة والمشاهدة سواءً أكانت بناء وإعمارًا، أم تطرُّفًا وانحدارًا؛ فيكون لها الأثر الإيجابي أو السلبي باختلاف المتأثِّرين بها والمؤثِّرين فيها وباختلاف الزّمان والمكان.

والحركة قد تكون متَّصلة وقد تكون منفصلة؛ فالحركة المتَّصلة هي التي تكون بين جزئياتها حُجَّة تجعل لها وحدة تجمعها، والحركة المنفصلة هي الحركة التي تتجسَّد وتُعرف من خلال الكلمة المحمولة فيها التي بها تتميَّز عن غيرها، فعلى سبيل المثال: كلمة (مقاومة) تحمل في أحشائها حركة المقاومين الفكرية والماديّة وصمودهم في مواجهة الأفكار وفي وجه المعتدين؛ ولهذا فالمقاومة جهد يُبذل مما جعل كلمة (مقاومة) مجسدة لِما تعنيه المقاومة، وجعل أفعال المقاومة محمولة فيها دلالة ومعنى، وهذه المقاومة قد تؤدّي إلى تطوُّر وتحسُّن في المواقف وقد تُؤدّي إلى تأزُّمات جديدة، وهكذا كلمة (هجرة) فيها حركة منفصلة عن غيرها من الكلمات ذات الحركة، فالهجرة الداخليَّة تنفصل عن الهجرة الخارجيَّة، وهجرة الأسماك من المياه الباردة إلى المياه الدافئة تنفصل عن هجرة الطيور من فصل إلى فصل، ومع أن الهجرة كلمة تحمل في مدلولاتها حركة إلا أنّ الهجرة غير متحرِّكة، بل المهاجرون هم المتحركون تجاه هدف من ورائه غاية.

ومع ذلك فالحركة لا تكون إلا بقوّة وقدرة تجعل الجهد يُبذل ويوجَّه تجاه الأهداف المحدَّدة للإنجاز في زمن معَيَّن؛ ولهذا فلا حركة بلا زمان ولا زمان إلا بحركة، ولا يمكن أن يسبق أحدهما الآخر، فلو كان الزمان سابقا على الحركة لكانت الحركة عبارة عن حدث من أحداث الزمان، ولو كانت الحركة سابقة على الزمان لكان الزمان عبارة عن حدث حركي أو مولود الحركة الأوّل، وعليه فكلٌّ منهما مترتّب وجوده مع الآخر لا مترتِّب عليه.

ولأنَّ الفعل لم يكن نهاية مسعى الفاعل؛ لذلك لم يكن غاية، بل الغاية نتاج ما يترتّب على المفعول من نفع حتى وإن كان الفعل ضررًا.

والنفع هو ترك الأثر الموجب في الآخر أو في بعض أحواله، أمَّا الضرر فهو ما يترك أثرا سلبيا في الآخر بوجه من الوجوه، ويتباين ذلك بين تطرُّف وشدّة مفرطة ربما ينتج عنهما القتل بغير حق.

ومع أنَّ القتل نتاج فعل فاعل إلّا أنّه في بعض الأحيان يُعدُّ هو الفعل المفضَّل في سبيل تحقيق غايات عظيمة؛ ولهذا فالقاتل عمدا يُقتل شرعًا، إلا إذا لعبت الإرادة دورها في العفو، والصلح خير؛ ولهذا يُعد القتل بغير حق ظُلم وإثم مُجرَّم ومُحرَّم، ويُعدُّ القتل الحقّ نتيجة لإحقاق الحقّ وزهق الباطل ودمغه من أجل غايات عظيمة جعلت للإنسان قيمة كما جعلت الحق فضيلة والعدل فضيلة والعفو بين النَّاس فضيلة وقيمة، ومن تطرَّف عن ذلك تطرَّف؛ ولهذا إن لم يكن الإصلاح والعودة إلى الأصل الذي يُرضي النَّاس على غير معصية تصبح أفعال التطرُّف هي العملة الدَّاعمة لرفع رأسمال مصارف الدم.

أفعال التغييب وقود تطرُّف:

التغييب فعل إقصائي به يغيب المواطن عن ممارسة حقوقه، وأداء واجباته، وحمل مسؤوليَّاته، وهنا تكمن علّة توليد التطرّف من رحم انعدام ممارسة

الحريَّة، أي: عندما يستشعر المواطن أنَّه غريبٌ في وطنه ليس له بدٌّ إلَّا الرَّفض، ثمّ التمرّد والثورة التي تمكّن من التصحيح والإصلاح وإلّا لا مجال للمواطن إلّا مزيدًا من التحدّي المتوّج بأفعال التطرُّف.

والتغييب فعل مترتّب على أفعال الإقصاء العمدي الذي لا يفسح مجالًا للتعاون والتفاهم والتفهُّم بين الأنا والآخر، فإن غُيِّبَ أحد الطرفين بأيّة تعليلات تصبح العلّة في من كان سببًا وراء فعل التغييب؛ ذلك أنّ الذي يكون أساس المشكلة أو جزءًا منها، لا بدّ أن يكون أساس الحلّ الرئيس أو جزءًا منه.

ولهذا في حالة غياب الآخر الذي يتعلّق الأمر به يكون الحلّ ناقصًا بسبب تغييبه وليس غيابه؛ ذلك أنّ الغياب ذاتي صادر عن الأنا، أمّا التغييب فمصدره إمّا من الأنا للآخر أو من الآخر للأنا عمدًا، وهذا التغييب غالبًا ما يكون من أجل فرض رؤية الأنا المركزيَّة الأمر الذي يؤدّي إلى:

. رفض الحلّ.

. تعدّد أنواع التطرّف.

. ازدياد حدّة المتطرّفين.

ومن ثمَّ، فنار الغضب تزداد اشتعالًا في الأفراد والجماعات الذين غيِّبوا عن المشاركة في إيجاد الحلّ للقضيّة التي هم أحد عناصرها الرّئيسة، وبالتّالي فإنَّ الأمر لا يقف عند حدِّ الرَّفض للحلّول كما يتوقّع البعض، بل الأمر سيؤدّي إلى تنوّع أساليب التطرّف المقاومة للحلّ وتعدّدها وتلوُّنها، والتي نتجت بأسباب التغييب.

فالتطرّف سابق على الحلّ، ولكن بأسباب التغييب تزداد حدّة التطرّف الذي ربما ينتج عنه سلوكٌ يدفع إلى استخدام العنف وسيلة.

ولهذا، فالتغييب يُعدّ من أساليب الرَّفض للآخر، مما يجعل الرَّفض الموجَّه له مثبتًا لوجوده الذي لا ينبغي أن يُغيَّب، وإلَّا هل يمكن أن يُرفض شيء لو لم يكن موجودًا؟

بالتأكيد لو لم يكن موجودًا ما نُفي، ولو لم يكن موجودًا ما رُفض، ولو لم يكن موجودًا ما نُكر، ولو لم يكن موجودًا ما تمّ الخلاف معه ثم غُيّب.

وعليه: فإنَّ رفض الآخر يثبت وجوده آخرًا على ما هو عليه، وهذا الرَّفض يفيد اعترافًا بما هو عليه من التطرّف الذي يجب علاجه بغير أسلوب التغييب.

ولذا؛ فمن الموضوعيَّة أن تتم مشاركة الآخر في مركز مشترك تلغى فيه المركزيَّة الفرديَّة (أنا فقط)، وتظهر الأنا والآخر بمركز جديد منطقه (نحن سويًّا) و (نحن معًا) حضورًا وحوارًا بالكلمة المرنة التي تحمل المعلومة الصَّائبة من جانب، وتصحح المعلومة الخاطئة من جانب آخر، ومن هذا المنطلق يصبح المجال فسيحًا لإظهار نقاط الالتقاء بين الأنا والآخر، إمّا باعتماد إدارة رئيسة (هي المركز العام) أو بمراكز متعدّدة فيها تُمارس الحقوق، وتؤدّى الواجبات، وتُحمل المسؤوليات من قِبَلِ أفراد متعدّدين ومنفّذين لسياسات الإدارة المركز وخططها واستراتيجياتها التي تجمع الأنا والآخر في دائرة (نحن سويًّا).

ومن الأُمور التي تجعل التطرّف يشتدُّ ويتنوّع، أن يُرفض الآخر ويغيَّب، وهذا التغييب هو أعظم من مقاومته متطرِّفًا؛ وهنا يكون المغَيِّبُ أكثر تطرُّفًا من المغَيَّب إن لم يكن مساويه في التشدُّد.

إنَّ رفض مشاركة الآخر وتغييبه وإقصائه بأسباب التطرّف لا يلغيه من الوجود، ولكن قد يجعله على رأس هرم التطرُّف بعد أن كان على مستوى من

مستويات الرّفض والتمرّد؛ ولذا فمن يستهدف الآخرين بالتغييب والإقصاء سيجد نفسه أكثر النَّاس على إثبات وجودهم طرفًا من أطراف المعادلة.

ولأنّ الأمر لا يكون إلا كذلك، فينبغي أن يُؤسّس مركز يتوسَّط المركزين، ويقوم على شعرة تعادل كتفي الميزان دون طلب تنازلات عن حقوق واجبة الممارسة مما يجعل المركز مؤسّسا على الموضوعيَّة لا على التنازلات.

ولهذا؛ فإن أحدثت التنازلات لقاءً فسيكون من بعده افتراقٌ مملوء بالتطرّف نتيجة التنازلات بأسباب الحاجة والظروف المتغيّرة في دائرة الممكن؛ ذلك أنّ الأنا والآخر قد يتّفقان على تقديم تنازلات تحت إملاءات ظروف معيّنة، ولأسباب الضرورة وبتوافر معطيات جديدة فيها تتحسَّن الأحوال فتصبح تلك التنازلات في مهب الرّيح؛ إلّا أنَّ هذه التنازلات من جملة ما تعنيه أنَّه لم يتمّ تقبّل الأنا (هو كما هو)، ولا تقبُّل الآخر (هو كما هو)؛ فتكون التنازلات مرحلّية من أجل اغتنام الفرص المواتية للعودة إلى الاستحواذ عمّا تمّ التنازل عنه، الأمر الذي يؤدّي إلى الاستهانة وظهور الأنا المركزيَّة مرّة ثانية بعلل وأسباب تلك التنازلات.

ولذا يجب الانتباه لما تحمله الاستهانة من مضامين كثيرة يترتّب عليها:

- عدم الاحترام.
- عدم الاعتراف.
- عدم التقدير.
- عدم الاعتبار.
- عدم التفهُّم.

ومن هنا نجد الاستهانة من المكامن الرَّئيسة التي تؤدّي إلى التطرّف، ويا ليت الأنا والآخر لم يكونا مستهينين ببعضهما، فلو لم يكونا المستهينين لما كان التطرّف.

وعليه: ينبغي الاعتراف بالآخر مشاركًا في حقٍّ، ومؤدٍّ لواجبٍ، وحاملٍ لمسؤوليَّة، وأنَّ له خصوصيَّة مقدَّرة، ولا داعي لنفيه وإقصائه وتغييبه وتهميشه؛ ذلك أنَّ نفيه يثبت وجوده، أي: إنَّه:

. موجود بدليل نفيه.

. موجود بدليل رفضه.

. موجود بدليل نكرانه.

. موجود بدليل عدم الاعتراف به.

. موجود بتغييبه.

وأقصر الطرق وأفضلها للإقرار بما هو موجود، الجلوس على طاولة (نحن) الأمر الذي يليق بالأنا والآخر عندما يقبل كلّ منهما الآخر (هو كما هو).

وقبول الآخر هو كما هو، مرتكز أساس من مرتكزات القبول النابع عن الاعتراف بالوجود المؤدّي إلى الاستيعاب.

إنَّ إرساء مبدأ التقبُّل بين الأنا والآخر على أساس (هما كما هما عليه) يؤدّي إلى العمل من أجل ما يجب أن يكونا عليه معًا في دائرة (نحن سويًّا)؛ ولذا ما يجب أن يكون عليه كلّ من الأنا والآخر هو المستهدف من وراء مبدأ التقبّل (هما كما هما عليه)، وهذا الأمر يجعل كلًّا من الأنا والآخر على خط التقبُّل مع فائق التقدير والاحترام، ومدُّ الأيدي إلى ما يحقّق الطموحات المشتركة

للإنسان على أيِّ مستوى من المستويات التي يمكن أن يكون عليها سواءً أكانت محلّيَّة أم دوليَّة أم إنسانيَّة.

ولأنَّ التطرُّف أصبح قضية من قضايا تأزُّمات العلائق الفرديَّة والجماعيَّة والمجتمعيَّة في الدَّولة وخارج الدَّولة؛ فهل يحقُّ تجريمه بالمطلق على كلِّ المستويات المحلّية والعالميَّة أم يجب النظر إليه وإلى مكامن علله التي قد تتضمّن شيئًا من الحقيقة؟

فعلى المستوى الدّاخلي الوطن للجميع، وممارسة الحقوق فيه حقّ للجميع، وأداء الواجبات واجب على الجميع، وحمْل المسؤوليات عبء يجب أن يتم تحمُّله بإرادة من الجميع؛ ولذا عندما يتعرَّض الوطن لغزوٍ وتُحتَّل أراضيه تصبح مسؤوليَّة الدِّفاع عنه فريضة واجبة على كلِّ قادر حتى وإن وصف حمْل هذه المسؤوليَّة تطرُّفًا من قِبل الآخرين؛ ولهذا فالتطرُّف في مقاومة المحتلِّين للأوطان حقّ يجب أن يكون بأيدي جميع المواطنين ولا يُنتظر فيه رأى من الغير.

وهكذا إذا مُنعت الحقوق وتمّ مصادرتها يُطالب بها، وإذا تمّت المطالبة بها فالحقّ أن تُعطى، فإذا لم تعطَ لا بدّ أن تُنتزع انتزاعًا ولا عيب بعد ذلك في قبول الصّفات تطرُّفًا، أو إرهابًا، أو عنفًا.

ولذا؛ فمن يأخذ حقوق الآخرين، لا بدَّ أن يأتي يوم ينتزعونها منه انتزاعًا وإن وصفوا بالتطرّف فليس لصاحبها إلَّا أن ينتزعها.

والواجبات بما أنَّها تؤدّى فهي واجب، ولكن إذا حُرم الإنسان من أداء الواجبات، فقد حُرم حقّ من حقوقه وإن كانت من الواجبات.

فأداء الواجبات حقّ لمن يمارس حقوقه؛ ولذا من يُحرم من ممارسة حقوقه ويطلب منه أداء واجباته لا يمكن أن يؤدّيها؛ لأنَّها بغير حقّ، وإن أقدم على تأديتها للضرورة فلن يؤدّها بفاعليَّة.

أمَّا عندما تمارس الحقوق بإرادة ولا تؤدّى الواجبات فينبغي أن تفرض (شريعةً أو عرفًا أو دستورًا وقانونًا يُسن من قبل الذين يتعلق أمر أداء الواجبات بهم).

ولذا؛ لا يمكن للمواطن الذي يحيا الوطن فيه أنْ يرفض أداء واجباته طالما أنَّه يمارس حقوقه.

والمسؤوليَّة أيضًا عبء يُحمل مقابل حقوق تُمارس وواجبات تُؤدّى، وإن مُكِّنَ المواطن من ممارسة حقوقه، وأداء واجباته، وحُرم من مسؤوليَّاته قد يندفع من حيث يدري، أو لا يدري ليكون متطرِّفًا، وهنا يتولّد الصراع والصدام مع وافر الشدَّة والتشدُّد.

ومن هنا توجد علاقة قويّة بين ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمْل المسؤوليات، والحرمان من هذه المعطيات، مما ينتج التطرّف وأفعاله وسلوكيّات فاعليه.

ومن أجل ألَّا يكون للتطرّف دائرة يمتدّ فيها أفرادًا وجماعات ومؤسّسات ودولة ورأس دولة فعليكم ألَّا تستهينوا بالآخر، وتقصوه من شيء ينبغي أن يكون له، أو يكون شريكًا فيه، وعليكم بتقبُّل الغير وفقًا لهذه الحقائق دون شروط أو طلب تنازلات.

وعليكم أن تعرفوا أنَّ لأفعال التطرُّف آلام وأوجاع في معظم الأوقات تفعل بغير حقّ، مما يجعلها في مواجهة رضا الله، ورضا عباده الصَّالحين، وعليكم أن تعرفوا أنَّ التطرُّف بقدر ما يكون حقّ عندما يتطرَّف الإنسان عن المظالم والعدوان، يكون باطلًا عندما يفعل ظلمًا وعدوانًا.

ولذلك خذوا حذركم من الأفعال الظَّالمة التي ترتكب تفخيخًا وتدميرًا واغتصابًا، وانتبهوا لأبنائكم وإلَّا ستجدونهم أعدائكم، وانتبهوا إلى مناهج

مدارسكم ومقرراتها وإلَّا ستجدونها خصمًا، وانتبهوا إلى منابر مساجدكم ومن يتبوَّؤها خطيبًا وإلَّا ستجدونها مشرّعِة للتطرّف، وخذوا حذركم من وسائل الإعلام وإلَّا ستزوِّر حقيقة وجودكم.

صدر للمؤلّف

صدر للمؤلّف 78 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

صدر له (140) مؤلّفا منها خمس موسوعات.

أشرف وناقش 74 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعية والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.

المؤلّفات

1 . مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.

2 . الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.

3. فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.

4 . منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.

5 . سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.

6 . المفاهيم العلمية دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.

7 . البستان الحلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.

8 . التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.

9 . الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا، 2001م.

10 . نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.

11 . خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

12 . منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

13 . خدمة الفرد قيم وحداثة، دار الحكمة، 2006م.

14 . خدمة الجماعة رؤية قيمية معاصرة، دار الحكمة، 2006م.

15 . البرمجية القيمية لمهنة الخدمة الاجتماعية، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

16 . البرمجية القيمية في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

17 . البرمجية القيمية في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

18. الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعية، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

19 . البرمجية القيمية في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

20 . مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

21 . المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت . دمشق، 2009م.

22 . موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2009م.

23 . ألستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

24 ـ مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

25 ـ خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

26 ـ قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

27 ـ أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

28 ـ آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

29 ـ نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

30 ـ إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

31 ـ إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

32 ـ شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

33 ـ يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

34 ـ داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

35 ـ يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

36 ـ أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

37 ـ موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

38 ـ عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

39 ـ محمَّد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

40 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

41 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

42 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

43 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

44 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

45 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

46 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

47 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

48 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمَّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

49 . موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

50 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

51 . التطرُّف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

52 . ألسنا أمةً وسطا، ابن كثير، دمشق . بيروت، 2011م.

53 . المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق . بيروت، 2011م.

54 . الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

55 . الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.

56 . سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة وانشر للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.

57 . خريف السُّلطان (الرَّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

58 . من قيم القرآن الكريم (قيم إقداميّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

59 . من قيم القرآن الكريم (قيم تدبّرية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

60 . من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

61 . من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

62 . من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

63 . من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

64 . من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

65 . من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

66 . من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

67 . من قيم القرآن (قيم مرجعيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

68 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

69. من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقي للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

70. من قيم القرآن الكريم (قيم تيقُّنيّة)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

71. الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.

72. تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى، بيروت، 2011م.

73. ربيع النّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.

74. موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2012م

75. أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.

76. وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

77. ثورات الرّبيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

78. العزل السياسي بين حرمان وهيمنة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

79. السياسة بين خلاف واختلاف، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 3014.

80 . الهويّة الوطنية بين متوقّع وغير متوقّع، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014.

81 . العفو العام والمصالحة الوطنية، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

82 . فوضى الحلّ، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

83 . بسم الله بداية ونهاية، القاهرة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2015.

84 . من معجزات الكون (خَلق . نشوء . ارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.

85 . مقدّمة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

86 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

87 . آدم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

88 . إدريس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

89 . نوح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م 89 .

90 . هود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

91 . صالح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

92 . لوط من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

93 . إبراهيم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

94 . إسماعيل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

95 . إسحاق من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

96 . يعقوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

97 . يوسف من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

98 . شعيب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

99 . أيوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

100. ذو الكفل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

101 . يونس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

102 . موسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

103 . هارون من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

104 . إلياس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

105 . اليسع من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

106 . داوود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

107 . سليمان من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

108 . زكريا من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

109 . يحيى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

110 عيسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

111 . محمّد من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

112 . الدّعاء ومفاتيحه، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2017م.

113 . صُنع المستقبل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

114 . الفاعلون من الإرادة إلى الفعل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

115 . مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

116 . من الفِكَر إلى الفِكْر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

117 . التهيؤ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

118 . منابع الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

119 . الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

120 . المبادئ الرئيسة للسياسات الرّفيعة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2018م.

121 . تحدّي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

122 . الواحدية من الخلق إلى البعث، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

123 . مبادئ تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

124 . المعلومة الصائبة تصحح الخاطئة (من الخوف إلى الإرهاب) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

125 . الممكن (متوقّع وغير متوقّع) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

126 . مبادئ فكّ التأزّمات، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

127 . الأهداف المهنيّة ودور الأخصائي الاجتماعي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

128 . تصحيحا للمفاهيم (فاحذروا)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

129 . العدل لا وسطية ولا تطرف، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

130 . غرس الثّقة (مبدأ الخدمة الاجتماعيَّة)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

131 . مفاهيم الصّلاة والتسليم على الأنبياء، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م.

132 . الخدمة الاجتماعيَّة (قواعد ومبادئ قيميّة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

133 –كيفيّة استطلاع الدراسات السَّابقة مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

134 – الخدمة الاجتماعيَّة (تحليل المفهوم ودراسة الحالة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

135 – الخدمة الاجتماعية (مبادي واهداف قيمية) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

136 – الخدمة الاجتماعيّة (مفاهيم مصطلحات)، مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

137 – التنمية البشرية (كيف تتحدّى الصّعاب وتصنع مستقبلًا)، مكتبة القاضي، القاهرة، 2018م.

138 - مبادئ الخدمة الاجتماعيَّة (تحدّي الصّعاب وإحداث النُّقلة) مكتبة القاضي، القاهرة، 2018م.

139 _ الإرهاب بين خائف ومخيف، مكتبة القاضي، القاهرة، 2018م.

140 _ التطرُّف من الإرادة إلى الفعل، مكتبة القاضي، القاهرة، 2018م.

المؤلّف في سطور

أ د. عقيل حسين عقيل

مواليد ليبيا 1953م

بكالوريوس آداب 1976م بدرجة الشّرف الأولى جامعة الفاتح (طرابلس).

ماجستير تربية وتنمية بشرية جامعة جورج واشنطن 1981م مع درجة الشّرف.

. دكتوراه في الخدمة الاجتماعية.

. أستاذ بجامعة الفاتح كلية الآداب (طرابلس).

. شغل منصب أمين تعليم بلدية طرابلس (1986 . 1990).

. انتخب من قبل مؤتمر الشعب العام مفتشا عامّا لقطاع الشؤون الاجتماعية، ثمّ كلّف بالتفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي 2006م.

. شغل منصب أمين التعليم العالي (وزيرا) 2007 . 2009م.

. انتخب أمينا عاما للتنمية البشرية بأمانة مؤتمر الشّعب العام 2009م.

. صدر للمؤلّف 78 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

. صدر له (140) مؤلّفا منها خمس موسوعات.

. أشرف وناقش 74 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعية والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.